

روائع عائض القرني

أجمل ما قرأت لهذا الرجل

استلها
محمد اليامي

العبيكان
Obékan

٢ مكبة العبكـن، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكبة الملك فهد الوطنفة أثناء النشر

البامف، محمد بن سرار

روائع عائف القرنف / محمد بن سرار البامف . ط٣. الرفاض، ١٤٣٠هـ

٣٢٢ ص، ١٦,٥×٢٤سم

رءمك: ٤ - ٩٠٦ - ٥٤ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١ - الإسلام - مجموعات ٢- المقاتل العربفة - السعوءفة أ. العنواف

ءفوف ٢١٠,٨ ٧٣٦٢ / ١٤٣٠

رقم الإفءاع: ٧٣٦٢ / ١٤٣٠

رءمك: ٤ - ٩٠٦ - ٥٤ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الثالثة

١٤٣٠هـ / ٢٠١٠م

ءقوق الطباعة محفوظفة للناشر

الءوءزفع: مكبة العبكـن
Obeken

الرفاض - العلفا - ءقاف طرفق الملك فهد مع العرففة

هافف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

الناشر: العبكـن
Obeken

الرفاض - شارف العلفا العام - ءنوب برء المملكة

هافف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا فسمء بإعاءة إصءار هءا الكءاب أو نقله فف أف شكل أو واسطة، سواء أكانء إلكءرونفة أو مفكانفكة، بما فف ذلك ءءوففر بالنسخ «فوفوكوبف»، أو ءءسءفل، أو ءءزفن والاسترءاء، ءون إءن ءطفف من الناشر.



كأس الهوى

يا أيها «القرني» فيك بياني

وحروف شعري صفقت للساني

وأتى البيان فلا تسل عنه إذا...

... سال القريض، وضعت في الطوفان

أقسمتُ إنني في الهوى لمتيمٌ

قلبي، وعقلي، فيك يختصمان

هذا يقول: الحبُّ قد ملك الحشا

ما حيلتي، وقد التقى الجمعان

والآخر المحزون يرثي حاله

ويقول: كفوا... جاءنا الهمداني

شرب المحبُّ كؤوس هجرٍ فارتوى

والشيخ من كأس البيان سقاني

فطفقتُ أفترش السحابَ وأمتطي

هام المعالي والزمانُ زمانِي

أنت الذي علمتني لغة الهوى

وأنا ذبيحٌ في الهوى «السحباني»

لغة البيان هي الهوى وجماله

يزهو برونق منطقٍ فتانٍ

قيدتني، وأسرتني، وقتلتني
برصاص إبداع يثورُ مثاني
فَصُرْعْتُ في دنيا الهوى وشهادتي
جاءت على يد أشجع الشجعان
وسقطتُ في ميدانِ حركِ واورتوى
قلبي وزاد الريُّ في بستانِ
وتكشفتُ أسبابُ حبٍ بعدما
صُرْعَ الفتى الياميُّ في الميدانِ

شعر

محمد اليامي

١٧ / ٦ / ١٤٢٣ هـ



«وما يدريك»

«عائض» وما أدراكم من «عائض»..

روضٌ بالجَنَى فائضٌ..

أبدع... ونفع، وسطع، ولمع..

عائضٌ سهلٌ في العبارة... لطيفٌ في الإشارة..

«عائض» بحرٌ خَضَمَ، وسيلٌ جَرَّارٌ، وحدائقٌ وأزهار..

فاح عَرَفَهُ من عطره المصنوع في المدينة النبوية..

وطاب حديثه، لأنه من تلاميذ الجامعة المحمدية في كلية الإيمان قسم
السلفية..

بَرَّ أقرانه، وسبق معاصريه..

وعاش مع سلفه وسابقيه.. فيا لله العجب..!!

وإن تعجب فعجبٌ قولهم: «طنطاويُّ عصره» وفريد دهره.

وهو كذلك حوى، فأوعى، وجمَعَ فأوعب وصنَّفَ فأشجى وأطرب..

كلامه فيه إبداع..

وشواهدُ فيها الروعة..

ولا أعلم أحداً قَتَلَ حُسادَه مثله..

فإن أعظم قتل للحاسد الجاحد هو لزوم المحامد، وترك المساند..

وكأنه عقوبةٌ لحاسديه..

هو «عائض»...

فا «العين» علمٌ صاف، وفهمٌ شاف، وفقهٌ واف..
 سبق بعض أهل زمانه برتوه؛ ونهل طلابه من إنائه والركوه..
 لوذعيُّ يكادُ من فـرط علم
 يقطر الشهد والجني المذابا..

و«الألف»: للأفكار إبداع، وللسامع إمتاع، وللنفع إسراع.
 روضه بالإبداع غني..
 وهمه إصلاح عالمي
 لم يخنه ذهنه، ولم يتركه فهمه، ولم يتخل عنه ذوقه..
 دقيقُ الإجابة، واضح النجابة، حاضر الشواهد.. لا قُطُّ الشوارد..
 لا يحبُّ الجمود؛ لأن المنهل عذبٌ مورود..
 اللسانُ «سحباني».
 والدينُ «يماني».
 والمنهج «عدناني».

و«الهمزة» أخذ العلم من معينه، وأحسن في توصيله، وأسعد العيون،
 وأسر القلوب، وأفحم الخصوم فأسفر عن علم عذبٍ مورود..
 وعن خُلق عبدٍ حامدٍ محمود...
 «والضاد».. ضُربُ أبيات القصيد، وضبابٌ من المعاني الأخاذة، وهو
 ضامن لما أتلّف من القلوب بحب بيانه..
 هو لاعبٌ بارعٌ بالعواطف..
 يحركها بالمواقف..
 فتارةً أنت آمن..
 وتارةً أنت خائف..

يتبسّطُ معك حتى تقبضُ على صدرك

وتمسك نفسك..

ثم يعود يتهدج بأسلوبٍ رخيم فلا تملكُ دمعك..

عصاه.. تضربُ الأوتار..

يشجي المسامع، ويُطربُ السامع، ويسيل المدامع، ويحفظ الجوامع، ويبهى

المرباع.. فله دره، ودر أبيه وجده..

شجرةٌ مباركة، وغراسٌ حسنٌ، طلعتها طلعٌ بهي، ونفعها نفعٌ جلي..

فسبحان من أنبت ثمارها شتى وهي واحدة.. وتسقى بماءٍ واحد وفنونها

عديدة.. كلها مفيدة.. وتسقى بماء الإيمان والعقيدة..

أصل الشجرة «قرنية»، وأرضها «محمدية» وثمرتها «عالمية»، وماؤها

«سلفية» والسحابة الهتانه.. «خفيفاً مسلماً وما أنا من المشركين»..

- عائض.. إيه يا شيخ عائض.

- روضكم - شيخنا - على الكون فائض.

- بليغ يهزُّ القلب عند حديثه.

- وترمقه الأجفان في حلة الأدب.

درّس، وتمرس..

وألقي، وأشجى...

وألّف، وصنف...

ورمى في كل غنيمة بسهم، وحمل في كل حالٍ همّ..

قلق، وبكى، حزن، واهتمّ.. لحال أمته

وذرفت عينه حين مرّ ربيع العمر..

لا لشيء.. إلا ليقدم لأمته ما أمكنه..

فأبدع:

وخط برأسي الشيب خطة عاشق..

يقول: احذروني أيها الثقلان..

لكنه أشرق على عالم..

بشمس التفاؤل، فما تركت في قلبه بيت مدر ولا وبر إلا ودخلت

منه..

فانقلب الهمُّ همّةً، وزال همُّه..

وقويت عزيمته؛ وفلَّ ساعده بالتوحيد صخور الوثنية في عالمٍ

فطره الله على الإيمان..

وعلق فأسه في رأس كل حاسدٍ وجامد...



«علاقة»

عرفته داعيةً، أديباً ..

- كان يدغدغ مشاعري، ويَهْزُ خواطري .. بعلمه، وبحسن إلقائه، وبحسن
استشهاده، وبدقة استنباطه ..

- تعلمت من «عائض» مشافهة بلا ترجمان، وتعلمت منه بمسموعاته، وتعلمتُ
منه بالكتابة والمؤلفات ..

- وحقُّ لي أن أقول:

صحبكم فازددتُ نوراً وبهجةً

ومن يصحب الطيب المعطر يعبقُ

- إي والله ...

فحبي كمصباحٍ وقلبي زجاجة

وفي القلب مصباحٌ يضيء زجاجتي

- نقشْتُ حبهُ في قلبي؛ لما علمتُ من علمه، وفهمه، وهمه، ونفعه ..

نقشتُ على قلبي من الشَّقِّ حبكم

وفي شقةٍ أخرى نقشْتُ إلى النعشِ

وأستغفر الله

ولكنني أُسَجِّلُ ما يجول بخاطري؛ فلا تعتب عليّ ..

تجرعني الليالي كأسَ هجرٍ

ويوحشني الزمانُ من الصحابِ

وَكَفُّ الهَجْر تَلْطِمُ ثَغْرَ حَزْنِي
فَتَزْدَادُ الْجِرَاحُ عَلَى التَّصَابِي
وَقَلْبِي ثَابِتٌ فِي حُبِّ خَلِي
فَلَا أَغْلُو بِحُبِّ أَوْ أَحَابِي

- رقيق الحاشية، لِيَنَّ العبارة، لطيف الإشارة؛ شجاعٌ، مُطَاعٌ..
- ضرب بعصاه بحر الأدب فانطلق، فكان كُلُّ فرق كالطود العظيم..
- وركل الجمود، بقدَم الصمود، والمنهج تحقيق أمر المعبود..
- قرنيُّ.. أزديُّ.. محمديُّ «حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين»..
- رعى الغنم... وصاغ الحكم، وألَفَ ونظم فله دره.
- رابط الجأش.. لَهُ صَبْرٌ عَظِيمٌ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ؛ وَلَهُ صَبْرٌ عَظِيمٌ فِي تَزْيِينِ
- القرطاس... بِدَرِّ الْحُكْمِ وَبِدِيْعِ الْأَمْسَاسِ..
- حَمَلَ الْحُبَّ وَالْإِيْمَانَ وَالطُّمُوحَ بِيَدِهِ فِي مَشْعَلٍ.. لِيُضِيءَ لِلْكَوْنِ، وَلِيُثَبِّتَ
- لِلدُّنْيَا كُلِّ الدُّنْيَا.. أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْحَلُّ..
- عَمِد «عائِض» إِلَى جَنَانِ الْعِلْمِ فَتَهَلَّ مِنْهَا رَحِيقُهَا، وَارْتَشَفَ مِنْ عَذْبِ الْمَعَانِي
- رَيْقُهَا.. ثُمَّ خَلَطَهَا خَلْطَةً سَرِيَّةً.. قَرْنِيَّةً فَظَهَرَتْ.. تُعْجِبُ الْقُرَاءَ يَكَادُ سَنَا
- بَرَقِهَا يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ..
- إِنَاءُ الْقَرْنِي «سُنِّي» إِسْلَامِيٌّ.. أَزْدِيٌّ..
- مَاوَهُ مِنَ الْوَحْيِ وَالْعَقِيدَةِ..
- صَفَاوَهُ مِنَ مَنَهِجِ السَّلَفِ..
- نَفَعَهُ عَمَّ الْخَلْفِ، بَلَا غُلُوٍّ وَلَا سَرْفٍ.

- عزمٌ مَوَّارٍ، وسيلٌ جرَّارٌ تدفق بالإيمانِ على الحقائق والأزهار، فعادت رياضاً
ناضرة.. بالعلم زاخرة..

- سدرة القرنى طلعتها بهيٍّ، ونبعها عذي.. وعودها قوي، راسيةٌ في أرض
العقيدة السليمة..؛ وشامخة في سماء الكون.. ولا نزكي على الله أحداً..

- تميز القرنى عن غيره بالذوق الرفيع، فهو ممن يسبك الكلمة في مصانعه
الخاصة فتخرج بيضاء نقية..

- لا يختار إلا البارع من الشواهد، ولا يستشهد بها إلا في أحسن المواضع
وأليقها..

- وتميز - أيضاً - في الطرح الجديد.. فقد حطم تقاليد الخطباء بعصى
الإبداع؛ وقام في سوق «الكلمة» بعباءة النصح ينادي:

هذا هو العلم لا طينٌ ولا حجرٌ
ولا خيولٌ ولا عيسٌ ولا بقرٌ

هو النجاة هو الرضوان فاحظْ بهِ
وما سوى العلم لا عينٌ ولا أثرٌ

- هو عجيب في استطراداته، فهو يفتح باباً ثم يتركه ويدخل باباً آخر،
فيوقفك على أكثر من مرادك، وتستملح استطراده..

وقد يطول به المقام في الاستطراد، فتكون المفاجأة بعد مقام طويلٍ من
الحديث يعود بعد ذلك لأصل المسألة، ولسان حاله يقول:
عُدْ، فإن العود أحمد..

- وهذا يقودنا إلى موسوعيته

فما أعلم أحداً يُزاهيه في تبحره..

فمحفوظاته بالآلاف من الآيات والأحاديث والآثار والأشعار..

هو البحر من أي النواحي أتيته

فدركته المعروف والجود ساحله..

- هو الضابط لما حفظ..

حاضر البديهة، سريع التدفق بما يحضره في موضوعه، وهو يتكلم في

الأمر بلا تحضير ولا إعداد، فيأتي بما لم يأت به من أعد واستعد..

ويبحر بك في نهر العلم فلا يكاد يرسو له زورق..

وهو مع هذا ملهمٌ بكثيرٍ من أطروحات زمانه، مطالع للقضايا المعاصرة بعين

الشرع المحمدي وهذا دأب المتميزين..

- له النظم الرائع والرجز البارع، وهو مع هذا خفيف ظل، ورقيق الحاشية، لا

يكاد يجرح أحداً..

- له ولحب صولة، وبينه وبين المحبين جولة..

الحب عنده: ماء الحياة وغذاء الروح، وقوت النفوس..

وله فيه نظره: فهو يقسمه إلى: «حب أرضي طيني سفلي» ويعرفه بأنه هو:

«هيام وغرام».

و«حب علوي سماوي إلهي» ويعرفه بأنه هو: «طاعة وعبادة وشهادة وسيادة».

«وهو حب الإله والتعلق بشرعه والانقياد لأمره، والامتثال لدينه، والتقرب منه»^(١).

الحب للرحمن جلّ جلاله، فهو مستحق الحب والأشواق.

- يسمى «الحب» الكلمة العامرة..

ويصف «الحب» بعالم المودة والصلة والأنس والرضى..

ويتخيل عند سماعه لكلمة «حب»: سفرًا بالذكريات..

وصوراً ومشاهدات لا تمحى من ذاكرة الزمان.

(١) ضحايا الحب: ص ١٢ بتصرف.

ويتصور بكلمة «حب»: السماء وشمسها اللقاء، ونجومها الذكريات، وسحبها الدموع..

كلُّ يُصرح ويقول: [«حب» إشراقة في عالم الملكوت وإطلالة من ديوان الخلود، ووقفَةٌ في بساط العظمة] (١).

- عجبت له ولحديثه عن الحب، وإنما أردت - أيها القارئ الكريم - أن أوقفك على شيء من إبداع هذا المتميز.. فهو يتكلم عن موضوع عاطفي، غرامي، بعيد عن عالم العلم الشرعي، والحواشي والمتون، ومع هذا فهو يتهدر كالسيل، بل كأنه مجنون ليلي، أو صاحبُ لُبْنى، أو حبيبُ عزة.. وكأن الحبَّ شَفَّةٌ، وأضنى حاله، فجاد بيانه وعذَّبَ لسانه.. فله درّه..

- مات «الطنطاوي» - رحمه الله - وفقدنا بفقده علماً موسوعياً، حوى علماً وأدباً، وإنني لأحسبُ عزاءنا في «القرني» شيخ الأدباء، وأديب المشايخ.. وليس في هذا الأمر عجب، فبينه والطنطاويُّ وشائج منها:

أ - أنهما «رحم»؛ فالعلم رحمٌ بين أهله..

ب - الجمع بين العلم الشرعي الأصيل، وبين صناعة الأدب الجميل..

ج - الاستطراد، والتدفق العجيب مما ينبئ عن معلوماتٍ ثرة، وعن حقول بالعلم مثمرة... وجودة ذهن، ونباهةً وفطن..

د - الطنطاويُّ هام بدمشق بعد خروجه منها، والقرنيُّ هام بالجنوب كذلك.

هـ - إفادة الطنطاوي - رحمه الله - من جميل الحكمة وبديع الفكرة، ولو كان في الأدب الغربي، ونجد هذا في القرني، فلا تكاد تخلو فقرة في كتبه إلا وفيها شاهدٌ أو حكمةٌ أو فكرةٌ أفادها.. ومن ذلك: كتابه البديع «لا

(١) ضحايا الحب: ص ١٦ بتصرف.

تحزن»، ومن ذلك: ترديد الأمثال، والأبيات المترجمة، والمقولات المشهورة
الحكمة النافعة.

«والحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أولى بها».

و - والبراعة في الأسلوب، وصدق العاطفة فكأن أحدهما يكتبُ بشريانٍ من
شرايين قلبه، ومداده الدَّمُ القاني.. فالعاطفة صادقة والأسلوب مؤثر.

ز - العفوية خصلة مشتركة.. العفوية في الكلام، والعفوية في الكتابة،
والعفوية في التعامل، فهم لا يحبون أصحاب «الأتيكيتات»..

ح - صيتهما ذائع، والمحبون المجلولون المقدرين كثير.. جدُّ كثير.. لا أعدمهما
الله المثوبة والأجر.

ط - يحملون همَّ الشارع الإسلامي، فالأديب له من كلامهما نصيب، والناقد،
والعاميُّ والغنيُّ والفقير، والحقير والأمر.. فسبحان من سلط بعض
خلقه على مفاتيح القلوب..

ي - استغلال وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في نشر الخير، من مذياع،
ورائي، وصحفٍ سيَّارة ومجلات، ودوريات..؛ والحرص في تبليغ الخير
للغير واهتبال الفرص المساعدة على نشر الخير.

مع روح الدعابة والمرح لا يكاد يخلو منها حديث...

ووجود عنصر التشويق في الخطاب، والإلقاء..

تلك عشرةٌ كاملة...

«مدرسة القرني»

أعترف أنني قد تعلمت منه الكثير.. بالمباشرة والسماع والقراءة، وجعلت أعيدُ ما طالعه في كتبه فأرى السحر الحلال يكاد يذوب منه، ويخلق بي بين العلم والعمل والإنسانية والعاطفة والعالمية؛ لأنه موسوعي، وقد نفعتني ذلك كثيراً..

ومما تعلمتُ في مدرسته:

١ - الإحياء الصادق للإيمان في القلوب، وتحريك العواطف الإيمانية في النفوس؛ فهو بارعٌ مبدع في ذلك، وإن شئت فطالع كتبه تذق الباب، وتر العجب العجاب..

واسمع له في مقطوعة نثرية رائعة يقول: .. من الذي ما أساءَ قط؟...
ومن له الحُسنى فقط؟ ومن هو الذي ما سقط؟ وأين هو الذي ما غلط؟..
يا كثير الأخطاء، أنسيّت: «كل ابن آدم خطاء»..

كم يقتلك القنوط كم؟ وأنت تسمع : «والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا
لذهب الله بكم»..

اطرق الباب تجدنا عندهُ

بسَخاءٍ وببذلٍ وكرمٍ

لا تقل قد أغلق الباب ولا

تحمل اليأس فتلقَى في ندمٍ

إذا أذنبت فتب وتندم فقد سبقك بالذنب أبوك آدم ومن يشابه أباه فما ظلم، وتلك شنشنةُ نعرفها من أخزم، فلا تقلد أباك في الذنب وتترك المتاب، فإن أباك لما أذنب أناب بنص الكتاب..

أصبحت وجوه التائبين مُسفرة لما سمعوا نداء: «لو أتيتني بقراب الأرض
خطايا لأتيتك بقرابها مغفرة».

اطرح نفسك على عتبة الباب، ومُدَّ يدك وقل يا وهَّاب، أرغم أنفك في
الطين وناد: رحمتك أرجو يا رب العالمين»^(١).

وليس هذا الإبداعُ عجباً، إنما العجب.. أنت تجد الآية، والحديث، والبيت
العذب من الشعر، والمثل العربي المشهور، والمثل الأجنبي النافع، والتوجيه
الحسن لذلك، فله دره..

٢ - التأثير البارز بشخصيات إسلامية لها شأنها في تأريخها..

فهو يعيش مع هذه الشخصيات من خلال قواسم مشتركة، أعظمها وحدة
المعين، ويليهِ سلامة المنهج، ثم التقديم لله والبذل والتضحية..
وكم سمعتُ منه - والشهادة لله - أنه يسألُ الله أن ترتفع كلمة الحق ولو
على جمجمته، ولو بسكب دمه، وليس هذا بعد - توفيق الله - إلا بالتأثير
البارز بالشخصيات الإسلامية الصادقة الطاهرة في حياته..

وهذه الشخصيات تمثل في حياة القرني..

القدوات.. التي يحتذي تأريخها، ويسير على منهجها، وهذه الشخصيات
حقيقة على أرض الواقع، ولست محض خيال..

ولذلك كان التأثير في حياته بها - ولا نزكي على الله أحداً - واضحاً،
والناظر فيما كتب القرني يجد أن كتب الشيخ تفيض بالتأثر البالغ بهذه

(١) مقامات القرني ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

الشخصيات، ولستُ مبالغاً إن قلتُ: إنك لا تكاد تجد صفحة أو موضوعاً إلا وفيه عبقٌّ من سيرتهم، وشممٌ من عرار ذكراهم الخالدة..

والعجيب أن قلمه يدلُّج إن ذكرهم فلا يكاد يقف، ولسانه يلهج كأنه بغير في ميدان سباق لا يردُّه راد، ولا يصدُّه صاد..

وخذ مقطوعةً نثريةً من تحفه، وتأمل معي:

«من قرأ التاريخ هيجَّه على البكاء، والاتَّساء، والاقتداء. كم في التاريخ من زفرة وحسرة وعثرة؟! لقد كان في قصصهم عبرة»^(١).

ثم ينطلق بك، ويحلِّق على ارتفاع القيم، وسمو الهمم، فيقول عن قدواته: «قدَّم المهاجرون أربعة خلفاء، فقدَّم الأنصار أربعة قراء، أهدت قريش مصعب بن عمير، فأهدى الأنصار ابن الحمام عمير.

تأخَّر أنس بن النضر عن بدر، فجمع بين الغزوتين في جَمْعٍ وقَصْرٍ، فقتل في أحد بعد الظهر.

لَمَّا عَذَرَ الله عثمان يوم بيعة الرضوان، عَلِمَ الله صدقه فسَعَت إليه الشهادة إلى الديوان.

أبو بكر صديق، والمخطوطة لا تحتاج إلى تحقيق، والرجل غنيٌّ عن التوثيق، فلم يقتل لأنه أخذ حكم الرفيق.

والسلام على الشهداء، فهم عند ربهم سعداء^(٢).

(١) المقامات: ص ٢٥٦ .

(٢) المقامات: ص ٢١٨ .

ومن علامات الحب كثرة ذكر المحبوب، و«عائض» كثير الذكر لهذا الجيل العريق؛ جيل المثل، والكرامات، والشهادات.. في الكتابات، والمقالات، والأشعار، والكلمات..

ولهذا فهو ينسى من نفسه، ويغفل عن قلمه، فلا يقف به القلم إلا على سير هؤلاء القمم.. وطالع ما خطَّ قلمه بعين قلبك، قبل عينك، وانظر إليه بعين بصيرتك قبل عين بصرك.. «بكى عمر بين عبدالعزيز ثم قال: اللهم إنك قلت: ﴿وَرَحِمْتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ وأنا شيء فلتسعني رحمتك»^(١) ثم تأمل كلامه في شيخه إذ يقول: «الألمعية هبة يهبها الله من يشاء، وابن تيمية له القدر المألَى في هذا الباب، فإذا كانت الألمعية هي سرعة الخاطر وجودة الذهن؛ فإن ابن تيمية الأول في هذا الباب عند أهل العلم؛ فقد كان يفهم المسألة بقوة وجدارة، وكان يعي ما يقرأ، وكان ينتزع الفائدة ويستنبط من النص استنباطاً عجيباً؛ وكان إذا حاور يفهم كلام محاوره، ويرد عليه في سرعة البرق، وكان إذا كتب يسبق خاطره قلمه»^(٢).

ثم يعرفه فيقول: «والرجل كالقمر الوهاج، والبحر الشجاج، شديد المنهاج، قوي الاحتجاج، وهو صاحب قيام وتهجد، وأذكار وتعبد، ويلزم المسجد، ويحب أحياناً العزلة والتوحد، لا يفاخر، ولا تعجبه المظاهر، ولا يكابر، ولا يكثر... إلى أن يقول....: وكأن هذا الإمام للدنيا عين إنسانها، وهدية إحسانها، ضنّت بمثله الأعصار، وطنّت بذكره الأمصار، نحو سيبويه من شفّيته ينساب، ولغة الخليل في فمه تُذاب، كأن المُنْزِي قطرة من مُزْنِه، والكسائي درهم في رَدْنِه»^(٣).

(١) ضحايا الحب: ص ٥٥ .

(٢) إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ١٩ .

(٣) المقامات: ص ٦٨ .

ولو أخذت في التمثيل لطال المقام، والقلادة تفي بالغرض.. وأدعك أخيراً - أيها القارئ الكريم - مع القرني، وهو يفيض بالبديع من القول في سيرة الرسول ﷺ: «مرحباً بالحبیب والأريب والنجیب الذي إذا تحدثت عنه تزاومت الذكريات، وتسابقت المشاهد والمقالات؛ صلى الله على ذاك القدوة ما أحلاه، وسلم الله ذاك الوجه ما أبهاه، وبارك الله على ذاك الأسوة ما أكمله وأعلاه، علّم الأمة الصدق، وكانت في صحراء الكذب هائمة، وأرشدتها إلى الحق، وكانت في ظلمات الباطل عائمة، وقادها إلى النور وكانت في دياجير الزور قائمة»^(١).

ثم يلمع بأسلوب رصين فيقول: «للشعوب قادات لكنهم ليسوا بمعصومين، ولهم سادات لكنهم ليسوا بالنبوة موسومين، أما قائدنا وسيدنا فمعصوم من الانحراف، ومحفوظٌ بالعناية والألطف»^(٢).

٣ - أخذ الفائدة ولو كانت في «حش» إذ إنها دُرّة حسنة، والمياه المحيطة أسنة، وفي السنة «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها».

فلا يكاد يخلو كتابٌ من كتبه من شواهد، وشوارد بلاغية، وحكم نافعة، إما أجنبية، وإما عربية.. والحكمة ضالة المؤمن..

وانظر لكتابه الماتع... «لا تحزن»، وتأملهُ حق التأمل تجد ما قلتُ لك واضحاً جلياً، وطالع شواهد الشعرية تجد الحال أبلغ من المقال؛ فهو أسيرٌ في هوى الكلمة الرائعة، والعبارة البارة، ولذلك، لو كان المتنبئ حياً لقلنا إنه عملٌ له عملاً، ولكن سحر البيان؛ وبلاغة سحبان، جعلت من شيخنا أسيراً مكبولاً أمام الإبداعات، وبالرغم من هذا إلا أنه يُسير

(١) المقامات: ص ٦٨ .

(٢) المقامات: ص ٦٩ .

الكلمة تسييراً شرعياً، ويُعملها إعمالاً إسلامياً، وكأنه في مشروع «أسلمة»..
لروائع المتنبي، وبدائع الشعراء، والأدباء، وأهل الحكمة الفطناء..

وبالرغم من هذا إلا أنه حذرٌ كالذئب، ينام بإحدى مقلتي البلاغة، ليفتح
عين الإيمان على أبيات وحكم بني الإنسان، فما وافق منها الشرع اغترف،
وما خالفه انصرف.. وهذا منهج..

٤ - كثرة الاطلاع، ولزوم القراءة، والحرص على زيادة الحصيلة العلمية،
والأدبية، فأوقات القراءة في حياته عامرة، وأوقات الحفظ والفهم
حاضرة، وهو على هذا صاحب قلم سيّال، ولسان بالحق مقوال، وبغزيمة
كعزيمة الأشبال، وفتح من ذي الجلال..

يكتب ويؤلف، ويصنف، ويتحف..

يلمع، ويسطع، ويبدع، ويبرع..

وهو مع هذا صاحب ذوق رفيع فيما يقرأ، وصاحب حسٍ مرهف فيما
يصنف، وإن تعجب فعجب قولهم: «طنطاوي عصره»..

يقول وهو يتأمل دواوين الشعراء، ويطالع البديع من قولهم «واعلم
- رحمك الله - أن في الشعر تبراً، وتراباً، وزهياً وأخشاباً... إلى أن
يقول: وفي الشعر شعير، وروث بعير، فيه نذالة، وجهالة، ورذالة، فويل لمن
أشغل الناس، وسود القرطاس، وجلب الوسواس، وحاس وداس، وفي ديار
القلوب جاس، ويصيبك من شعره تناؤب وعطاس، ونوم ونعاس، فإذا رأيته
فقل له: لا مساس، ولا بأس عليك منه لا بأس؛ وهذا الصنف لا يردّه
عقل، ولا يردعه نقل، جائزته بصل وفجل، لأنه أُشربَ في قلبه العجل»^(١).

وفي هذا المقطع دلالة واضحة على منهج «عائض»، فإن العاقل... يقرأ كل ما وقع تحت يده، بحسب وقته، ويكتب أحسن ما قرأ، ويعنصر أحسن ما كتب، ويعتني بأحسن ما عنصر، ويحفظ أحسن ما اعتنى به، ويديم فيه المراجعة والنظر، وهذا منهج للانتفاع من القراءة اليومية..

والقرنيُّ حمل في يده قلم الرافعي، وتدفق ابن تيمية، وسهولة المنفلوطي، وتأصيل الباز، وثورة المتنبئ، وعذوبة ابن القيم، ورقة ابن الجوزي، فسبحان من علَّم آدم الأسماء كلها..

يعمد القرنيُّ إلى رابية المعرفة فيقطف منها أزهار العلوم، وجنى الفوائد، وطلع الأوابد، ثم يضعها في إنائه القرنيِّ السنيِّ، فيرجها رجاً، ويهزها هزاً، ثم يسكبها في أذن الرمّاد، فتصفي لها الأفئدة، وتطمئن لها القلوب، وتشرح لها الصدور، وتزهو بها السطور.. فهي بإذن ربي بضاعةٌ لله تبور...

٥ - وعرفت شيئاً من قدر الدين، وجَلا صورتها لي وكشف عوارها، وهتك أستارها، بتصريحه بمعاييها، وتلميحه بمثالبها فهو يقول: «الدنيا وجهها نحس، يباع فيها يوسف بثمن بخس، وحزن يعقوب يكاد يذهب بالنفس، والفراعنة بملكهم يفرحون، وفي دنياهم يمرحون، وفي نعيمهم يسرحون، لكن انظر إلى العواقب، عندما تكشف عن الأولياء النوائب، وتزول عنهم المصائب، فإذا الفرحة الغامرة، والحياة العامرة، والنعيم في الآخرة، أمّا الفُجار فسحابة نهار، ورواحة حمار، ثم نكالٌ في أسوأ دار»^(١)، وصدق الحبيب ﷺ إذ يقول: «لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء»..

فما أعجب هذا الأسلوب، وهذه الرصانة الأخاذة، وهذا الجمال والدر الحسان..
شخص الداء وبيّنه، ثم فصل في الدواء ودلّ عليه من صيدلية أهل الإيمان.

ثم يصرح بتصريحات خطيرة فيقول: «أخرجونا يا قوم من ظلمات عشق
الأعراب، والهيام في الأهواب، فكل ما فوق التراب تراب، وأدخلونا في
عالم الحب الراقي، والدواء الواقى، الذي تطير له الأرواح، وتهتز له
الأشباح في ملكوت الخلود، وعلى بساط رب الوجود»^(١).

فما أجمل هذا التأنق، والتعلق، والتفرق، والتدفق، إنه تأنق في العبارة،
وبراعة في الإشارة وتأمل..

فكل ما فوق التراب تراب.. فالدنيا لا تساوي هذا كله..
والتعلق برب الوجود، الفرد المعبود جل في علاه، وأطراح ما سواه،
والخلوص له.. إنه الله كل شيء في حياة أهل الإيمان.
والتفرقة بين الحب الراقي السامي الملكوتي، وبين حب الشهوة والشبهة
والطين.

والتدفق: في الأسلوب، والعذوبة في اللفظ، والجمال في تصوير المعنى؛
فهل علم بهذا عالم؟ وهل فهم هذا فاهم؟!

كلي أمل ورجاء.. نعم كلي أمل.. ورجاء..
ثم إن ترك ما لا ينفع في الآخرة سعادة دنيوية، وفتوحات ربانية، ورياض
إيمانية، فهل من مجيب؟!

ثم نعود مع «عائض» عوداً على بدء والعود أحمد فيقول: «السعادة ليست
في الزمان ولا في المكان ولكنها في الإيمان، وفي طاعة الديان، وفي

(١) ضحايا الحب: ص ٢٩ .

القلب، والقلب محل نظر الرب، فإذا استقرّ اليقين فيه انبعثت السعادة؛ فأضفت على الروح وعلى النفس انشراحاً وارتياحاً، ثم فاضت على الآخرين؛ فصارت على الظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر»^(١).

إنه مفهوم الحياة الطيبة، والدنيا السعيدة في عين هذا الرجل، وهو وربي الحق؛ مثلما أنكم تنطقون.

ومن أراد اللباب، والشهد المذاب، واللفظ الجذاب، فليطالع رسالة الشيخ الماتعة (ثلاثون سبباً للسعادة)، ففيها خيرٌ وزيادة، وهي العظيم من لا تحزن..

ف (لا تحزن) هو الحاوي للفتاوي في السعادة، والنجاح والريادة..

إن القرني بتشخيصه لأدواء الحزن، واليأس، والكرب، ثم بوصف العلاج ليدعُ الحليم حيران، والحكيم ذا التجربة في شان... من روعة البيان، ونظم الحسان، وإسعاد الإنسان.

فيا من مسته رمضاءُ الحزن، وآذاهُ وهج الكرب، وهَدَّ قواه اليأس اهرع إلى منهل عذبٍ مورود؛ نميره من الكتاب والسنة، فارتو منه وتضلع، فالماء نمير، والخير كثير، ولا تحزن.. هذا وقد تعلمت الكثير... والكثير.. فهيا معي لنزداد علماً، ونبحر في روائع كتبه...



(١) لا تحزن ص ٣٣١ .

«عائض» منهاج الحياة

لا يفتأ القرني وهو يجول بك بين الخمائل وبساتين
الفوائد، أن يقعد ويوصل لمنهج المؤمن في حياته، وطريقته
في تعاملاته سواء في فن التعامل مع الخالق جل وعز، أو
مع النفس، أو مع الآخرين كل بحسبه..

ولم أجد أحسن مساساً بمعالجة النفوس من وقفاته
وفوائده المنهجية الناجعة للقلوب المؤمنة؛ وهذه ميزة تميز
قلمه.. فهو يحمل همّ الناس، ويكتب بأحاسيسهم
ومشاعرهم فيقع على جراحاتهم..

وقد وقفتُ على بعض المنهجيات سواء في الحياة
عامة، أو في القراءة، أو في الكتابة، أو في التجارب
اليومية.. فأفدتُ منها.. وإليك شيئاً منها..



قلة العقل

لنقصان العقل علامات يعرف بها، منها تقديم أمر الدنيا على أمر الدين، فإن من يفعل هذا الفعل مجازف بحياته وآخرته لا يدرك مصلحته، ومنها عقوق الوالدين فهو يدل على اللؤم وذهاب الوفاء؛ لأن هذا جحد للإحسان وكفران للجميل، ومنها الاستخفاف بالسلطان وهذا من الحمق والسخف وعدم التفكير في العواقب، ويستدل على قلة العقل بنشر الأسرار وإفشاء ما يحذر منه والثقة بكل أحد.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٢٤١]

العزلة

في العزلة صعود النفس في سلم العبودية من تلاوة مبكية وتفكر نافع وذكر ومحاسبة وإنابة وتوبة وندم على تفريط، وجود على نعمة، وشكر على عطية، واستعاذة من بلية، وطلب للزيادة، ومحافظة على الأوراد.

وفي العزلة جمع النية وإخلاصها، وعتاب النفس على ما فعلت وتبكيته على ما صنعت، وتأديبها على ما اقترفت، ومطالبته بالزيادة في العبادة والإنابة.

وفي العزلة نفع عظيم للعلماء في تأليف الكتب وتصنيف الرسائل وشرح المسائل والتغليق على المغلق من العلم وحل المبهم وجمع المتفرق ولم تشتت المتناثر وإخراج كنوز الحكمة.

وفي العزلة الاهتمام بالأهل والعيال وتأديب الأطفال والقيام بحقوق الوالدين والزوج والأبناء وتعاهد أحوالهم والاطلاع على أمورهم ورعايتهم وكفائتهم وتعليمهم وتقويمهم.

وفي العزلة النجاة من الفتن وحوادث المحن التي يجرها جهل الجاهل واندفاع الغبي وقلة عقل الصبي وضعف رأي الغافل، وربما وصلت إلى سفك الدماء واختلاف الآراء وذهاب الأموال وتغير الأحوال.

والمعتزل في أمن وأمان، وحرز مُصان، وفي عافية وامتنان، وهذا فعل كثير من الصحابة عند الفتن، فإنهم غلقوا على أنفسهم أبواب الدور، وأرخوا عليهم الستور، ومنهم من فرَّ إلى الصحراء وخرج إلى البيداء ورعى الشاء ليسلم من أراجيف العوام وزعازع الهوام أهل الحوادث الطوام والمشكلات الجسام.

وفي العزلة كتم الأسرار وحفظ الأخبار، فما كل ما يُعلم يُقال، وربما صعب الصمت مع الخلطة وتعسر السكوت مع الناس، وما استعان عبد على قضاء حاجة بمثل كتمان، ومن حفظ سره كان الخيار في يده.

وفي العزلة السلامة من التكلف للناس في الهيئة والتزين لهم في الكلام، والتتبع لهم في الأحوال ومسايرتهم في الأموال، والسكوت عنهم ولو صدر منهم رديء الأفعال، فإن من أنكر عليهم استتقلوه وملوه وهجروه، ومن وافقهم أتلف دينه وأضاع نصيبه وضل سعيه.

وفي العزلة البعد عن المنكرات التي يلزم على العبد فيها الإنكار، وهو قبل رؤيتها سالم العهد بريء الذمة، ولكنه إذا رآها وجب عليه الإنكار بحسب حاله وربما قصر فأثم، وكم من غيبة في مجلس سمعها فما غير، وكم من مخالفة رءاها فما أنكر، وكم من مسألة سئل عنها فكتم وما أخبر.

وفي العزلة أعظم عبرة وأجل فكرة في معرفة حقيقة هذه الدار وحقيقة أهلها، وتذكر القرون الماضية والأجيال الغابرة، كيف نالوا؟ وأين صاروا؟ أين

قصورهم؟ أين دورهم؟ أصبحوا في قعر اللحد طعاماً للدود، وهذا الفكر لا يأتي مع تشتت الفكر، ومن تذكر مع الخلطة فإنما تذكر وهو مشغول مع الناس بقلب لاه وفكر ساه.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٢٢٧ - ٢٢٩]

علم لا ينفع

من علامات العالم الضار الذي لا ينفع صاحبه قسوة القلب وجمود العين وطول الأمل وحب الظهور والتصدر والتقدم على الأقران والتكالب على الدنيا وحب الثناء وكثرة الكلام والحسد والغضب من النصيحة ومحبة كثرة الأتباع وعشق الألقاب الفخمة والازدراء بالآخرين والتقصير في النوافل وحب الخلطة والفرار من العزلة، فإذا وجدت هذه الخصال وأمثالها في طالب علم تم هلاكه واستحكم مرضه وزاد بلاؤه.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٢١٦]

مختارات

■ لما رأى سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قوماً يتنقلون في المسجد بين الظهر والعصر قال: ليست هذه العبادة، العبادة هي: التفكير في دين الله والفقهاء عن الله.

■ خالط الناس ودينك لا يكلمونه - ولا حكيم إلا ذو تجربة - والوقار مع الناس والدعابة مع الأهل.

- سبحان الله ما أنفع صحيح البخاري مهما كرر ومهما قرئ من كتب غيره.
- كلمة معاذ رضي الله عنه لرجل وصاه فقال: «قم ونم؛ وصم وأفطر، واكتسب ولا تأثم، وابدأ بعمل الآخرة، ثم عد إلى حظك من الدنيا ما تنظمه انتظاماً» أو كما قال.
- لما كان يخلو ابن المبارك رحمه الله مع كتبه قيل له في ذلك قال: أجالس الرسول ﷺ وصحابته.
- ما أحسن أن يجمع الخطيب والواعظ آيات وأحاديث ثم يوشحها بأسلوبه الجميل وبقليل من كلام الأئمة ويبسیر من جيد الشعر والأمثال والقصص.
- الإلحاح في الدعاء توفيق من الله، والله عز وجل يقول بعد أن يبين أنه أصلح لذكرها زوجه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، وعمر رضي الله عنه يقول: «إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم السؤال».
- قال بعضهم: إني لأستغفر الله حتى أنال مطلوبی ولا يمنعني كوني في الطريق أو في السوق وربما استغفرت ألف مرة.
- ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، لا في الدنيا ولا في الآخرة فلم الحزن والهم إذاً.
- ما أرق ساعة يخلو فيها المسلم مع رقائق الآيات والأحاديث والأشعار والسير فيذكر الموت ويسكب عبرات التوبة ودموع الإنابة.
- من له همة عالية ومقصد نبيل فليحفظها في قلبه وليكتم سره، ثم يعمل في وسائلها ولا يشيه لومة لائم أو إغراء مغر أو مراعاة أحد.

- ما برز الأخيار والنبلاء إلا بالشجاعة والثقة بالنفس، وإلا فإن عند غيرهم بضاعة وكنوز ولكنهم تخوفوا وجبنوا فما شعوا وما لعوا.
- المكرر أحلى، والعلم النافع ما اعتصم في كل مسألة فيه بدليل.
- على المبتدئ أن يخفي نفسه ويدس شخصه ولا يتعجل الظهور حتى يرش ويغلف ساقه والبدايات لها أثر ف يالنهايات.
- كلمة: لي، وأنا عندي، لا تليق بالعبد الفقير المسكين العاجز.
- إذا احتلطت الأصوات وكثر اللفظ فليكن لك عند الله رغبات في الذكر والدعاء فهذا وقت الهمة العالية.

فما أطل النوم عمراً

وما قصر في الأعمار طول السهر

- المفسدات كثيرة منها فضول الكلام والنظر والخلطة والطعام والنوم والجماع، وكثرة النوم تضعيع الوقت على السالك، وأول اليوم مرحلة مباركة للمسافر تقطع عليه المسافات العظيمة.
- كثرة الخلطة بالناس تعود النفس الخمول والكسل عن طلب العلم والعبادة فهي - أي الخلطة - إما للنفع أو لرفع السامة والملل.
- المجرم الهندي هو من عامل الله بالتقوى فنشر الله طيبه بين الناس فأحبهه القلوب.
- أنفع التفسير هو معاني الكلمات اللغوية ومقاصدها، أما التعلق بكلام الناس، وتشقيقاتهم فهو بعيد عن التفسير ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.
- الخلق الحسن وجه طليق ولكام لين، وأجمع تعريف له هو (ترك الغضب).

- الصادق يعرف صدقه في لحظة ولفظه وسماته ونبرة صوته.
- عمر رضي الله عنه يوم السقيفة يقول: وكنت زورت في صدري كلاماً لأقوله. فعلى المتكلم قبل أن يهدأ ويجمع أفكاره ويركز ما يقوله ويبينه في صدره أولاً ثم يتكلم.
- من فقه الخطيب ترتيله وترسله في كلامه وتقليل إشارته وهدوء نبرته وقوة حجته.
- من جلس معك فلا تتركه حتى تزرع في قلبه خيراً ولو بكلمة أو حركة أو إشارة.
- دقائق الليل غالية فلا ترخصوها بالغفلة، والوقت هو الحياة.
- انظر لكتب شيخ الإسلام لما فيها من فقه ويسر وشمول، وهذا من فتح الله عليه.
- قال ابن المبارك: من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة.
- رب آية واحدة من كتاب الله تعالى تحدث في القلب أثراً عميقاً واستجابة حية وسماعها بقلب واعٍ وسمع يقظ كفيل بالحياة.
- بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، والكرامة لزوم الاستقامة، وثبات النفس على الخير بلا تأخر نصر عليها.
- الجلوس مع الباطلين حمى الربيع، ما جربت انفرادك في طريق وسيرك مع الناس بالنسبة لذكرك وتفكيرك.
- استمع أو اتل أو طالع أو اذكر الله، ولا تضيع من وقتك شيئاً، إذا كانت لك حاجة فأوجز في قضائها.
- إذا جالست الناس فأكثر من التبسم والصمت، ولا تكن مع الذين يجعلون ما رزقهم الله في ظهورهم و في بطونهم.

- سئل أحدهم عن قرض الشعر فقال: هو عمرك فاصنع به ما شئت.
- من راعى الناس في الطاعات فاته خير كثير.
- هل تذكر فوائد الذكر الخفي كما ذكرها شيخ الإسلام؟ فقال أحد العارفين: لا تياس من عدم حضورك مع الذكر فالفتح نفخة.
- من كلام الزهري رحمة الله تعالى: (من أخذ العلم جملة فاته جملة) والبخاري رحمة الله تعالى عليه يرى إدامة النظر في المحفوظ حفظه.
- من كلام ابن عون: (ثلاث أحبهن وأحبهن لإخواني فذكر: تدبر القرآن، وتفهم السنة، وكف الأذى عن الناس).
- المجريات مهلكة للوقت (وهو ذكر ما جرى للشخص في الحياة) وطول العمل مع زيادة في المعرفة.
- من كلام ربيعة بن عبد الرحمن: (لا ينبغي لمن عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه).
- يقول الحسن في النفاق (ومثله الرياء): ما خافه إلا مؤمن وما أمنه إلا منافق.
- العمامة تصنع الشيخ، وطالب العلم يعرف بجلوسه وخشوعه ودخوله وخروجه وسكينته.
- صاحب القرآن يعرف بليلة إذ الناس ينامون، وبصومه إذ الناس يفطرون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبجزنه إذ الناس يضحكون.
- كما تقدم بأن الجودة مع القلة، فمن ألزم نفسه بتدبر القرآن وتفهمه صعبت عليه الختمة، وكذلك الصلاة فمن أقبل عليها بخشوع وإخبات صعبت عليه الكثرة، بينما عدم الجودة تغري بالتكثير والسرعة.

العُجب يقصم الظهر

وجدت أن النفس تعجب إذا رأت صاحبها سُدد في عمل أو أحسن في قول أو أبدع في صنعة، فإذا أراد الله بالعبد خيراً ابتلاه بتقصير يقذع نفسه ويذهب كبره ويجتث شجرة العجب منه، فيكون الخطأ والتقصير رحمة في حقه. وكم رأينا من حافظ للعلم سريع البديهة ذلق اللسان رأى لهذه المواهب من نفسه فأعجبته وتاه بها وباهى، منسلب التقوى والإخلاص، وعند بعض العباد من رؤية أنفسهم وتزكيتهم لها وازدراؤهم لسواهم ما يلفت النظر ويفوق الوصف، فكم من عابد إذا ذكر العصاة تأوه وهز رأسه وكاد لا يصدق مع العلم أننا كلنا ذاك الرجل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ١٤٧]

النفق المظلم

عرفت شباباً تتسكوا وحفظوا القرآن وتعلموا السنة وأصبح على وجه الواحد منهم نضرة النعيم بسبب العبادة والذكر والخشوع، ثم مالوا إلى السياسة وحديث الساعة والقليل والقال والقضايا الدولية والاقتصادية بحجة العلم بالواقع، فذهب ذاك البريق وأنسى القرآن واندثر علم السنة لديهم، وكثر كلامهم واضطربت أقوالهم، وضاعت أوقاتهم، واشتغلوا بما لا يعني، وتكاسلوا عن العبادة وهجروا قيام الليل. وهذه الملاحظة لاحظها غيري من طلبة العلم وهم كثير.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ١٤١]

سنة

لابد للعلماء والشعراء والمؤلفات المتميزة من مضادة ومنادة حتى تشتهر وتذاع وتعرف، كما قال المتنبي:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم

وهذه سنة، وانظر في أحوال علماء الأمة وشعرائها الكبار ومؤلفاتهم المؤثرة، أما العادي فهو أقل من أين يصادم.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٩٩]

ونيسرك ليسرى

الرسول ﷺ بعث بالحنيفة السمحة ونُهي عن التتبع والتعمق والتشديد على النفس، وقد رأيت مشدداً على نفسه وأهله وإخوانه وجيرانه فأصبح بعد التزامه ثقل الظل جهم المحيياً فظاً غليظ القلب، وما أدري من أين أخذ هذه الأخلاق؟ والقرآن والسنة يدعوان إلى حسن الخلق ولطيف العشرة وجميل الخطاب، ولكنه عكس الأمور وقلب المسألة، تبسم نادر وقاموسه مليء بالنقد والسب والتشفي. وهيئته مبعثرة شعثة، وكان المفروض فيه أن يكون بعد تدنيّه أحسن الناس خلقاً وأجملهم هيئة وألطفهم عشرة، فليت هؤلاء فرووا سيرة الرسول ﷺ واتبعوه ليسعدوا ويسعدوا غيرهم، فقد كان ﷺ يمزج مع أهله ويداعب الأطفال ويلطف الناس ويتحمل أذاهم، وهو الأسوة الحسنة؛ والمعصوم من الهوى والشیطان، فدعونا من فلان وفلان من أهل الزهد والنسك والتصوّف، وهلموا إلى الرحمة المهداة ﷺ.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٨٤-٨٥]

أصدقاء الرخاء

كل الناس في الرخاء أصدقاء وأعوان خاصة لمن كانت الدنيا مقبلة عليه بمنصب أو مال، فتجدهم يخدمون صاحب المنصب والمال ولو لم يجدوا عنده نفعاً، على أمل أن ينفعهم أو يتزينوا بصحبته، لكن إذا قلبت له الدنيا ظهر المجن تتكر له أصحابه ونسيه أحابيه. والواجب عدم الركون إلى الناس مطلقاً بل الركون إلى الله وحده، فإن الناس سحابة صيف وذباب طمع، بل ربما كانوا أعواناً للمصيبة بالشماتة والتشفي، وكل منهم إنما يريدون غرضهم منك فإذا وجدوه طاروا عنك إلى أناس يعدون على الأصابع وقليل ما هم.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٨٠]

الوَادُّ لِلْعِلْمِ

معاندة السلطان من أشد المحن وأضرها على العالم، فإن هذه المعاندة تمنع الناس من الانتفاع بعلمه، ويكون العالم مقيداً محصوراً عن نشر علمه، وبث فوائده، وهذا وأد خفي للعلم، ومن تعلم سياسة العلم نفع، والحكمة موهبة ربانية. أ. هـ.

بهذا يعرف العالم حاجة الناس إليه، فلا يمنعهم الخير؛ فقليلٌ مستمر خير من كثيرٍ منقطع.. فهل أدركنا هذا كما فهمه الشيخ، وأدركه، وهو يتكلم وقد عركته السنون، ومرت به التجارب، ولا حكيم إلا ذو تجربة كما في الأثر...

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٦٨]

أهداف سامية

يقول أحد المعاصرين: إن ابن تيمية ترك الدنيا وما فيها لأهلها، وطلب الآخرة ممن يملكها سبحانه، أما المعاصرون له في الغالب فكان لهم عمام كالأبراج، وأكمام كالأخراج، همهم الولاية والأوقاف، وجمع أموال اليتامى، والتصدر في المجالس، وحضور مواكب السلطان والفرح بالأعطيات، وجمع الأموال، وتكديس الخزائن، والشهرة في العامة، وطلب التبرك منهم، والانصياع لأوامرهم، وتنفيذ مراسيمهم، فذهبوا وانقضوا وانتهوا وماتوا بآثارهم، وبقي هذا الإمام الذي عاش فقيراً، معدماً ولم يتول أية ولاية صغيرة أو كبيرة، حتى إمامة المسجد أو الأذان، فبقي في القلوب محفوراً اسمه، منقوشة حروف علمه في الأذهان والضمائر، وصار آية للسائلين، وقصة من قصص العبقريّة، وأحدوثه من أحاديث التجديد واللموع.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ١٣٣]

الفرقة شر

إن إقامة دولة مسلمة هو أمر مطلوب على العام والخاص، ولكن إذا لم يستطع الإنسان إلا أن يكون في ظل دولة مسلمة، وعندها قصور وجور وظلم وأخطاء، فإن عليه أن يتقي الله عز وجل، وأن يعمل بالشرع في ذلك، وأن يدعو ويصبر، وأن يطيع في طاعة الله عز وجل ولا يوافق في المعاصي، لكنه لا يخرج عليهم، ولا ينازحهم السيف، ولا يدعو إلى الفرقة؛ لأن الشر في ذلك عظيم والفساد كبير.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ١٣٠ - ١٣١]

الشمول... والتكامل

أتى إلى الفساد السياسي فدعا الحكام إلى العمل بشريعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وشافه الحكام بهذه الدعوة وراسلهم وكاتبهم، ووجد من بعضهم الأذى، وحُبس في ذلك وأظهر دعوته، وكتب في ذلك (السياسة الشرعية)، ونهى عن الظلم، ودعا إلى تقديم الملة على الأحكام الوضعية القانونية الأرضية، وأخبر بأنه لا يسع أحداً من الناس - سواء الملوك أو العامة - الخروج عن شيء من شريعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وقام في ذلك المقامات التي شهد بها القريب والبعيد، وزار السلاطين في بلاطهم، ودخل دواوينهم، وخطب بين أيديهم، وكاتبهم وراسلهم، وقام المقامات المشهودة عند العامة، في مجامع الناس، ونازل أعداء الشريعة وبارزهم في الميادين العامة، وفي المجالس الخاصة، وفي أماكن النظر، وفي محلات التدريس، فكان بحق شاغل تلك الفترة بالحديث والأخبار والأخذ والعطاء... إنه أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ١٢٥ - ١٢٦]

الدين يسر

الدين يسر، ومن أعظم صفات الدين أنه سهل لا صعوبة فيه ولا تعقيد، والله يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وقد فهم ابن تيمية ذلك، وفقه هذه المسألة أتم الفقه، فكان - رحمه الله - يسيراً سهلاً في فتاويه، وفي أحكامه الصادرة، وفي مناقشاته، يدرك اليسر في دلالة النصوص، وفي مقاصد الشريعة، فتجده إذا تكلم في أبواب المعتقد أتى بأيسر المسائل، وبين لك أن الدين أتى لرفع الحرج ووضع الآصار والأغلال عن الأمة،

وتكلم عن مسائل العفو والتوبة والمسامحة والمغفرة والرحمة، وإذا تكلم في الفروع أتى بالرأي الأيسر الذي يسعفه الدليل. أ. هـ.

وكم نحن بحاجة إلى مثل هذا الفهم العميق للنصوص، والتطبيق الصحيح لها على الواقع...

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ١٠٣]

الوسطية

التوسط في الأمور يدل على العلم التام، والخشية المتناهية، والعقل الراجح، وكذلك كان شيخ الإسلام؛ فهو يحمد ربه - سبحانه وتعالى - أن أهل السنة وسط في المسائل، كما أن أهل الإسلام وسط في الدين والملة، فهم وسط بين اليهود والنصارى، وكذلك أهل السنة وسط في باب الأسماء والصفات بين المجسمة الممثلة والجهمية المعطلة، ووسط في القضاء بين القدرية والجبرية، ووسط في الوعد والوعيد بين المرجئة والخوارج، ووسط في حب أهل البيت بين النواصب والروافض. أ. هـ.

وهذه دعوة منهجية علمية عملية من شيخنا لترسم منهج الوسطية في الحياة؛ في كل نواحيها ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٩٣]

عمرُ مبارك عاشهُ شيخُ الإسلام

لو قلتُ جازماً غير مغالٍ إنه أنفع للمتأخرين من الدولة العباسية التي عاشت ستمائة سنة وحكمها سبع وثلاثون خليفة، لما كنت مبالغاً في ذلك؛ فإن

نفعه في كتبه ورسائله انتشر في الجامعات والمدارس وعلى المنابر وفي حلقات العلم، وفي وسائل الإعلام، وفي المنتديات والمؤتمرات، ما لم ينتشر أثر هذه الدولة التي عاشت هذا العمر الطويل.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٨٣ - ٨٤]

منهج

ابن تيمية لا يجتزئ المسألة اجتزاءً، ولا يأخذ بطرفها، وليس بالذي يريد الإشارة إليها مجرد إشارة، لكنه العالم الذي يقتل المسألة بحثاً، فيستولي على أطرافها، ويفصلها تفصيلاً، ويشرحها شرحاً كافياً، بعد الإيمان بها دراسةً وبحثاً وتحصيلاً، وهذا هو الرسوخ في العلم.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٧٩]

ويمكرون ... لإسقاط شيخ الإسلام..

وبالفعل سجن خمس مرات، وكادوه، ومنعوا كتبه، ومنعوه من التدريس، ومنعوه من الحديث ومواجهة الناس، وتناولوا عرضه، وشتموه وسبوه، وجلد مرة من المرات، وأخرج من دمشق إلى مصر، كل ذلك والرجل منشراح الصدر، صابر مصابراً محتسب على ما أصابه في سبيل الله، مصرٌّ على تبليغ فكرته، مستمر على الدعوة إلى الله عز وجل، لا يزيده الكيد إلا قوة وثباتاً وصبراً واحتساباً، فصار مضرب المثل في ذلك كله، وتعجب أصدقائه وخصومه من شجاعته ومن إصراره - رحمه الله -، فما شاه حبسٌ ولا قيدٌ ولا جلدٌ ولا ردودٌ ولا تهديدٌ ولا وعيدٌ عما قام له من تجديد أمر الأمة، بل كلما آذوه ازداد نشرًا

لعلمه، وصبراً على خصومه، وحباً لأصحابه، وثقة في موعود ربه، وتقويض الأمر إلى خالقه، ورضاً بكفايته ووكالته - سبحانه وتعالى -، وتفاؤلاً بالعاقبة الحسنة، وبذلك صارت له - بفضل الله - العاقبة الحسنة، فانتشرت كتبه وتآليفه، وانتصر على حاسديه، وكُبت خصومه، وصارت الدولة له والدائرة على أعدائه.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٧١ - ٧٢]

لكي تفهم كتبه.. تعلم أنه

أحياناً يوجز في الجواب ويقول قد بسطت ذلك في موطن كذا، وأحياناً يكرر الجواب ولكنه لا يكرره بفصه ونصه، بل يأتي بفوائد عجيبة وغريبة لم يوردها في الجواب الأول.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٥٨]

قبولٌ عجيب

وأصبح من أراد أن يقوي كلامه يأخذ في غضون حديثه كلاماً لابن تيمية فيصبح مقبولاً عند الناس، وهذا من فضل الله على هذا العبد الصالح الجليل، فليس فقط صلاحه في نفسه وتأثيره في كلامه، بل تأثيره في كتبه وعباراته الرائدة الرائعة^(١).

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٥٦]

(١) وليست هذه القوة في المعنى والمبنى إلا من تأصيله على الكتاب والسنة.. وهذا من أمانة قبول عمله وعلمه - رحمه الله رحمة واسعة -.

المنهاج منهاج

من أحسن كتب شيخ الإسلام على الإطلاق (منهاج السنة)، ولو ذهب
 ذاهب من مكة إلى الصين حافياً ماشياً لطلب هذا الكتاب لكان سفره قليلاً،
 فإن الرجل بحق أتى بكتاب لم يُسمع بمثله.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٤٦]

ثمرة العلم

لا خير في العلم إذا لم يورث عالماً عابداً صالحاً مصلحاً، ولا أثر لمعرفة
 الإنسان إذا لم ترشح على تصرفاته أخلاقاً وسلوكاً.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٤٢]

قاعدة.. تيمية

الفقه هو إدراك معنى النص والغوص في دلالة النقل.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٣٩]

فائدة بديعة

فهو المنظر لأهل السنة في باب المعتقد.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٢١]

قاعدة في حياة ابن تيمية

وليس حفظاً فقط بل حفظاً بفهم.

هذا هو

وقادُ ذهن إذا سالت قريحته

يكاد يُخشى عليه من تلهبه!

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ١٧]

العزلة

العُزلة مملكة الأفكار، والدواء كل الدواء في صيدلية الأذكار، وإذا أصبحت طائعاً لربك، وغناك في قلبك، وأنت آمن في سربك، راضٍ بكسبك، فقد حصلت على السعادة، ونلتَ الزيادة، وبلغت السيادة.

واعلم أن الدنيا خداعة، لا تساوي هم ساعة، فاجعلها طاعة.

[مقامات القرني: ص ٤٠٩]

أعذار البخلاء

واعلم أن البخيل كثير الأعذار، دائم الإنذار، فإن جئته مبكراً قال: ما لك تقدمت؟ وإن أبطأت قليلاً قال: هداك الله تأخرت، إذا حلَّ به ضيف نسي الترحيب، وقال: هذا يوم عصيب، وإن طرقت بيته طارق، رآه كأنه سارق، وإذا دخل عليه الضيف قلَّ الكلام، وأكثر على أهله السبَّ والخصام، ولا يسأل

الضيف عن أخباره، بل تراه كثير القيام والقعود بداره، وتراه لا يترك في البيت صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فهو يعرف ما له علاقة بالنفقة قد ضبطها ووَعَاها، إذا نقص دينه ذكر المعاذير، وأن الإنسان لا يَسْلَمُ من التقصير، فإذا أراد أحد التعرض لشيء من ماله، أنكر بقلبه ويده ولسانه، وأشهر الحمية والأخذ بالثأر ولو من إخوانه، قد هَيَّأ العذر لكل حاجة، وإن لم يجد استعمل الغضب واللجاجة، فإن أتاه طالب، ووفد إليه راغب، قال: الحقوق كثيرة، والحاجات كبيرة، ويُعيد عليك متن: «خير الناس، من لا يحتاج إلى الناس، وأفضلهم من كَفَّ عنه البأس».

[مقامات القرني: ص ٤٠٣ - ٤٠٤]

يا نومان

العلم في الحركة، كأنه شركة، وقلبك خربة، كأنك خشبة، الطير يغرد، والقُمْرِيُّ ينشد، والماء يتمتم، والهواء يههمهم، والأسود تصول، والبهائم تجول، وأنت جثة على الفراش، لا في أمر عبادة ولا معاش، نائم هائم، طروب لعوب، كسول أكول.

استيقظ على نبرات الخطاب الشرعي، ودعنا من وساوس الهاجس البدعي؛ لأن الشريعة تدعو للهمة البديعة، تقول لأتباعها: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾، لأنهم حملوا كتابهم، وألقوا للعالم خطابهم فهداهم ربهم صوابهم.

وأهل السَّوَالِف، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف؛ لأن لهم في الضلالة سوابق، فهم يتصيدون كل مارق، عن الحق أبق، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾، فهبوا وتركوا مضجعهم، ولو أراد الله بهم خيراً لأغاثهم، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾.

الفرس بهمتهم يعرض لجامه ويلوك، فركبه الملوك، والحمار أثر المقام في
الرباط، فضرّب بالسيّاط.

[مقامات القرن: ص ٣٩٧]

بضاعة الفقه

الفقه أغلى بضاعة في سوق العلوم، وأشرف مواهب القوم، فإنك تجد
الفقيه محل الاعتبار، ترمقه الأبصار، ويعظمه ذوو الأخطار؛ لأن حاجة الناس
إلى الفقه شديدة، ومجالس الفقهاء لكل الطبقات مفيدة، وقد تجد الرجل في
اللغة من الأعيان، يُشار إليه بالبنان، وترى النحوي أصبح مرجعاً في علمه،
جهبذاً في فهمه، وتُبصر الشاعر بشعره الرائع يخلب لبّ السامع، وتشاهد
الخطيب يستولي على القلوب، ويأتي بالقول المحبوب، غير أن الفقيه الربّاني،
يجمع محاسن المعاني، ويبلغ بهمته الأمانى، وقد بزّ الكل، وارتقى المحل الأجلّ،
لعظيم حاجة الناس إليه، وتزاحمهم عليه.

وقد عرفت بالتجربة، أن الفقه أجلّ موهبة، إذا قرّن بالدليل، وبُنِيَ على
التأصيل، فإنني رأيت الفقيه إماماً، وفي كل جمعٍ مقداماً، وحضرت
اجتماعات، وندوات، ومحاضرات، وأمسيات، فإذا الفقه أعظم مطلوب، وأجلّ
موهوب.

[مقامات القرن: ص ٣٨٢ - ٣٨٣]

معين السلف

القرآن كافٍ شافٍ، بلا كشّافٍ؛ لأن الزمخشري في سوق البدعة يشتري، لحن في العقيدة، وأعرب في القصيدة، لو شرب من معين السلف الماء الزلال، لما وُرد نهر الاعتزال. بعض الظلّمة من الرؤساء كان فصيحاً، وظلم ظلماً قبيحاً، قال: أنا إمام عادل، وورع فاضل، فقال شُعبة: أنت عادل إمام، ولكنك قدمت وأخرت في الكلام.

[مقامات القرنين: ص ٣٦٨]

اللحن

هنا لحن في الذات، ولحن في الصفات، ولحن في الكلمات، فلحن الذات: التكرّر للمعبود، وغبش الرؤية للوجود، ولحن الصفات: هجر الآداب، والتنازع بالألقاب، ولحن الكلمات: الجهل بالحركات والسكنات، والفتحات والضمّات.

[مقامات القرنين: ص ٣٦٦]

حصاد الرذيلة

هذه القنوات للتدمير والتزوير والتبرير والتحرير والتتوير والتغيير والتخدير، فهي تدمّر الفضيلة والمبادئ الجليلة، والأخلاق الجميلة، وهي تزوّر الخبر، وتكذب في الأثر، وتلبس على البشر، وهي تبرّر الغلط، وتوجّه الشطط، وهي تحرّر العقل من القيود، والنفوس من العهود، ليعيش الإنسان بلا حدود، وهي تنوّر الفكر لكن بالظلام، وتغسل القلب لكن بالآثام، وتدعو النفس

لكن للحرام، وهي تفرّ بالجيل وتُسيهم الجليل، وتوقعهم في كل خطر وبيل، وهي تخذّر الشعوب، وتبّج القلوب، وتحبّد الذنوب، وتشر العيوب، وتذكّر بكل شيء إلا علام الغيوب.

يا من يدعون للإباحية! إنكم في الإثم غارقون، يا من ينادون بالكفر! إنكم في الحياة مارقون، ويا من سلّبو الأمة ثرائها: ﴿أَيُّهَا الْعِزُّ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

[مقامات القرني: ص ٢٨٨]

الداعية الناجح

فالدّاعية الناجح، والواعظ الصالح، من جعل محمداً ﷺ إمامه، فعرف هديه وكلامه، فراش بهداه سهامه، وجمل بسنته مقامه. والدّاعية من كان بالناس رفيقاً، وعاش معهم رقيقاً، وصار بهم شقيقاً، فاجتنب العنف والتجريح، والإسراف في المديح، فلزم القول اللين، والخلق الهين، فصار لقلوب الناس طبيباً، ولأرواحهم حبيباً.

[مقامات القرني: ص ١٩١]

الإمامة عند الباز

الإمامة عند هذا الإمام: يقين عند الشُّبُهات، وصبر عند الشهوات، وتحمل للمسؤوليات. لم يكن هذا الإمام في فتواه يفرّع المسائل حتى يُحير السائل، بل وضوح في العبارة، ولطف في الإشارة، فلا إسهاب يُشتت الأذهان، ولا اقتضاب يربك الحيران، بل إصابة للقصد، مع اختصار للجهد. هو أدري بقوله تعالى: ﴿وَنَسِرْكُ لِّلْيسْرِى﴾.

وقالوا: من تابع الرسول، ووقف مع المنقول، وترك المفضول، نال القبول، وكذلك كان رحمه الله.

وقالوا: من تقيّد بالمأثور، وآمن بالمقدور، وعمل بالمأمور، واجتنب المحذور، فعمله مبرور، وسعيه مشكور، وهو مأجور، وكذلك كان رحمه الله.

وقالوا: من أرضى الحق، ولطف بالخلق، وصدق في النطق، وعمل في رفق، حصل من الربّ على القُرب، ومن الناس على الحبّ، وكذلك كان رحمه الله.

[مقامات القرني: ص ١٨٦ - ١٨٧]

باب المجد

باب المجد لا يقرع بقصائد مُحَبَّرَة، ولا بأقلام معطّرة، ولا بخطب مُسَطَّرَة.

إنما يقرع باب المجد بسيوف بَتَّارة، وهمم هِدَّارة، وعزائم فَوَّارة، ليحيا من حي على بَيِّنَة من الخلود، والسؤدد والسَّعود، ويهلك من هلك على بَيِّنَة بأمانيه المضلَّلة، ووساوسه المعطَّلة. وعبد العزيز أسهر بالكفاح ليله، وأسرج بالعزم خيله، ففتح له الملكُ بابه، ورفع له المجد حجابَه.

فلا تحسبن المجد دُفَاً وقينةً

فما المجدُ إلا السيف والفتكةُ البكرُ

وتضريبُ أعناق الملوك وأن تُرى

لك الهَبَّوات السودُ والعسكرُ المجرُ

وتركك في الدنيَا دويًّا كأنَّما

تداولُ سَمْعَ المرءِ أنمله العِشْرُ

[مقامات القرني: ص ١٧٦]

منهج

قبل أن تدرّس الناس الفروع الفقهية، صَحِّحْ لهم مسألة الألوهية، وقضية العبودية، لتُتَوَّى البيوت من أبوابها، وتردَّ المسبِّبات إلى أسبابها.

وقبل أن يعلم الناس أبواب السياسة، وطرق الوصول إلى الرئاسة، يجب تعليمهم الدين الخالص الذي دَعَا إليه الأنبياء، والتوحيد الحقّ الذي جاءت به الملة الغراء.

[مقامات القرني: ص ١٦٨]

تعريف العلم عند ابن تيمية

ليس العلم عند ابن تيمية جبة مدوّرة، ولا عمامة مكوّرة، ولا هيئة مصوّرة، بل العلم تقى عميق، ودليل بتحقيق، وفهم دقيق. وليست المنزلة عند ابن تيمية مراتب ومناصب وتكالب؛ بل تضحية وجهاد، ونفع للعباد، وإصلاح للبلاد. سفينة علمه لُعباب الجهل ماخرة، فاتاه الله ثواب الدنيا وحُسن ثواب الآخرة. معالم علم الرجل: فهم للسُّور، واتِّباع للأثر، وجمع للدرر، وإيمان بالقدر، وجهاد لمن كفر، جعله الله في مقعد صدق عند مَلِيكٍ مقتدر.

[مقامات القرني: ص ١٥٥]

وصفة

السَّلف كالعيون، علاجها أن لا تُمسَّ، وكالدَّرر جمالها أن لا يُدسَّ، والسَّلف كالماء الزَّلّال لا يشوبه الطين، وكلامهم مبارك متين، لا يفهمه إلا فطين.

السَّلفُ أعلم، وأحكم، وأسلم، وأحلم، وأكرم، والمبتدعة أظلم، وأغشم،
وأشأم، وأجرم، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ والقحط والصيب.
الدُّبَابُ إذا وقع في الإناء، فاغمسه فإن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر
دواء، وإذا وقع المبتدع في إناء السُّنة النبوية، فأهرقه بالكلية، لأن في جناحيه
كليهما بَلِيَّةٌ.

[مقامات القرني: ص ١٢٨]

تعريفات

الخوارج كفّروا بالكبيرة، وأخرجوا المسلم من الدين بالجريرة، وحملوا
السيف على أئمة الحيف، وخلّدوا الفاسق في النار مع الكفار.
والجبرية قالوا: إن العباد جُبروا على الذنوب، وقُهرُوا على معصية علام
الغيوب.

والقدرية قالوا: لم يسبق القدر علم ولا كتاب، والأمر مستأنف خطؤه
والصواب.

والأشعرية أثبتوا الأسماء وسبعاً من الصفات، وأولوا الباقيات، ولهم
مقالات زائفات.

والسَّلفُ قابلوا النصوص بالإذعان والتسليم، والتوقيير والتكريم، فأمرُوها
على ظاهرها كما جاءت من غير تمثيل، وقبلوها من غير تعطيل، وعرفوها من
غير تكييف، وفهموها من غير تشبيه ولا تزيف.

[مقامات القرني: ص ١٢٥ - ١٢٦]

علم ضار

علم لا يلزمك تكبيرة الإحرام مع الإمام، فهو جهل وأوهام، وعلم لا يدعوك إلى الصدق في الأقوال، والإصلاح في الأعمال، والاستقامة في الأحوال، فهو وبال، العلم ليس مناصب ومواكب ومراكب ومراتب ومكاسب.

[مقامات القرني: ص ١١٨]

ساسة طغاة

يوم فصلت السياسة عن القرآن بزغ ساسة طغاة عتاة قساة جبارون سفاكون سفاحون ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

ويوم قطع الاقتصاد عن القرآن نتجت أموال ملوثة وتجارة محرمة ومعاملات ربوية ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.

[مقامات القرني: ص ١٠١]

بين اللاء والنعم

قيل للقرآن: «نعم» عند السلف فنالوا به الشرف، وحصلوا به على التحف.

وقيل للقرآن: «لا» عند الخلف، فوقعوا في الترف، وأصيبوا بالتلف، وحصلوا على الخيبة والأسف.

قيل للقرآن: «نعم» في المآتم والأعياد والموائد والمهرجانات والاحتفالات.

وقيل للقرآن: «لا» في أمور الحياة، وقضايا الإنسان، ومعاهدات الدول، ومواثيق الشعوب، وهموم الأمة.

وقال أكثر العالم للقرآن: «نعم» في افتتاح المؤتمر وختام الجلسة وعلى القبر، وعند عقد النكاح، وعلى روح الميت.

وقالوا للقرآن: «لا» في أول مادة القانون، وفي بداية الدستور، وعند إصدار الحكم وزمن التنفيذ، فَتَنَعَمَ للقرآن عندهم في المسجد والمقبرة والصلاة والمولد والمأتم، ولا للقرآن في القصر والميدان والمصنع والشركة والجيش والمحكمة والاقتصاد والسياسة والفكر والفن، فَتَنَعَمَ للقرآن عند الموت، ولا للقرآن عند الحياة ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

[مقامات القرني: ص ٩٩ - ١٠٠]

قاعدة نافعة

معاندة السلطان من أشد شيء وأضره على العالم، فإن هذه المعاندة تمنع الناس من الانتفاع بعلمه، ويكون العالمُ مقيداً محصوراً عن نشر علمه، وبث فوائده، وهذا وأد خفي للعلم، ومن تعلم سياسة العلم نفع، والحكمة موهبة ربانية.

[حقائق ذات بهجة: ص ٣١٦]

لن.... تستطيع

إنك لن تستطيع أن تغلق أفواه هؤلاء ولن تستطيع أن تعتقل ألسنتهم،
لكنك تستطيع أن تدفن نكدهم وتجنهم بتجافيك لهم، وإهمالك لشأنهم،
واطراحك لأقوالهم ﴿قل موتوا بغيظكم﴾.

بل تستطيع أن تصب في أفواههم الخردل بزيادة فضائلك وتربية
محاسنك وتقويم اعوجاجك.

[حدائق ذات بهجة: ص ٣٠٩]

ميزانك

إن جعت في هذه الدار أو افتقرت أو حزنت أو مرضت أو بخست حقاً أو
ذقت ظلماً فذكر نفسك بالنعيم والراحة والسرور والحبور والأمن والخلد في
جنات النعيم، وإنك إن اعتقدت هذه العقيدة وعملت لهذا المصير تحولت
خسائرِك إلى أرباح، وبلاياك إلى عطايا فافهم.

[حدائق ذات بهجة: ص ٢٧٠]

اقبل الحياة كما هي

طبعت على كدر وأنت تريدها

صفواً من الأقداء والأكدار

هذا حال الدنيا منغصة اللذات، كثيرة التبعات، جاهمة المحيا، كثيرة
التلون، مزجت بالكدر، وخلطت بالنكد، وأنت منها في كبد.

[حدائق ذات بهجة: ص ٢٢٣]

اصدق مع نفسك

إنك لو صدقت مع نفسك بإرادة فولاذية صارمة عارمة لأخضعتها لنظرية: لن أعيش إلا هذا اليوم. حينها تستغل كل لحظة في هذا اليوم في بناء كيائك وتنمية مواهبك، وتزكية عملك، فتقول: لليوم فقط أهدب ألفاظي، فلا أنطق هجراً أو فحشاً، أو سباً، أو غيبة. لليوم فقط سوف أرتب بيتي ومكتبتي، فلا ارتباك ولا بعثرة، وإنما نظام ورتابة.

[حقائق ذات بهجة: ص ٢١١]

العوام.... هوام

هم العوام الهوام الطوام، يغلون الأسعار، ويسدون السيل ويطفئون الحريق، ويحضرون نطاح الكباش، ومناقرة الديوك، ويجلسون على الطرقات يسألون عن الأخبار والأمطار اتباع كل ناعق، ذباب طمع، إن أقبلت الدنيا عليك طلبوك حتى ملوك، وإن أدبرت جفوك ومقتوك، لا تثق بمدحهم فهم الدهماء والغوغاء البلداء الأغبياء السفهاء.

[حقائق ذات بهجة: ص ٢٠١]

الفاشلون

الفاشلون في الحياة يحفظون قصص الرخص، وأحاديث الراحة، وأخبار اليسر والسهولة. فهم في فسحة دائماً، وفي نزهة وراحة ومتعة، الضحك.. العبث.. الهذيان.. الغفلة.

من صلى من هؤلاء الصنف قام إليها بكسل وحضرها بذهول ونقرها بشرود،
وختمها بلغو، ونقضها بذنب. آخر مَنْ يدخل المسجد، وأول من يخرج منه.
[حقائق ذات بهجة: ص ١٩١]

فوائد

فوائد التجارب: معرفة الزمان والإخوان، وتقلبات الحدثان، والصبر على
الامتحان.

وفوائد الحاسد: الدعاية والإعلان، ونشر الفضيلة والعرفان، وأجر على
غييبته لك من الرحمن.

وفوائد الأعداء: التنبه للأغلاط والزلات، وصيانة النفس من الهفوات،
والتنافس على الخيرات.

فوائد الفكر: كسر النفس، وإذهاب العجب، وذبح الكبر، والاستكانة للرب،
والتخفف من الحساب، وقلة التبعات والمنع من الطغيان.

[حقائق ذات بهجة: ص ١٧١]

ذبح شرعي

اذبح الفراغ بسكين العمل، ويضمن لك أطباء العالم ٥٠٪ من السعادة
مقابل هذا الإجراء الطارئ فحسب، انظر إلى الفلاحين، والخبازين والبنائين
يفردون بالأناشيد كالعصافير في سعادة وراحة، وأنت على فراشك تمسح
دموعك وتضطرب لأنك ملدوغ.

[حقائق ذات بهجة: ص ١٢٣]

الفراغ وخطره

من الفراغ تكون الصبوة، وتحصل النزوة، وتحدث الخطرة، والفراغ بستان الأمانى، وعش الوسوس، ومستودع الأراجيف، والفراغ صحراء جرداء من التيه، يضل فيها العقل، ويعمى فيها البصر، ويذهب فيه الرشد، وفيه يزحف الخوف بجيوش الخيال، ويقبل ليل التوقع بكتائب المصائب، والفراغ فرصة لروغان الذهن عن الجادة، وميل الفهم عن السداد، وهو خربة للشيطان، ومزرعة للهو والعصيان، وهو نعمة قلما تشكر، وهبة ما أكثر ما تكفر.

فالفراغ كالحالم في منامه، يبني دوراً، ويشيد قصوراً، فإذا استيقظ وجد عمله بوراً، والفراغ كالذي يكيل ماء البحر، لأن البحر لا يكال، ومعرفة قدره من المحال، والاشتغال بذلك من أتفه الأشغال.

الفلك يدور، والشمس تجري لمستقر لها، والقمر قُدر منازل، والصبح يتنفس، والليل يعسعس، ولكن الفراغ واقف ينتظر، جامد لا يتحرك، قائم لا يمشي، لأنه أخلد.

[حدائق ذات بهجة: ص ٨٣ - ٨٤]

وليسعك بيتك

العزلة الشرعية: بعدك عن الشر وأهله، والفارغين واللاهين والفوضويين، فيجتمع عليك شملك، ويهدأ بالك، ويرتاح خاطرك، ويجود ذهنك، بدرر الحكم، ويسرح طرفك في بستان المعارف.

إذا فرجائي الوحيد إقبالك على شأنك، والانزواء في غرفتك إلا من قول خير أو فعل خير، حينها تجد قلبك عاد إليك، فسلم وقتك من الضياع،

وعمرِكَ من الإهدار، ولسانِكَ من الغيبة، وقلبك من القلق، وأذنكَ من الخنا،
ونفسِكَ من سوء الظن، ومن جرّب عرف، ومن أركب نفسه مطايا الأوهام،
واسترسل مع العوام، فقل عليه السلام.

[حدائق ذات بهجة: ص ٧٠ - ٧١]

أصل في الراحة

أجلِسْ قلبكَ على كرسِيّه، فأكثر ما يُخاف لا يكون، ولك قبل وقوع ما
تخاف وقوعه أن تقدّر أسوأ الاحتمالات، ثم توطّن نفسك على تقبّل هذا
الأسوأ، حينها تتجو من التكهّنات الجائرة، التي تمرّق القلب قبل أن يقع
الحدث فيبقى كقول الأوّل:

كَأَنَّ قِطَاةً عَلِقَتْ بِجَنَاحِهَا

على كبدي من شدة الخفقان

فيا أيّها العاقل النّابِه: أعطِ كل شيء حجمه، ولا تضخم الأحداث
والمواقف والقضايا، بل اقتصد واعدل، ولا تجرّ، ولا تذهب مع الوهم الزائف،
والسراب الخادع.

[حدائق ذات بهجة: ص ٤٤ - ٤٥]

ثمن المحنة

لكل شيء ثمن، وثمن الدر مشقة الغوص إلى القعر، ولكل شيء قيمة،
وقيمة النصر تلقّي الجراحات، ومعركة الحياة؛ ولكل محبوب ضريبة، وضريبة
النجاح دمع حار، ودم فائر، وجفن مسهّد، وجسم مجهد، وقلب مفجوع.

الحنّة عمرها أقصر من النعمة، وأجرها أكبر من العافية، وتجربتها
أعظم من الحياة، ونفعها أجل من السلامة، الحنّة معها الاعتبار، والتذكُّر
واليقظة، ومعها الرصيد والثناء والتاريخ.

[حدائق ذات بهجة: ص ٤٢]

نظرات في الصبر

الصبر مجاهدة الإحباط، ومراغمة الفشل، ومنازلة الخطوب.
الصبر قبض على الجمر، وستر للجرح، وكتمان للمصيبة، وتنسم للهواء،
الصبر زاد لا ينفد، ومعين لا ينضب، وصاحب لا يمل.
لا يُعالج خور الطبيعة إلا بالصبر، ولا يُضمّد جرح النفس إلا بالصبر، إن
الصبر مسلاة للهموم، ومسرة للمغموم، وروح للمنهك، وعزاء للمصاب.
إذا كان معك الصبر فلا عليك من عددِ العدو وعتاده، ولا من ناره وزناده،
وتلق الخطوب الكوالح وأنت ضاحك، وصارع النكباتِ الدّهم وأنت باسم.

[حدائق ذات بهجة: ص ٢٥]

الهمة

الهمة غليان مستمر، وهيجان صاخب، ومثابرة عارمة، إنّها قفز إلى
القمة، وطيّران إلى الأعلى.
الهمة قلب جيّاش، ونفس تواقّة، وأمل بعيد. من رزق الهمة ارتحلت به
وهو مقيم، وسافرت به وهو حال.

تعلّم أن تتسابق، ولياليك تتعانق!

فالبدار البدار، فقد أفنأك الليل والنهار.

الطريق الذي طوله ميل، يُقطع بخطوة، وسبقت السلحفاة الذئب، لأنها
واصلت على بطاء مشيتها، وهو ركن إلى سرعة مشيه، فوقف يلمح ظبياً.

وإنما أثر الحبل في الحجر لأنه دائم، وإنما تخدد الجبل من الماء لأنه
استمر، ومن ثبت نبت.

[حدائق ذات بهجة: ص ٨]

تجربة

وأمررت عيني على ما يُقارب أربع صفحات من كتاب في دقيقة واحدة،
وقرأت الفاتحة سبع مرات سرداً وسراً في دقيقة واحدة، وبعضهم حسب
حسناً قراءة الفاتحة فإذا هي أكثر من ألف وأربعمئة حسنة، وتقرأ سورة
الإخلاص عشرين مرة سرداً وسراً في دقيقة واحدة، ومن شك فليجرب.

قصدي إخبارك بقيمة الدقيقة الواحدة من عمرك، وأنها تمثل حدثاً
هائلاً في الذكر والتلاوة والدعاء والتدبر والمطالعة والكتابة.

دقيقة واحدة فقط يمكن أن تزيد في عمرك، في عطائك، في فكرك، في
فهمك، في حفظك، في حسناتك.

[حدائق ذات بهجة: ص ٥]

وفجأة

إذا ولي صاحب المنصب منصبه، وسعد بمنزلته، وتساقطت عليه أوراق
الحظ وخطابات التهئة، وبرقيات التبريك، سقط الموت على رأسه فجأة،
فقلب كرسيه وسحب سكره، فحول الهناء عزاءً، والفرح ترحاً، والعطية بلية.

[العظمة: ص ١٧٥]

ما بعد.... وبعد

فالليل الدامس بعده صبح سافر، والظلمة العاتية بعدها نور مشرق،
والجذب القاحل يعقبه غيث مربع، والجوع إثره شبع، والظماً يتلوه ري،
والمرض يعقبه شفاء، والفقر يكشفه الغنى، فكل عسر بعده يسر، ولن يغلب
عسر يسرين، فله الحمد والمنة.

[العظمة: ص ١١٦]

الله

عبادته شرف، والذل له عزة، والافتقار إليه غنى، والتمسكن له قوة،
محاربته خذلان، والكفر به لعنة، والتنكر لجميله عذاب.

فتح ومنح، طحى ودحى، أغطش وأغشى، رفع ووضع، وصل وقطع، أطعم
وسقى، كفى وكسى، يبتلي ويستدرج، ويبرم ويعد، ويأخذ وينتقم، يصب النعيم
على من عصاه، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، ويسلط البلاء على من أطاعه
ليرفع منزلته في الصالحين.

[العظمة: ص ٣٠]

تمرُّ بالإنسان ثلاثة أطوار: طُور التقليد، وطور الاختيار، وطور الابتكار.

[لا تحزن: ص ٤٤٢]

عجباً لنا! نريد من الناس أن يكونوا حلماً ونحن نغضب، ونريد منهم أن يكونوا كرماء ونحن نبخل، ونريد منهم الوفاء بحسن الإخاء، ونحن لا نُؤدي ذلك.

تُرِيدُ مَهْذَباً لَا عَيْبَ فِيهِ
وَهَلْ عُوْدٌ يَفُوحُ بِلَا دُخَانٍ

وقالوا: مَنْ لِأَخِيكَ كُلُّهُ.

[لا تحزن: ص ٤٨٨]

بوابة الحزن

السخط باب والهم والغم والحزن، وشتات القلب، وكسف البال وسوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله. والرضا يخلصه من ذلك كله، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل الآخرة، فإن الارتياح النفسي لا يتم بمعاكسة الأقدار ومضادة القضاء، بل بالتسليم والإذعان والقبول، لأن مدبر الأمر حكيم لا يتهم في قضائه وقدره.

[لا تحزن: ص ٣٨٤]

الأمن مطلب

- فأمن القلب: إيمانه ورسوخه في معرفة الحق، وامتلاؤه باليقين.
- وأمن البيت: سلامته من الانحراف، وبعده عن الرذيلة، وامتلاؤه بالسكينة، واهتدائه بالبرهان الرباني.
- وأمن الأمة: جمعها بالحب، وإقامة أمرها بالعدل، ورعايتها بالشرعية.
- والخوف عدو الأمن ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
- ولا راحة لخائف، ولا أمن للمحد، ولا عيش لمريض.
- إنما العمرُ صِحَّةٌ وكِفَافٌ فإذا وليا عن العُمُرِ ولى
- لله ما اتَّعَسَ الدنيا، إن صحَّت من جانب فسدت من جانب آخر، إن أقبلَ المالُ مَرَضَ الجسم، وإن صحَّ الجسم حَلَّتِ المصائب، وإن صلَّح الحال واستقام الأمر حل الموت.

[لا تحزن: ص ٣٤٢]

غل الروح

- إن غلَّ الروح جزء من غلِّ اليد، وإن البخلاء أضيق الناس صدوراً وأخلاقاً؛ لأنهم بخلوا بفضل الله عز وجل، ولو علموا أن ما يعطونه الناس إنما هو جلب للسعادة، لَسَارَعُوا إلى هذا الفعل الخيِّر، ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعفه لكم ويغفر لكم﴾.

[لا تحزن: ص ٢٥١]

قاعدة

ورأيت أن أكثر ما يجلب الهموم والغموم التعلق بالناس، وطلب رضاهم،
والتقرب منهم، والحرص على ثنائهم، والتضرر بذمهم، وهذا من ضعف
التوحيد .

[لا تحزن: ص ٢٣٧ - ٢٣٨]

الناس عليك لا لك

إن العاقل الحصيف يجعل الناس عليه لا له، فلا يبني موقفاً، أو يتخذ
قراراً يعتمد فيه على الناس، إن الناس لهم حدود في التضامن مع الغير .

[لا تحزن: ص ٢٣٥]

شهود التوحيد

لو أن الأقلام هي الشجر، والمداد هو المطر، والكتبه هم البشر، ثم أثنى
عليه بالمدح من شكر، لما بلغوا ذرة مما يستحقه جلّ في علاه وقهر. أعمر
جنانك بحبه، أصلح زمانك بقربه، أشغل لسانك بحمده، احفظ وقتك
بتسبيحه. العزيز من حماه، والمحظوظ من اجتباه، الغني من أغناه، السعيد من
تولاه، المحفوظ من رعاه. أرسل الرسل، أفنى الدول، هدى السبل، أبرم الحيل،
غفر الزلل، شفى العلل، ستر الخلل.

مهما كتبنا في علاك قصائداً

بالدمع خطت أو دم الأجفان

فلأنت أعظم من مديحي كله
وأجلُّ مما دار في الحسبان

[مقامات القرنين: ص ٥٥ - ٥٦]

وطن نفسك

لو فوجئتُ بخبر صاعق باحترق بيتك، أو موت ابنك، أو ذهاب مالك،
فماذا عساك أن تفعل؟ من الآن وطن نفسك، لا ينفع الهرب، لا يجدي الفرار
والتملُّص من القضاء والقدر، سلِّم بالأمر، وارضَ بالقدر، واعترف بالواقع،
واكتسب الأجر؛ لأنه ليس أمامك إلا هذا. نعم هناك خيار آخر، ولكنه رديء
أحذرك منه، إنه: التبرُّم بما حصل والتضجُّر مما صار، والثورة والغضب
والهيجان.

[لا تحزن: ص ٢٢٤]

كن واقعياً

إذا هونت ما قد عز هان، وإذا أيست من الشيء سلت عنه نفسك.
إن المواهب والصفات السامية هي قيمة الإنسان، لا ثوبه ولا نعله ولا
قصره ولا داره، إنما وزنه في علمه وكرمه وحلمه وعقله.

[لا تحزن: ص ٢٢٠ - ٢٢٢]

اطلب الرزق ولا تحرص

الدودة في الطين يرزقها رب العالمين: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

الطيور في الوكور يطعمها الغفور الشكور: «كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

السّمك في الماء يرزقه رب الأرض والسماء: ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.
وأنت أذكى من الدودة والطيور والسّمك، فلا تحزن على رزقك.

[لا تحزن: ص ٢١٥]

حكمة بالغة

ولله تعالى رَوْح يأتي عند اليأس منه، يُصيب به من يشاء من خلقه، وإليه الرغبة في تقريب الفرج، وتسهيل الأمر، والرجوع إلى أفضل ما تناول إليه السُّؤل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

طالعتُ كتاب «الفرج بعد الشدة» للتتوخي، وكررتُ قراءته فخرجتُ منه بثلاث فوائد:

الأولى: أنَّ الفرج بعد الكرب سنّة ماضية وقضية مُسلّمة، كالصبح بعد الليل، لا شك فيه ولا ريب.

الثانية: أن المكاره مع الغالب أجمل عائدة، وأرفع فائدة للعبد في دينه ودنياه من المحاب.

الثالثة: أن جالب النفع ودافع الضر حقيقة إنما هو الله جل في علاه، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

[لا تحزن: ص ١٩٧ - ١٩٨]

استقراء

سبرت أقوال علماء الإسلام ومؤرخيهم وأدبائهم في الجملة، فلم أجد ذاك الكلام عن القلق والاضطراب والأمراض النفسية، والسبب أنهم عاشوا مع دينهم في أمنٍ وهدوء، وكانت حياتهم بعيدة عن التعقيد والتكُّف.

[لا تحزن: ص ١٨٤]

التوحيد الواضح

للتوحيد منبر، ومخير، ومظهر، ومسك وعنبر. فمنبره القلب، إذا أخلص للرب، ومخير النيات الصالحات، ومظهره عمل بالأركان، وخدمة للديان، ومسكه الدعاء والأذكار، وعنبره التوبة والاستغفار.

للتوحيد عين وبستان، وحرسٌ وسلطان، وسيف وميدان. فعيته النصوص الواضحة، وبستانه الأعمال الصالحة، وحرسه الخوف والرجاء، وسلطانها واعظ الله في القلب صباح مساء، وسيفه الجهاد، وميدانه أعمال العباد.

وللتوحيد قضاة وشهود، وأعلام وجنود، وحدود وقیود. فقضاته الرُّسل الكرام، وشهوده العلماء الأعلام، وأعلامه شعائر الدين، وجنوده فيلق من

الموحدين، وحدوده ما جاء به الخبر، وصح به الأثر، وقيوده ما ورد من شروط،
للتوحيد المضبوط.

[مقامات القرني: ص ٤٩]

منهج

أما أنا فأطلقت للقلم زمامه، وسرّحت خطامه، وأزحت لثامه، ليكتب في
فنون، ويسيل في شُجُون، ذاكرًا من سلف ومن خلف، آخذًا من كل حكمة
بطرف، وربما لمحت في المقال بعض الخيال، فلا تُبد لنا قسوة، فلي في ذلك
أسوة، فإن الأمم استنطقت الجمادات، واستفهمت العجماءات، وقولت الكلام
الحيوانات، وكلمت الأطلال، ونسبت الحديث إلى الشجر والتلال، تعريضاً
وتلميحاً، ونسبة وتصريحاً.

[مقامات القرني: ص ٤١ - ٤٢]

التوحيد

التوحيد، هو حقُّ الله على العبيد، وهو أول ما دعا إليه الرسل، وبه كلُّ
كتاب نزل، وهو أصل الأصول، والطريق للوصول، وبه عُرِف المعبود، عُمِر
الوجود، ولأجله أُعدت الجنة والنار، وسُلَّ السيف البتار، وقُوتل الكفار،
ولإقامته في الأرض دعت الأنبياء، وعَلِّمت العلماء، وقُتِل الشهداء، وهو أول
مطلوب، وأعظم محبوب، وهو أشرف المقاصد، وأعذب الموارد، وأجلُّ الأعمال،
وأحسن الأقوال، وهو أول الأبواب، وبداية الكتاب، وأعظم القضايا، وأهم
الوصايا، وخير زاد، يحمله العباد، ليوم التّاد، وهو قُرّة عيون الموحّدين، وبهجة

صدور العابدين، وهو غاية الآمال، وأنبى الخصال، بل هو أعظم الكفارات، وأرفع الدرجات، وأكبر الحسنات، وهو منشور الولاية، وتاج الرعاية، والبداية والنهاية، وهو الإكسير الذي إذا وضع على جبال الخطايا ذابت، والسلاح إذا حوربت به الأعداء هابت. وعلى هذا حديث: «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

[مقامات القرني: ص ٤٥ - ٤٦]

تجارب

ومن الفوائد والتجارب: لا ترد على كلمة جارحة فيك، أو مقولة أو قصيدة، فإن الاحتمال دفن المعاييب، والحلم عزٌّ، والصمت يقهر الأعداء، والعفو مثوبة وشرف، ونصف الذين يقرؤون الشتم فيك نسوه، والنصف الآخر ما قرؤوه، وغيرهم لا يدرون ما السبب وما القضية! فلا ترسخ ذلك أنت وتعمقه بالرد على ما قيل.

[لا تحزن: ص ١٢٣]

قاعدة

- اجعل عملك خالصاً لوجه الله، ولا تنتظر شكراً من أحد.
- كلما ترفه الجسم تعقدت الروح، والقلّة فيها السلامة، والزهد في الدنيا راحة عاجلة يقدمها الله لمن شاء من عباده: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾.

قال أحدهم:

ماء وخبز وظل ذاك النعيم الأجل
كفرت نعمة ربي إن قلت إنني مقل

[لا تحزن: ص ١١٧ - ١١٩]

لا تحزن واطردِ الهمَّ

راحة المؤمن غفلة، والفراغ قاتل، والعطالة بطالة، وأكثر الناس هموماً
وغموماً وكدرًا العاطلون الفارغون. والأراجيف والهواجس رأس مال المفاليس
من العمل الجاد المثمر.

فتحرّك واعمل، وزاول وطالع، وأتلّ وسبّح، واكتب وزر، واستفد من وقتك،
ولا تجعل دقيقة للفراغ، إنك يوم تفرغ يدخل عليك الهمُّ والغمُّ، والهاجس
وَالوساوس، وتصبح ميداناً للأعيب الشيطان.

[لا تحزن: ص ١١٧]

لا تحزن على ما فاتك فإن عندك نعماً كثيرة

فكّر في نعم الله الجليلة، وفي أعطياته الجزيلة، واشكره على هذه النعم،
واعلم أنك مغمور بأعطياته.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.

إن مما يثبت السعادة وينمّيها ويعمّقها: أن لا تهتم بتوافه الأمور، فصاحب
الهمة العالية همُّه الآخرة.

[لا تحزن: ص ١١٥]

المفاجأة

لا تُفاجأ إذا أهديتَ بليداً قلماً فكتب به هجاءك، أو منحت جافياً عصاً
يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، فشج بها رأسك، هذا هو الأصل عند هذه
البشرية المحنّطة في كفن الجحود مع باريها جل في علاه، فكيف بها معي
ومعك؟!

[لا تحزن: ص ٤٢]

القرني ومعادلة الأحران

نظرت فإذا بمبضع الجراح في يد «عائض»، وإذا به قد وقع على ما لم يقع عليه غيره، من علاج للأسقام، وشفاء للآلام، وكشف لأستار الأوهام، فكان الطبيب البارع في هذا المقام، ولا أدلّ على ذلك من كتابه، لا تحزن؛ والذي انتشر انتشار النار في الهشيم، وعمّ نفعه الحاضر والباد، وزاد على العادة في النشر والتوزيع، ومدحه الصغير والكبير، والحر والعبد، والفقير والأمير، والعالم والمثقف، والناقد، والأديب، وليس هذا في ظني إلا لقضايا منها:

أ - التوفيق من رب العالمين.

ب - نرجو له سلامة القصد في نفع الناس.

ج - المساس بجرح غائر في نفوس الناس بعامة.

د - العلاج الصحيح الذي طرحه.

هـ - القالب الأدبي الأخاذ.



و - عنايته بالبحث عن العلاج في مظانه، ولو كان في كتب علماء النفس الغربيين وغيرهم.

ي - الإخراج الحسن للكتاب.

بهذا وبشيء من القبول الذي طرحه الله لهذا الرجل كانت هذه من أبرز عوامل انتشار «لا تحزن»، وإلى شيء من روائع «عائض» في هذا الباب.



لا تحزن

بعض الناس عنده مقدرة عجيبة في تقدير خاطره، وجلب الهم والغم لنفسه، ويجيد في الخيالات الفاسدة لذهنه، فكم يصفو له من هذه الحياة إذا كان دائماً يتذكر الماضي بآلامه، ويتوقع حوادث المستقبل، وتمرضه كلمة مؤذية سمعها من حاسد، ويحقد على كثير غمطوه حقه، ويفضب على زوجته المسرفة، ويثور على ابنه لمخالفته أمره، ويحزن على مال سبق أن فقده. وهو خائف لأنه يظن أن مرضاً ما سوف يصيبه، ويستمر في جمع هذه القائمة من المصائب والأحزان.

فيا من أراد السعادة والراحة لا تقصر حياتك فهي قصيرة أصلاً، عش في حدود يومك، ولا تبك على ما فات، واترك المستقبل حتى يأتي، ولا تلق بالاً لكلام الحساد، وتوكل على الله فهو حسبك وكفى هموماً وغموماً وأحزاناً.

[لا تحزن: ص ٢٣٩ - ٢٤٠]

خاطرة

من لم يتألم لم يعرف طعم الراحة، ومن لم يجع لم يعرف ذوق الشبع، ومن لم يمرض لا يدري بنعمة الصحة، ومن لم يسجن لا يدرك روعة الحرية والانطلاق، والمصائب عبر.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ١٥٠ - ١٥١]

عربون الصفاء

البسمة هي السحر الحلال، وهي إعلان الإخاء، وعربون الصفاء، ورسالة الود، وخطاب المحبة، البسمة تقع على صخرة الحقد فتذيبها، وتسقط على ركاب العداوة فتزيلها، البسمة تحل حبل البغضاء، وتطرد وساوس الشحنة، تغسل أدران الضغينة، تمسح جراح القطيعة، «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، لأنك أدخلت عليه السرور وأتحفته بالحبور وآنست فؤاده بحسن الطلعة وأبردت لواعجه بإشراق المحيا.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٥٣]

ابتسم

- إذا اغتممت واجتمعت عليك الهموم والأحزان فابتسم فربما حُطت عنك بها السيئات.
- إذا افتقرت ووجدت ألم الحاجة فابتسم، فربما كان هذا الفقر خيراً لك منعك من بطر الغنى وكبر الثراء وفتنة الدنيا.
- إذا مرضت وصرت طريح الفراش وصاحبت السرير الأبيض فابتسم؛ فهذا المرض غسل لخطاياك ودواء لقلبك ورجعة إلى ربك.
- إذا ظلمت من أحد وأهانك ظالم فابتسم؛ لأنك مظلوم لا ظالم، واحمد ربك إذ حماك أن لا تكون مكانه ويكون مكانك.
- وإذا مات ابنك وفقدت فلذة كبذك فابتسم؛ لأنه شفيع لك وفرط لك على الحوض وقد ذهب بهمه وبقي أجره وثوابه.

- إذا سُجنت مقهوراً ووضعت في زنزانة وحيداً فابتسم فلربما منعك الله بالسجن من معصية وسلمك به من نكبة وحماك من قاصمة. إذاً فابتسم دائماً.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ١٢ - ١٣]

صفات شخصية

صدر ابن تيمية منشرح، ونفسه قوية واثقة بربها سبحانه وتعالى، وهو صاحب ثقة فيما عند الله عز وجل، ومتفائل بالنصر دائماً والعاقبة الحسنة لأولياء الله، وهو حسن الظن بربه، وينظر بنظرة متفائلة للأمور، وهو صاحب رجاء؛ فإذا تكلم فيما أعد الله لأوليائه أسهب وأطنب، وإذا تكلم عن أهل التوحيد بين ما لهم عند الله عز وجل من مصير مبارك، وإذا تكلم عن التوبة رغبك في رحمة الله عز وجل، وحبب إليك الإنابة، وقربك من المغفرة، وذلك على طريق العودة إلى الله عز وجل، لا تقرأ في كلامه اليأس، ولا تفهم منه القنوط، ولا تجد فيه إحباطاً، كما يفعل بعض غلاة الصوفية الذين يقتلون النفس بكثرة التأنيب وسياط التأديب، ويكثرون من النقول في مسألة الخوف حتى يصاب الإنسان بالإحباط والقنوط واليأس من روح الله، فيترك العمل، لكنك كلما قرأت لابن تيمية وجدت نشاطاً وانبساطاً وراحة وقوة على العبادة وعلى الذكر، وزال عنك الهم والغم والحزن، وهذا أمر مجرب شهد به أصحابه وطلابه، ومن شك في ذلك فليأخذ فترة من فترات الزمن ويبقى على اتصال بكتب هذا الإمام، ثم ليأخذ فترة أخرى ويقرأ لغيره، ليجد البون الشاسع في هذه المسألة الكبرى.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ١١١]

لطائف الله

على رؤوس الجبال شمس من الفرج مشرقة، وعلى مشارف التلال هالة من النور بارقة، وعلى كل باب للحنن من السرور طارقة.

افتح عينيك، ارفع يديك، لا تساعد الهمّ عليك، ولا تدع اليأس إليك.

السمك والقرش، والطيور والوحش، كلها ترحو ربّ العرش، فاتجه أنت إليه، واشكّ الحال إليه، فإن فرجه أسرع من البرق الخاطف، وله في كل لحظة لطائف.

[مقامات القرنين: ص ٤١٧]

الفرج بعد الشدة

قل لمن في حضيض اليأس سقطوا، وعلى الشؤم هبطوا، وفي مسألة القدر غلطوا: اعلّموا أنه ينزل الغيث من بعد ما قنطوا، كان بلال يُسحب على الرمضاء، ثم رُفِعَ على الكعبة لرفع النداء، وإسماع الأرض صوت السماء. كان يوسف مسجوناً في الدهليز، ثم مَلَكَ مصر بعد العزيز، كان عمر يرفع الغنم في مكة، ثم نشر بالعدل ملكه، وهو الذي قطع حبل الجور وفكّه، وسحق صرّح الطغيان ودكّه.

يا مَنْ داهمته الأحزان، وبات وهو سهران، وأصبح وهو حيران، ألم تعلم أنه في كل يوم له شأن، يا مَنْ هدّه الهمّ وأضناه، وأقلقته الكرب وأشقاها، وزلزلته الخطب وأبكاه، أنسيت ﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

سينكسر قيد المحبوسين، في زنانات المتجبرين، وسيسقط سوط الجلادين، الذي قطعوا به جلود المعذبين، وسيمسح دمع اليتامى، وتهدأ أنات

الأيامى، وتسكن صرخات الثكالى. هل رأيت فقيراً في الفقر أبداً، هل أبصرت
محبوساً في القيد سرمداً، لن يدوم الضرّ ممّتداً لأن هناك أحداً فرداً صمداً.

أَيَّهَا الْيَائِسُ مُتَّ قَبْلَ الْمَمَاتِ
أَوْ إِذَا شِئْتَ حَيَاةً فَالْجَا

لَا يَضِقُ ذَرْعَكَ عِنْدَ الْأَزْمَاتِ
إِنْ هِيَ اشْتَدَّتْ فَأَمْلُ فَالْجَا

من أَكْثَرَ من الاستغفار جعل الله له من كل ضيقٍ مخرجاً، ومن كل همٍّ
فرجاً، بلا حول ولا قوة إلا بالله تحمل الأثقال، وتسهّل الأهوال، وتُصلح
الأحوال، ويُشرّح البال، ويرضى ذو الجلال. بشرّ الليل بصبح صادق يطارده
على رؤوس الجبال، وبشرّ القحط بماء زلال، يلاحقه في أعماق الرمال، وبشرّ
الفقير بمال، يُزيل عنه الإملاق والإمحال.

واعلم أن لكل شدة مدّة، وإن على قدر المؤونة تُنزل المعونة، وإن الله
يستخرج البلاء، بصادق الدعاء، وخالص الرجاء. واعلم أن في الشدائد إذابة
الكبر، واستدرار الذّكر، وجلب الشكر، وتبويه الفكر.

فارحل بقلبك إذا الهمُّ برك، واشرح صدرك عند ضيق المعترك، ولا
تأسف على ما مضى ومن هلك، فليس بالهموم عليماً درك، واعلم أنه لا يدوم
شيء مع دوران الفلك، وعسى أن تكون الشدة أرفق بك، والمصيبة خير لك.
فإذا ضاقت بك السُّبُل، وانقطعت بك الحِيل، فالجأ إلى الله عزّ وجلّ.

[مقامات القرني: ص ٤١٢-٤١٣-٤١٤-٤١٥]

لا تعجل

للمرض شفاء، وللعلّة دواء، وللظمأ ماء، وللشدّة رخاء، وبعد الضراء سرّاً، وبعد الظلام ضياء، نار الخليل تصبح باليسر كالظلّ الظليل، والبحر أمام موسى يفتح السبيل، ويونس بن مَتّى يخرج من الظلمات الثلاث بلطف الجليل.

المختار في الغار، أحاطَ به الكفّار، فقال الصّديق: هم على مسافة أشبار، نخشى من الدمار.

فقال الواصل بالقهّار: إنّ الله معنا، وهو يسمعنا، ويحمينا كما جمعنا.

[مقامات القرنين: ص ١٤٢]

عسى

إذا ضاق الأمر اتّسع، وإذا اشتدّ الحبل انقطع، وإذا اشتدّ الظلام بدّأ الفجر وسَطَعَ، سنّة ماضية، وحكمة قاضية، فلتكن نفسك راضية، بعد الظمأ ماء وظل، وبعد القحط غيث وظلّ، يا من بكى من ألمه، ومرضه وكده، يا من بالغت الشدائد في رده وصدّه، عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده..

[مقامات القرنين: ص ٤١١]

مفاتيح الهموم

اعلم أن لكل باب من الهمّ مفتاحاً من السرور، للذنب ربّ غفور، والفلك يدور، وأنت لا تدري بعواقب الأمور، وملك كسرى تُغني عنه كِسرة، ويكفي من

البحر قطرة، فلا تذهب نفسك على الدنيا حسرة، ولا تتوقع الحوادث، ولا تنتظر الكوارث، ولا تحرم نفسك لتجمع للوارث، ويغنيك عن الدنيا مصحف شريف، وبيت لطيف، ومتاع خفيف، وكوز ماء ورغيف، وثوب نظيف.

[مقامات القرنين: ص ٤٠٩]

ويلك

اخرج من سرداب الأمانى، يا أسير الأغاني، انفض غبار الكسل، واهجر من عدل، فكل من سار على الدرب وصل، نسيت الآيات، وأخترت الصلوات، وأذهبت عمرك السهرات، وتريد الجنات؟!

ويلك! والله ما شبع النمل حتى جد في الطلب، وما ساد الأسد حتى وثب، وما أصاب السهم حتى خرج من القوس، وما قطع السيف حتى صار أحد من موسى.

الحمامة تبني عشها، والحمرة تنقل قشها، والعنكبوت تهندس بيتها والضب يحفر مغارة، والجرادة تبني عمارة، وأنت لك مدة، ورأسك على المخدة، في الحديث: «أحرص على ما ينفعك»، لأن ما ينفعك يرفعك، «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف». بالقوة يبنى القصر المنيف، وينال المجد الشريف.

[مقامات القرنين: ص ٣٩٤ - ٤٩٥]

الوجه الآخر

أيها الإنسان، شاهد الكون، بعين الإيمان، تنظر للشوك ولا ترى الزهور، تشاهد الآسن ولا تبصر الطهور، يهولك الليل بالظلام، ولا تستمتع ببدر التمام، تشكو من حرارة الشمس اللاذعة، ولا تتلذذ بتلك الأشعة الساطعة. تستوحش من وحدة الصحراء، ولا يؤنسك فيها روعة الإيحاء، ما لك تزعجك الرياح الهوجاء، فأين حسنها إذا زارتك وهي رخاء؟ تنظر إلى الصخر كيف تحجر، ولا تنظر إلى الماء منه كيف تفجر، تبصر رداءة التراب، ولا تدرك أنه مادة الإنجاب والإخصاب، لا ترى من السيل إلا الدمار، وهو مصدر النماء والعمار، تأخذ من المصيبة العويل، وتنسى الأجر الجزيل.

تضع على عينيك نظارة سوداء، لترى الحياة جرداء مرداء، فأين الندى والطلّ، وأين الخُصرة والظلّ؟ تسمع نعيق الغراب، ولا تنصت لهديل الحمام الجذّاب، انظر إلى الحياة في ثياب جمالها، وفي رداء جلالها، شاهد الكون وهو في عباءة البهاء، وحلّة السناء، طالع العالم بعين الحب، لتشاهد بديع صنّع الربّ، واعلم أن الجحودَ إلحاد، والتتكّرَ فساد، ومن لم يشاهد إلا القبيح، فرأيه غير صحيح: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.

[مقامات القرنين: ص ٣٧٩]

أمراض التجار

أمراض التجار: فقر الدم، وكثرة الهم، ودوام الغم.

- فأما فقر الدم: فمن قلة الغذاء؛ لأنه مشغول عن الفطور والغداء، غائب عن العشاء.

أَنَامَ بِلاَ هُمُومٍ، وَأَبْيَتَ بِلاَ غُمُومٍ، لَا أَعْرِفُ عَدَّ الْمَالِ، وَلَا شَدَّ الْجِمَالِ، وَلَا مَبَايِعَةَ الرِّجَالِ، لَا أَعْرِفُ الرِّيَالَ مِنَ الْقَرَشِ، وَلَا أُمَيِّزُ بَيْنَ الْكُتْبِ وَالْفُرَشِ، مَعِيَ قَمِيصٌ، وَبَطْنٌ خَمِيصٌ، لَا أَعْرِفُ الْكَبْسَةَ وَلَا الْخَبِيصَ، مَا يَأْتِينِي فِي النَّوْمِ كَوَابِيسٌ، وَلَا أَشْعُرُ فِي النَّهَارِ بِالْهُوَاجِيسِ. فَأَنَا أَسْعِدُ مَنْ رَأَيْتُ، وَأَنْعَمُ مَنْ لَقِيتُ. مَعِيَ كِتَابٌ، أَغْنَانِي عَنِ الْأَصْحَابِ، وَسِلَانِي عَنِ الْأَحْبَابِ. مَعِيَ مِلْحَفَةٌ

للمنام، وجفنة للطعام، وعصا للقيام. لا أخاف على نفسي العين، ولا يطلبني أحد بدّين، ولا أسأل مال هذا من أين؟

فأنا خفيف الظهر، دائم البشّر، قليل الوزر، ما بعث ولا شريت، ولا اكترت ولا اقتنت، لا أخشى سقوط بيت، ولا ذهاب مَيّت. نجوت من الضغط والسكر، لأنني في غير الآخرة لا أتفكّر، في قلبي عيادة السعادة، وفي صدري بنك السرور، ومصرف الحبور، وعندي علم وإيمان ونور على نور، أعجب من الفجّار والتجّار، وأقول ما هذا الشّجار. أتقتلون على جيفة؟ ما تساوي قطيفة، سُحقاً لعقولكم السخيفة.

[مقامات القرنين: ص ٢٢٠]

لا تفرح

لا تفرح بالمنصب.. فإن ضريبته جهد، وعرق، وتنازل، وعناء، ومداواة.
لا تفرح بالمال.. فحلاله حساب، وحرامه عقاب.
لا تفرح بالأصحاب.. فهم إخوان الرخاء، أصدقاء العلانية، أعداء السر.
لا تفرح بالدور ولا القصور.. فإنها مسكن أيام، ودار أحلام، وطيف عابر، وسراب ببيعة.

[حدائق ذات بهجة: ص ٣٠٢]

قارورة بقراط

نقل الماوردي أن بقراط الطبيب قال: إذا فاتك الأمر المحزن فلا تأسف عليه، واجعله كزجاجة انكسرت ولن تعود سليمة، والأمر الماضي قد فرغ منه. وفي القرآن - أن تذكر الأمر الماضي يورث الأسى والحسرة والحزن - قال تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾. وقال: ﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾. وقال: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

[حقائق ذات بهجة: ص ٢٧٧ - ٢٧٨]

الصلاة.. الصلاة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ إذا داهمك الخوف وطوقك الحزن، وأخذ الهم بتلابيبك، فقم حالاً إلى الصلاة، تثوب لك روحك وتطمئن نفسك، من الصلاة كفيلة بإذن الله باجتياح مستعمرات الأحزان والغموم ومصادرة فلول الاكتئاب.

كان ﷺ إذا حزبه أمر قال: «أرحنا بالصلاة يا بلال» فكانت قرّة عينه وسعادته وبهجته.

[حقائق ذات بهجة: ص ٢٦٢]

المرعجات

إن إعطاء الذهن مساحة أوسع للتفكير في المستقبل وفتح كتاب الغيب ثم الاكتواء بالمرعجات المتوقعة، ممقوت شرعاً، لأنه طول أمل، ومذموم عقلاً؛ لأنه

مصارعة للظل. إن كثيراً من هذا العالم يتوقع في مستقبله الجوع والعري،
والمرض والفقر والمصائب، وهذا كله من مقررات مدارس الشيطان ﴿الشَّيْطَانُ
يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

كثير هم الذين يبكون، لأنهم سوف يجوعون غداً، وسوف يمرضون بعد
سنة، وسوف ينتهي العالم بعد مائة عام. إن الذي عمره في يد غيره لا ينبغي
له أن يراهن على العدم، والذي لا يدري متى يموت لا يجوز له الاشتغال بشيء
مفقود لا حقيقة له.

اترك غداً حتى يأتيك، لا تسأل عن أخباره، لا تنتظر زحوفه؛ لأنك
مشغول باليوم.

وإن تعجب فعجب هؤلاء، يقترضون الهم نقداً ليقضوه نسيئة في يوم لم
تشرق شمسهم ولم ير النور، فحذار من طول الأمل.

[حدائق ذات بهجة: ص ٢١٤ - ٢١٥]

بشرى

بشرّ الليل بصبح صادق يطارده على رؤوس الجبال، ومسارب الأودية،
بشرّ المهموم بفرج مفاجئ يصل في سرعة الضوء، ولمح البصر، بشرّ المنكوب
بلطف خفي، وكف حانية وادعة.

إذا رأيت الصحراء تمتد وتمتد، فاعلم أن وراءها رياضاً خضراء وارفة
الظلال.

إذا رأيت الحبل يشتد ويشتد، فاعلم أنه سوف ينقطع.

مع الدمعة بسمة، ومع الخوف أمن، ومع الفزع سكية.

النار لا تحرق إبراهيم الخليل؛ لأن الرعاية الربانية فتحت نافذة ﴿بَرْدًا
وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

البحر لا يغرق كليم الرحمن؛ لأن الصوت القوي الصادق نطق بـ ﴿كَلَّا إِنَّ
مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

المعصوم في الغار بشر صاحبه بأنه وحده جل في علاه معنا؛ فنزل
الأمن والفتح والسكية.

إن عبيد ساعاتهم الراهنة، وأرقاء ظروفهم القادمة، لا يَرَوْنَ إِلَّا النكد والضيق
والنَّعَاسَةَ، لأنهم لا ينظرون إِلَّا إلى جدار الغرفة، وباب الدار فحسب. ألا فليمدوا
أبصارهم وراء الحجب، وليطلقوا أعنة أفكارهم إلى ما وراء الأسوار.

[حدائق ذات بهجة: ص ١٢٥ - ١٢٦]

السعادة

السعادة من النفس لأنها مشاعر وعواطف حملتها هذه النفس، فأبصرت
الجانب المشرق في الحياة، والشقاء من النفس؛ لأنها نظرت إلى الجانب المظلم من
الحياة، حب الناس من النفس إذا تفكرت في صفات النبيل فيهم، والوفاء والطيبة،
وبغض الناس من النفس إذا لمحت مكرهم وغدرهم، وقلة وفائهم وجحودهم.

السرور من النفس إذا أفعمت بالأمل والتفاؤل وحسن الظن وكريم الرجاء
وانتظار الفرج والرضا بالقضاء، والحزن من النفس إذا ملئت باليأس والقنوط
والإحباط والفشل وسوء الظن وتوقع الشر وانتظار المكروه.

عمر المصيبة ثواني

إن الإيمان بأعمار المصائب سلوة للمنكوبين، وإن التصديق بآجال المحن عزاء للمصابين.

إن للمكروه زمناً لا يتعداه أبداً، فتحيلك في إزالته قبل حينه ضرب من الهوس، وفن من فنون الوسوسة، لأن مهمتك كيف يزول؟ لا متى يزول؟ فمن حرص على كيفية زواله دعا وأخلص، وجد واجتهد، واتقى وصبر، وتوكل وأناب، وفوض الأمر إلى الملك الوهاب، ومن تعلق قلبه بزمان الزوال، ومتى يرتحل المكروه؟ استبعد الفرج.

[العظمة: ص ١٤٢]

أبشر بالفرج

شكره على النعم نعمة أخرى، وسؤاله من فضله مرتبة عظمى، كلما سئل رضي، ومن لا يسأله يفضب عليه، يستحيي أن يرد السائل صفراً، لا شيء أكرم عليه من الدعاء، أمر به ووعد بالإجابة، عطاؤه إحسان، ومنعه لطف، واختياره للعبد خير من اختيار العبد لنفسه، كل قضائه رحمة، وكل آثاره جميلة، شكر نعمته عبادة، والاستغفار من معصيته قربة، والصبر على أحكامه طاعة، يأخذ الأسماع والأبصار، ويقلب الليل والنهار، ويطلع على القلوب ويقطع الدابر، ويحق الحق، ويبطل الباطل، ويمحو ما يشاء ويثبت، ويبني ويحكم وينسخ.

ليس لسنته تبديل، وليس لعاداته تحويل، لا يُغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، من شكره زاده، ومن توكل عليه كفاه، ومن اتقاه جعل له مخرجاً.

[العظمة: ص ٥٧ - ٥٨]

لا تحزن أيها الإنسان

أيها الإنسان: يا من ملَّ من الحياة، وسئم العيش، وضاق ذرعاً بالأيام، وذاق الغُصص، إن هناك فتحاً مبيناً، ونصراً قريباً، وفرجاً بعد شدة، وبُسرّاً بعد عُسْر.

إن هناك لُطفاً خفياً من بين يديك ومن خلفك، وهناك أملاً مشرقاً، ومستقبلاً حافلاً، ووعداً صادقاً، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾. إن لضيقك فرجةً وكشفاً، ولمصيبتك زوائل، وإن هناك أنساً وروحاً وندى وطلاً وظلاً. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾.

أيها الإنسان: أن أن تُداوي شكَّك باليقين، والتواء ضميرك بالحق، وعوج الأفكار بالهدى، واضطراب المسيرة بالرُّشد.

أن أن تقشع عنك غياهب الظلام بوجه الفجر الصادق، ومرارة الأسى بحلاوة الرضا، وحناس الفتن بنور يلقف ما يافكون.

أيها الناس: إن وراء بيدائكم القاحلة أرضاً مطمئنة، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان.

وإن على رأس جبل المشقة والضنى والإجهاد، جنة أصابها وابل، فهي مُمرعة، فإن لم يُصبها وابل، فَطَلَّ من البشرى والفعال الحسن، والأمل المنشود.

يا من أصابه الأرق، وصرخ في وجه الليل: ألا أيها الليل الطويل ألا أنجل، أبشر بالصبح، ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾. صبح يملؤك نوراً وحبوراً وسروراً.

يا من أذهب لبّه الهم: رويدك، فإن لك من أفق الغيب فرجاً، ولك من السنن الثابتة الصادقة فسحة.

يا مَنْ مَلَأَتْ عَيْنَكَ بِالدمْعِ: كَفَّفْ دموعك، وأَرْحِ مُقْلَتَيْكَ، اهدأ فإن لك
من خالق الوجود ولايةً، وعليك من لطفه رعاية، اطمئن أيها العبد، فقد فُرجَ
من القضاء، ووقع الاختيار، وحصل اللُطف، وذهبَ ظمأُ المشقة، وابتلَّتْ عروق
الجهد، وثبتَ الأجر عند مَنْ لا يخيب لديه السَّعي.

اطمئن: فإنك تتعامل مع غالبٍ على أمره، لطيفٍ بعباده، رحيمٍ بخلقه،
حَسَنَ الصَّنْعِ في تدبيره.

اطمئن: فإن العواقب حَسَنَةٌ، والنتائج مريحة، والخاتمة كريمة.

بعد الفقر غنى، وبعد الظَّمأ ريٌّ، وبعد الفراق اجتماع، وبعد الهجر وصل،
وبعد الانقطاع اتِّصال، وبعد السُّهاد نوم هادئ، ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ
ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

[لا تحزن: ص ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤]

ما هي السعادة

ليست السعادة شيكاً يُصْرَف، ولا دابة تُشْتَرى، ولا وردة تُشَمُّ، ولا بُرّاً
يُكَالُ، ولا بَرّاً يُنْشَر.

السعادة سلوةٌ خاطرٍ بحق يحمله، وانشراح صدرٍ لمبدأ يعيشه، وراحة قلبٍ
لخير يكتنفه.

كنا نظنُّ أننا إذا أكثرنا من التوسُّع في الدُّور، وكثُرَ الأشياء، وجمَعَ
المسهلات والمرغبات والمشتهيات، أننا نسعد ونفرح ونمرح ونُسِر، فإذا هي
سبب الهمَّ والكدر والتغريض؛ لأن كلَّ شيءٍ بهمَّةٍ وغمَّةٍ وضريبة كدِّه وكدِّحه.

[لا تحزن: ص ٣٣٤]

قاموس السعادة

ليست في الزمان ولا في المكان، ولكنها في الإيمان، وفي طاعة الديان،
وفي القلب. والقلب محلُّ نظرِ الرَّبِّ، فإذا استقرَّ اليقين فيه، انبعثت السعادة،
فأضفت على الروح وعلى النفس انشراحاً وارتياحاً، ثم فاضت على الآخرين،
فصارت على الظُّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر.

[لا تحزن: ص ٣٣١]

قاعدة في السعادة

وإن مما يجلب الهموم والغموم كثرة الديون، أو الفقر المضني المهلك.

[لا تحزن: ص ٣٣٦]

مقومات السعادة

قلبٌ شاكِر، ولسان ذاكِر، وجسم صابر.

شكراً وذكرٌ وصبرٌ فيها نعيمٌ وأجرٌ

لو جمعتُ لك عِلْمَ العلماء، وحكمةَ الحكماء، وقصائد الشعراء عن
السعادة، لما وجدتُها حتى تعزم عزيمة صادقة على تذوقها وجلبها، والبحث
عنها وطردها ما يضادها: «من أتاني يمشي أتيتُهُ هرولة».

زمن سعادة العبد: كتم أسرارهِ وتدبيرهِ أموره.

[لا تحزن: ص ١٢٥]

ولا تحزن

لا تحزن: لأن الحزن يُزعجك من الماضي، ويخوِّفك من المستقبل، ويذهب عليك يومك.

لا تحزن: لأن الحزن ينقبض له القلب، ويعبس له الوجه، وتتطفئ منه الروح، ويتلاشى معه الأمل.

لا تحزن: لأن الحزن يسرُّ العدو، ويغيظ الصديق، ويُسَمِّت بك الحاسد، ويغيِّر عليك الحقائق.

لا تحزن: لأن الحزن مخاصمة للقضاء، وتبرُّم بالمحتوم، وخروج على الأنس، ونقمة على النعمة.

لا تحزن: لأن الحزن لا يردُّ مفقوداً وذاهباً، ولا يبعث ميتاً، ولا يردُّ قدراً، ولا يجلب نفعاً.

لا تحزن: فالحزن من الشيطان، والحزن يأْس جاثم، وفقر حاضر، وقنوط دائم، وإحباط محقق، وفشل ذريع.

[لا تحزن: ص ١٥٨]

قواعد في السعادة

١. اعلم أنك إذا لم تعيش في حدود يومك تشتت ذهنك، واضطربت عليك أمورك، وكثرت همومك وغمومك، وهذا معنى: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

٢. انس الماضي بما فيه، فالاهتمام بما مضى وانتهى حمق وجنون.

٣. لا تشتغل بالمستقبل ، فهو في عالم الغيب، ودع التفكير فيه حتى يأتي.
٤. لا تهتز من النقد، واثبت، واعلم أن النقد يساوي قيمتك.
٥. الإيمان بالله، والعمل الصالح هو الحياة الطيبة السعيدة.
٦. من أراد الاطمئنان والهدوء والراحة، فعليه بذكر الله تعالى.
٧. على العبد أن يعلم أن كل شيء بقضاء وقدر.
٨. لا تنتظر شكراً من أحد.
٩. وطن نفسك على تلقي أسوأ الفروض.
١٠. لعل فيما حصل خيراً لك.
١١. كل قضاء للمسلم خير له.
١٢. فكر في النعم واشكر.
١٣. أنت بما عندك فوق كثير من الناس.
١٤. من ساعة إلى ساعة فرج.
١٥. بالبلاء يُستخرج الدعاء.
١٦. المصائب مراهم للبصائر وقوة للقلب.
١٧. إن مع العسر يسراً.
١٨. لا تقض عليك التوافه.
١٩. إن ربك واسع المغفرة.
٢٠. لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب.
٢١. الحياة خبز وماء وظل، فلا تكثر بغير ذلك.

٢٢. ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

٢٣. أكثر ما يُخاف لا يكون.

٢٤. لك في المصابين أسوة.

٢٥. إن الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم.

٢٦. كرّر أدعية الكرب.

٢٧. عليك بالعمل الجادّ المثمر، واهجر الفراغ.

٢٨. اترك الأراجيف، ولا تصدق الشائعات.

٢٩. حقدك وحرصك على الانتقام يضرُّ بصحتك، أكثر مما يضر الخصم.

٣٠. كل ما يصيبك فهو كفّارة للذنوب.

[لا تحزن: ص ١٤٢-١٤٣-١٤٤]

لا تحزن

لا تحزن: لأن الحزن يضعفك في العبادة، ويعطلُّك عن الجهاد، ويورثك الإحباط، ويدعوك إلى سوء الظن، ويوقعك في التشاؤم.

لا تحزن: فإنَّ الحزن والقلق أساس الأمراض النفسية، ومصدر الآلام العصبية، ومادة الانهيار والوسواس والاضطراب.

لا تحزن: ومعك القرآن، والذكر، والدعاء، والصلاة، والصدقة، وفعل المعروف، والعمل النافع المثمر.

لا تحزن: ولا تستسلم للحزن عن طريق الفراغ والعطالة، صلّ.. سبّح.. اقرأ..
اكتب.. اعمل.. استقبل.. زُر.. تأمل..

لا تحزن: فإن المرض يزول، والمصاب يحول، والذنب يُغفر، والدين يُقضى،
والمحبوس يُفك، والغائب يُقدّم، والعاصي يتوب، والفقير يغتنى.

لا تحزن: أما ترى السحاب الأسود كيف ينقشع، والليل البهيم كيف ينجلي،
والرياح الصرصر كيف تسكن، والعاصفة كيف تهدأ؟! إذا فشداًئك إلى
رخاء، وعيشك إلى هناء، ومستقبلك إلى نَعْماء.

لا تحزن: لهيبُ الشمس يطفئه وارف الظل، وظمأُ الهاجرة يُبرده الماء النмир،
وعَضَةُ الجوع يُسكنها الخبز الدافئ، ومعاناة السهر يعقبه نوم لذيذ، وآلام
المرض يُزيلها لذيذ العافية، فما عليك إلا الصبر قليلاً والانتظار لحظة.

لا تحزن: فقد حار الأطباء، وعجز الحكماء، ووقف العلماء، وتساءل الشعراء،
وبارت الحيل أمام نفاذ القدرة، ووقوع القضاء، وحتمية المقدور.
قال عليُّ بن جبلة:

عسى فرجٌ يكون عسى نعلل نفساً بعسى
فلا تقنط وإن لاقى تهماً يقبض النفسا
فأقرب ما يكون المرء ء من فرج إذا يئسا

لا تحزن: فإن أموالك التي في خزانتك وقصورك السامقة، وبساتينك
الخضراء، مع الحزن والأسى واليأس: زيادة في أسفك وهمك وغمك.

لا تحزن: فإن عقاقير الأطباء، ودواء الصيادلة، ووصفة الطبيب لا تسعدك،
وقد أسكنت الحزن قلبك، وفرشت له عينك، وبسطت له جوانحك،
وألحفته جلدك.

لا تحزن: وأنت تملك الدعاء، وتُجيد الانطراح على عَتَبَاتِ الربوبية، وتُحسن المسكنة على أبواب ملك الملوك، ومعك الثلث الأخير من الليل، ولديك ساعة تمرغ الجبين في السجود.

لا تحزن: فإن الله خلق لك الأرض وما فيها، وأنبت لك حدائق ذات بهجة، وبساتين فيها من كل زوج بهيج، ونخلًا باسقاتٍ له طلع نضيد، ونجومًا لامعات، وخمائلٍ وجداولٍ، ولكنك تحزن!!

لا تحزن: فأنت تشرب الماء الزلال، وتستنشق الهواء الطلق، وتمشي على قدميك معافى، وتنام ليلك آمنًا.

[لا تحزن: ص ١٤١-١٢٣-١٢٤-١١١]

شمس الصباح

صبح المهمومين والمغمومين لاح، فانظر إلى الصباح، وارقب الفتح من الفتاح.

تقول العرب: «إذا اشتد الحبل انقطع».

والمعنى: إذا تأزمت الأمور، فانتظر فرجاً ومخرجاً.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾. وقال جل شأنه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾

وقالت العرب:

الغمرات ثم ينجلنه ثم يذهبن ولا يجنه

وقال آخر:

كم فرج بعد إياس قد أتى وكم سرور قد أتى بعد الأسى
من يحسن الظن بذي العرش جنى حلو الجنى الرائق من شوك السفا
وفي الحديث الصحيح: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء».

[لا تحزن: ص ١٠٩]

قاعدة

لا تحزن: وقدّر أنك لا تعيش إلا يوماً واحداً فحسب، فلماذا تحزن في هذا
اليوم، وتغضب وتثور؟!

في الأثر: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

والمعنى: أن تعيش في حدود يومك فحسب، فلا تذكر الماضي، ولا تقلق
من المستقبل. قال الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها
إن الاشتغال بالماضي، وتذكّر الماضي، واجترار المصائب التي حدثت
ومضت، والكوارث التي انتهت، إنما هو ضرب من الحمق والجنون.

يقول المثل الصيني: لا تعبر جسراً حتى تأتية.

لا تحزن: لأن القضاء مفروغ منه، والمقدور واقع، والأقلام جفت، والصحف
طويت، وكل أمر مستقر، فحزنك لا يقدم في الواقع شيئاً ولا يؤخر، ولا
يزيد ولا ينقص.

لا تحزن: لأنك بحزنك تريد إيقاف الزمن، وحبسَ الشمس، وإعادة عقارب الساعة، والمشي إلى الخلف، وردَّ النهر إلى منبعه.

لا تحزن: لأن الحزن كالريح الهوجاء تُفسد الهواء، وتُبعر الماء، وتغيّر السماء، وتكسر الورود اليانعة في الحديقة الغناء.

لا تحزن: لأن المحزون كالنهر الأحمق، ينحدر من البحر ويصبُّ في البحر، وكالتي نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، وكالنافخ في قرية مثقوبة، والكاتب بإصبعه على الماء.

لا تحزن: فإن عمرك الحقيقي سعادتك وراحة بالك، فلا تُنفق أيامك في الحزن، وتبذّر لياليك في الهم، وتوزّع ساعاتك على الغموم، ولا تسرف في إضاعة حياتك، فإن الله لا يحبُّ المسرفين.

- إن من يعيش عمره على وتيرة واحدة جدير أن يصيبه الملل لأن النفس ملومة.

[لا تحزن: ص ١٠٢-١٠٣-١٠٤-٩٩]

لا تنتظر شكراً من أحد

ألا فليهدأ الذين احترقت أوراق جميلهم عند منكوسي الفطر، ومحطمي الإرادات، وليهنؤوا بعوض المثوبة عند من لا تنفذ خزائنه.

إن هذا الخطاب الحار لا يدعوك لترك الجميل، وعدم الإحسان للغير، وإنما يوطنك على انتظار الجحود، والتكر لهذا الجميل والإحسان، فلا تبتس بما كانوا يصنعون.

اعمل الخير لوجه الله؛ لأنك الفائز على كل حال، ثم لا يضرك غمط من غمطك، ولا جحود من جحدك، واحمد الله لأنك المحسن، واليد العليا

خير من اليد السفلى ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾.

[لا تحزن: ص ٤١]

اترك المستقبل حتى يأتي

إن إعطاء الذهن مساحة أوسع للتفكير في المستقبل وفتح كتاب الغيب ثم الاكتواء بالمرعجات المتوقعة ممقوتٌ شرعاً؛ لأنه طول أمل، وهو مذموم عقلاً؛ لأنه مصارعة للظل. إن كثيراً من هذا العالم يتوقع في مُستقبله الجوع والعري والمرض والفقر والمصائب، وهذا كله من مقررات مدارس الشيطان: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً ﴾.

اترك غداً حتى يأتيك، لا تسأل عن أخباره، لا تنتظر زحوفه، لأنك مشغول باليوم.

وإن تعجب فعجب هؤلاء يقترضون الهم نقداً ليقضوه نسيئة في يوم لم يشرق شمسُه ولم ير النور، فحذار من طول الأمل.

فأنت عندهم مذنب لا توبة لك حتى تترك مواهبك ونعم الله عليك.

إنك إن أصغيت لكلام هؤلاء وتفاعلت به حققت أمنيتهنم الغالية في تعكير حياتك وتكدير عمرك، ألا فاصفح الصفح الجميل، ألا فأعرض عنهم ولا تك في ضيق مما يمحرون. إن نقدهم السخيف ترجمة محترمة لك، وبقدر وزنك يكون النقد الآثم المفتعل.

[لا تحزن: ص ٣٨-٣٩-٤٠]

يومك يومك

اليوم الذي أظلتك شمسك، وأدركك نهاره هو يومك فحسب، عمرك يوم واحد، فاجعل في خلدك العيش لهذا اليوم وكأنك ولدت فيه وتموت فيه، حينها لا تتعثر حياتك بين هاجس الماضي وهمه وغمه، وبين توقع المستقبل وشبحه المخيف وزحفه المرعب.

إن عليك أن تكتب على لوح قلبك عبارة واحدة تجعلها أيضاً على مكتبك تقول: (يومك يومك). إذا أكلت خبزاً حاراً شهياً هذا اليوم فهل يضرك خبز الأمس الجاف الرديء، أو خبز غد الغائب المنتظر.

ويا مستقبل أنت في عالم الغيب فلن أتعامل مع الأحلام، ولن أبيع نفسي مع الأوهام، ولن أتعجل ميلاد مفقود؛ لأن غداً لا شيء؛ لأنه لم يخلق ولأنه لم يكن شيئاً مذكوراً.

يومك يومك أيها الإنسان أروع كلمة في قاموس السعادة لمن أراد الحياة في أبهى صورها وأجمل حللها.

[لا تحزن: ص ٣٦-٣٧-٣٨]

ما مضى فات

تذكرُ الماضي والتفاعل معه واستحضاره، والحزن لمآسيه حمقٌ وجنون، وقتلٌ للإرادة وتبديدٌ للحياة الحاضرة.

إن تفاعلك مع الماضي، وقلقك منه واحتراقك بناره، وانطراحك على أعتابه، وضعٌ مأساوي رهيبٌ مخيفٌ مفرعٌ.

[لا تحزن: ص ٣٤-٣٥]

«عائض» ولغة الأرقام

إن للغة الأرقام في حياة «عائض» مكانا، فهو يهز مشاعرك ويكاد يخلب لُبَّك حينما يجعلك تحلق في فضاءات هذه الأعداد، فهذه «قناة واحدة»، وهاتان «فرحتان، ودمعتان، وبسمتان» و«حُبَّان» و«أحمدان وحمَّادان»؛ وهذه «اللآلئ الثلاث» و«الصرخات الثلاث» وهؤلاء «آل سعد ثلاثة»... والميمات البازية الثلاث، والأربعة الخلفاء، والقرءاء، الشهداء..

فأنت تسبح في هذا الخضم... وتخوض في هذا الزخم من الأعداد وهو يسبكها في معمل البيان، ويصوغها كالجمان؛ ثم تخرجُ فيها من الروعة والبيان ما يُسلي «الشييان»؛ ويَهْزُ الأركان..

وطالعهـا معي، ولعلي في هذا رائدٌ لا يكذبُ أهله؟

وردد قول الأول:

أحسنْتَ أحسنْتَ لا أحسنْتَ واحدةً

أحسنْتَ أحسنْتَ فوق الألفِ مليون



بثنا

لنا قناة واحدة ولهم قنوات، بثنا من فوق السماوات، وبثهم من العرَبسات،
إرسالنا من عند سدرة المنتهى، وإرسالهم من الزَّيغ والهوى، جبريل يحمل
الآيات، ومحمد يتلقاها بثبات، ديننا يزدان بالنور، والعالم بالكفر يمور.

يا أصحاب قنوات الفضاء، يا من أعرَضَ عن رسالة السماء!!، ما لكم
تتشرون غسيلكم، وتجعلون الهوى سبيلكم، أين الكلمة الأمانة، والفكرة
الرصينة، والمقولة الرزينة؟ أين البيان الخلَّاب، والمنطق الجذاب؟ لغة سوقية،
ودعوة شقية، أزياء وإغراء، وغطاء وهراء، وأدعاء وافتراء.

[مقامات القرني: ص ٢٨٥]

٢ × ٢

للتائب فرحتان ودمعتان وبسمتان.

فرحة يوم ترك الذنب، والأخرى إذا لقي الرب، ودمعة إذا ذكر ما مضى.
والثانية إذا تأمل كيف ذهب عمره وانقضى، وبسمة يوم ذكر فضل الله
عليه بالتوبة، وهي أجل نعمة، والأخرى يوم صرف عنه الذنب وهو أفضع نقمة.

[مقامات القرني: ص ٢٤٤]

الحب.. حبان

الحب حبان: حب أرضي طيني سفلي إنما هو هيام وغرام، وحب علوي
سماوي إلهي، وهو طاعة وعبادة وشهادة وسيادة.

فحب الأرض للعيون السود والحدود والقُدود، ووادي الغضا، وأهل البان،
وذكريات سلمى، وأيام ليلى.

وحب الإله تعلق بشرعه، وانقياد لأمره، وامتنال لدينه، وتقرب منه.
حب الطين آهات وزفرات وحسرات وندامات.

[مقامات القرني: ص ١٢]

(أحمدان) و (حمّادان)

لدينا أحمدان، ولديهم أحمدان، صادقان، وكاذبان، عندنا أحمد بن حنبل،
إمام السُّنَّة المُبْجَل، وعَلَامَةُ الحديث المفضل، وأحمد بن تيمية، مجدد الأمة
الإسلامية، صاحب التدمرية والحموية.

وعندهم أحمد بن أبي دُوَاد، صاحب البدعة والعناد، والخلاف والفساد،
وأحمد غلام مرزا قاديان، حامل الزور والبُهتان، والدجل والطغيان.

عندنا حمّادان، وعندهم حمّادان، عندنا حمّاد بن زيد، الراوية المُفيد،
والمحدث المجيد، وحمّاد بن سلمة، نصب للصدق علمه، وأجرى في العلم قلمه،
وعندهم حمّاد عجرد، الشاعر المعريد، والضالّ المُلحد، وحمّاد الراوية،
صاحب الأفكار الخاوية، أُمّه هاوية.

لَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدِيْنَ فِي النَّدَى

يَزِيدِ بْنِ عَمْرٍو وَالْأَعْرَبِ بْنِ حَاتِمٍ

فَهُمُ الْفَتَى الْأَزْدِيّ إِتْلَافُ مَا لَهُ

وَهُمُ الْفَتَى الْقَيْسِيّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ

[مقامات القرني: ص ١٢٧-١٢٨]

اللاءات الثلاث

لا تغفل ذكره، ولا تنس شكره، ولا تأمن مكره، هو الذي عَفَّرَ بالطَّيْن أنف
 فرعون اللعين، وأغرق جنوده أجمعين، مساكن من عصاه قاع قرقر، بعد ما
 أرسل عليهم الريح الصَّرصر، إذا غضب دَمَّرَ المنازل على أهلها، وسوَّى جبالها
 بسهلها، شاب رأسك، وما خفَّ بأسك، وما زال في المعاصي فأسك، ما لك
 لا تردك الآيات، ولا تزجرك العِظَات، ولا تتذكَّر الأموات، مُصِرُّ مُستكبر،
 تركب كل أمر منكراً.

[مقامات القرنى: ص ٢٠٠]

صرخات التفجع ثلاث

وَأَمُعْتَصِمَاهُ: أطلقتها امرأة في عَمُورِيَّة، عندما أُهينَت في البلاد الروميَّة،
 فسمعها المعتصم الأسد الهصور، فترك القصور، وخرج بجيش يَمُور، أدلَّ أتباع
 نقفور، وأخذ الكفور، وجعله عبداً للمسلمة التي صرخت باسمه من وراء البحور.
 أما وإسلاماه: فأطلقها قطز وبيده البتار، يوم نازل التتار، فهزم من كفر
 وولَّوا الأدبار.

وأما وأُمَاه: فهي صرخة مفجوعة، وصيحة مقطوعة، قالها طفل من الأندلس،
 لما رأى أُمه وهو في حضنها تختلس. فقال أبو البقاء يصف هذا الشقاء:

يَا رَبَّ أُمٍ وَطِفْلٍ حِيلَ بَيْنَهُمَا
 كَمَا تَفَرَّقُ أَرْوَاحُ وَأَبْدَانُ

[مقامات القرنى: ص ٢١٤-٢١٥]

آل سعد ثلاثة

آل سعد ثلاثة في العدّ، أهل وعد وعهد. اهتزّ عرش الله لسعد،
ووجد ريح الجنة من دون أحد سعد، وقال ﷺ في أحد: «ارم فداك أبي وأمي
يا سعد».

فالأول: سعد بن معاذ، سيّد الأنصار، وقدوة الأبرار، الذي ألحق باليهود
البوار.

والثاني: سعد بن الربيع، المقدام الشجاع، صاحب الموقف البديع.

والثالث: سعد بن أبي وقاص، كان مع النبيّ من الخواص، أخذ من الفُرس
القصاص.

[مقامات القرنين: ص ٢١٦]

الميمات البازية

وابن باز جمع بين ثلاث ميمات، لها قيمات، ولها عليه سِمات وعلامات:

فميم العلم، والرسوخ في الفهم، وهي إمامة مقدسة، على الوحي مؤسسة.

وميم الكرم والسخاء، والتي حُرِّمَ منها البُخلاء، فصار هذا الشيخ بالكرم
رئيساً، وعند الناس نفيساً.

وميم الحلم، فلا يغضب ولا يعتب ولا يصخب ولا يضرب.

[مقامات القرنين: ص ١٨٨]

عالم التضحية

قدّم المهاجرون أربعة خلفاء فقدّم الأنصار أربعة قراء، أهدت قريش مصعب بن عمير، فأهدى الأنصار ابن الحمام عمير.

تأخّر أنس بن النضر عن بدر، فجمع بين الغزوتين في جمعٍ وقصر، فقتل في أحد بعد الظهر.

لمّا عذّر الله عثمان يوم بيعة الرضوان، علّم الله صدقه فسعت إليه الشهادة إلى الديوان.

أبو بكر صديق، والمخطوطة لا تحتاج إلى تحقيق، والرجل غني عن التوثيق، فلم يقتل لأنه أخذ حكم الرفيق.

[مقامات القرني: ص ٢١٨]

القلب السليم

اغسل قلبك سبعا بماء الحب، وعقره الثامنة بالعفو والغفران عمن ظلمك وشتمك؛ لتعيش سعيداً ناعم البال هادئ النفس مرتاح الضمير، وعليك أن تعقر عقارب قلبك بسكين الصبر والحلم، وأن تذبح ذئب نفسك الأمانة بسيف الإيمان، وأن تنظف فناء روحك من زبالة الأفكار الرديئة وركام الخواطر السيئة، وأن تغرس في بستان نفسك أشجار الحكمة وأزهار المعرفة وورد العلم.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٢٣]

فكر واشكر

أن تذكر نعم الله عليك، فإذا هي تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ صحة في بدن، أمن في وطن، غذاء وكساء، وهواء وماء، لديك الدنيا وأنت ما تشعر، تملك الحياة وأنت لا تعلم ﴿وَأَسْغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ عندك عينان، ولسان وشفتان، ويدان ورجلان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ هل هي مسألة سهلة أن تمشي على قدميك، وقد بترت أقدام؟! وأن تعتمد على ساقيك، وقد قطعت سوق؟! أحقير أن تنام ملء عينيك، وقد أطار الألم نوم الكثير؟! وأن تملأ معدتك من الطعام الشهي، وأن تكرر من الماء البارد، وهناك من عكر عليه الطعام، ونقص عليه الشراب بأمراض وأسقام؟! تفكر في سمعك وقد عوفيت من الصمم، وتأمل في نظرك وقد سلمت من العمى، وانظر إلى جلدك وقد نجوت من البرص والجذام، والمخ عقلك وقد أنعم عليك بحضوره ولم تفجع بالجنون والذهول.

[لا تحزن: ص ٣٣-٣٤]

صناعة الحياة

صناعة الحياة هي أن يكون لك موقع في هذا العالم، فتكون رقماً له قيمة لا صفراً على شمال العدد، ومعنى ذلك أن تساهم في البناء والعطاء بما تستطيع لا أن تكون حملاً ثقيلاً على الأمة، إن النحلة الميتة ترمى خارج الخلية لأنه لا قيمة لها، وإن الشجرة اليابسة تزال من الحديقة لأنه لا نفع من ورائها. فما هو جزاء إنسان سميع بصير لا يعطي ولا ينتج ولا يعمل.

إن أرخص موجود هو ذاك الإنسان الآكل الشارب النائم الذي جفت منابع
نفعه ونضبت أودية خيريه وحق له أن يسقط من عيون النبلاء؛ لأنه محا اسمه
من دفتر الحياة، وشطب على رقمه من لوحة العطاء والتضحية، فهو في عالم
الأموات ولكنه يأكل ويشرب في دنيا المقابر، غير أنه يضحك وينام، ومثله
يساهم في غلاء الأسعار لكثرة ما يأكل ويشارك في شح الماء لكثرة ما يشرب،
الناس متجهون إلى الأمام يبنون وينتجون وهو متجه إلى الخلف؛ لأنه عكس
النماء والبناء وضد النفع والعطاء وعدو النجاح والتفوق.

إن قافلة الحياة لا تنتظر الخاملين، فهي مُعدة لركوب صنّاع الحياة
والمقاعد محجوزة والوقت لا ينتظر أحداً وليس في حافلة النجاح مقعد واحد
للتافهين.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٥ - ٦]

الحرف الخطير

زاد اليهود نقطة، فوقعوا في ورطه، وسقطوا سقطه، قيل لهم قولوا:
حِطّه، فقالوا: حِطُّه.

وزاد المبتدعة حرفاً، فصُرفوا عن الصواب صرفاً، قالوا: استولى مكان
استوى، وهذا من الزيع والهوى.

[مقامات القرني: ص ٣٧١]

حروف

اكتب على مستشفيات العالم نصيبها من القرآن ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ اكتب على العيادات النفسية ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وسطر على المحاكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ وانقش على القلوب ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ وانحت على الذّاكرة ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ عَمِيَت عيون لم تكتحل بالقرآن، وصُمَّت آذان لم تشف بالقرآن، ومُرِّقَت أفئدة لا تحب القرآن، وهُدِمَت بيوت لا تُدَوِّي بالقرآن، ومُحِقَّت شعوب لا تتحاكم إلى القرآن، وهانت أمة لا تعمل بالقرآن.

[مقامات القرنين: ص ١٠٢]

هما صنفان

بعض العلماء نفعه للناس قليل مع كثرة علمه، إما بقلة صبره، أو لكبره وسوء خلقه، أو لحبه للتفرد والعزلة، وبعضهم نفع الله به الخلق مع قلة علمه بالنسبة لغيره، وجميل تواضعه، وحسن عشرته، وحبه للخير، وقربه من قلوب الخلق، والأخلاق والمواهب حظوظ.

[حدائق ذات بهجة: ص ٣١٦]

سجن وسجن

سجن شاعران، متفائل ومتشائم، فأطلاً من نافذة السجن، فأما المتفائل فنظرة نظرة في النجوم فضحك، وأما المتشائم فنظر في طين الطريق فبكى:

وذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

[حدائق ذات بهجة: ص ١٢ - ١٣]

الآلات الست

لا تغلب، لا نهزم، لا نضل، لا نضيع، لا نياس، لا نقنط؛ لأن الله معنا، النصر
حليفنا، الفرج رفيقنا، الفتح صاحبنا، الفوز غايتنا، الفلاح نهايتنا لأن الله معنا.
من أقوى منا قابلاً، من أهدى منا نهجاً، من أجلّ منا مبدءاً، من أحسن منا
سيرة، من أرفع منا قدراً؟ لأن الله معنا.

[محمد ﷺ كأنك تراه: ص ٦٢ - ٦٣]

القاسم المشترك

إن القاسم المشترك الذي يجمع الملاحدة الأولين والآخرين هو: سوء
الأدب مع الله، والمجازفة بالقيم والمبادئ، والرُّعونة في الأخذ والعطاء،
والإعراض عن العواقب، وعدم المبالاة بما يقولون ويكتبون ويعملون: ﴿ أَفَمَنْ
أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ
فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

إن الحلَّ الوحيد لهؤلاء الملاحدة، للتَّخَلُّص من همومهم وأحزانهم - إن لم
يتوبوا ويهتدوا - أن ينتحروا وينهوا هذا العيش المرَّ، والعمر التافه الرخيص:
﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾، ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

[لا تحزن: ص ٣٤٨]

صراطان

وهما صراطان: معنوي وحسي، فالمعنوي: صراط الهداية والإيمان، والحسي: الصراط على متن جهنم، فصراط الإيمان على متن الدنيا الفانية له كلاليب من الشهوات، والصراط الأخروي على متن جهنم له كلاليب كشوك السعدان، فمن تجاوز هذا الصراط بإيمانه تجاوز ذاك الصراط على حسب إيقانه، وإذا اهتدى العبد إلى الصراط المستقيم زالت همومه وغمومه وأحزانه.

[لا تحزن: ص ٢١٦ - ٢١٧]

الله أكبر

- الله أكبر عدد قطر البحار، وورق الأشجار، ورذاذ الأمطار، وذرات الغبار.
- الله أكبر عدد حبات الرمال، الله أكبر، مع تعاقب القرون والأجيال، وتصرم الأعمار والآجال.
- الله أكبر حقاً حقاً، الله أكبر محبة وصدقاً، الله أكبر عبودية ورقاً.
- الله أكبر تشدو بها الطيور على الفن، وتلهج بها الألسن في كل زمن.
- تقدس الكبير المتعال، تبارك ذو الجلال، عز ذو الجمال والكمال.
- الله أكبر تزلزل قلاع المارقين، وتفسف معاقل المنافقين، وتحطم أوكار الفاسقين، وتهدم جيوش الخائنين.
- الله أكبر ترجف لها القلوب، وتغفر بها الذنوب، وتصغر لها الشعوب.

[لا تحزن: ص ٢٥ - ٢٦]

«عائض» والخطابة

عُرف «عائض» بالخطابة قبل ن يعرف بغيرها؛ فإذا هو خطيبٌ مصقع يعزف ألحان الحب والجمال، على أعذب أوتار القلوب.. فتنهال العبارات، والأبيات، والإشارات.. والخطرات.. قطرات.. قطرات.. يقف بك على مجتمع المثل، فتري العجب العجائب، وكأنك بينهم حين يحدثك..

الخطابة عند «عائض»..

هزُّ أعواد المنابر.. ونثر الدرر على رؤس الأشهاد.. بجواهر البلاغة وروائع البيان، وسبي العقول، بالمعقول والمنقول.. الخطابة عنده ليست إلا لأهل الشجاعة، البدنية، والفكرية، والأدبية..

وهزُّ القلوب، وإنعاش الأرواح، في نشر المبادئ العظيمة لهذا الإسلام العظيم..

الخطيب «مؤدِّ» يذكي في قلوب أهل الإيمان «كهرياء» الامتثال والطاعة، والتأسي..

الخطيب يبني شعوباً، ويحرك أجيالاً، ويقود رجالاً، ينصر حقاً، ويزهق باطلاً، ويسحق زيفاً وزوراً، وينصب عدلاً، ويقوم خطلاً..

لسان الخطيب يفعل فعله في الحضور، كفعل السحر في عصي سحرة فرعون.. إنه سحر البيان..



الخطيب عند «عائض»، لسانٌ صادق، يقود السامعين إلى تلال التدبير، والتفكير كما يقود القائد جيشه.

بل إن الكلمة جندٌ من جند الرحمن، ينصر الله بها من شاء من عبادة، على من شاء..

إذا خطب الخطيب، عن الآخرة جلاً أمرها، فكأنك تراها رأي العين، بل ويؤثر في فؤادك..

وإن خطب عن الجهاد في سبيل الله هون الموت على الجنود في سبيل الله؛ بل جعله لهم مناسبة سارة جداً..

إن سحر الخطابة عند «عائض»، في سموها بالفكرة، وعمقها بالأصالة، وتأثيرها في النفوس، ومعانيها في الحياة، واللسان الذلق يصنع الأعاجيب، وينتج الأحداث، ويرسم الوقائع...

والخطيب عند «عائض» موسوعة علمية ميسرة، ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾..

فإلى شيء مما دبجه «عائض» في ذلك..

البيان الساحر

إن من البيان لسحراً يخلب الألباب، ويلون الأمزجة، ويغير الصور والأحداث والأشياء والمواقف. وإن من الخطابة لسحراً يشجع الجبان، ويرد الجامح، ويعزي المصاب، ويسخي البخيل، ويقدم الهياب.

وسحر الخطابة في سموها... في عمقها... في تأثيرها... في معانيها.. في عواطفها.

وسحر الخطابة في إلقائها، وجاذبيتها، وحلاوتها، وطلاوتها، واللسان الذلق يصنع الأعاجيب، وينتج الأحداث، ويرسم الوقائع.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٥٤]

السحر الحلال

ما رأيت أملك للقلوب من حسن الخلق، وما وجدت مثل الكلمة الطيبة مصيدة للنفوس، والسحر الحلال هو التبسم في وجوه الرجال، فعود نفسك يا أخي البسمة عند اللقاء، والكلمة الطيبة عند الحديث، واحذف -حفظك الله- كلمات التجريح من قاموسك، واشطب ألفاظ السباب والشتم من دفتر أخلاقك؛ تعش سعيداً محبوباً، ففي الحديث «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» واعلم أن كسب الناس فن يدرس، ومادة تتعلم فاجتهد في جذب القلوب فإن هذا علامة القبول لتحصل على دعاء بظهر الغيب، وثناء يكون عمراً ثانياً لك، ومحبة أعظم من كنوز الدنيا وصداقة خيراً من القناطير المcnطرة من الذهب والفضة.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٢٥٧ - ٢٥٨]

اللسان البليغ

إن اللسان الصادق البليغ يفعل في الأمم فعل الجيوش الجرارة، والكتائب الهادرة، والجنود المغامرين، واللسان الصادق البليغ يخاطب الأرواح مباشرة، ويناجي الخلد بلا حجاب، ويناجي البصائر بما أراد.

وبالكلمة المؤثرة الواصلة يدرك حداة الحق ورواد الفضيلة مطالبهم، فعند سماع الخطبة يشجع الجبان، ويسخو البخيل، وينبل الخامل، ويجاهد القاعد، ويثابر المحطم.

وعند سماع الخطبة يُطعم الفقير، ويُكسى العاري، ويُعان المنكوب، ويُمسح دم المصاب.

الخطب الهادرة الطنانة تشعل الحماس في رؤوس المقاتلين، والغيرة في نفوس المدافعين.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٥٠ - ٥١]

دفتر البيان

طالع دفتر بيانه عليه الصلاة والسلام، وتأمل ديوان فصاحته، كلام لعمرى يأخذ بالقلوب، وحديث والله يأسر الأرواح، صحة مخارج، وإشراق عبارة، وحسن ديباجه، وانتقاء ألفاظ، ورصانة جمل، حتى كأن حديثه روض فوّاح، أو حديقة غنّاء، باكرها الغيث وصحبته الصّبّا، وداعبها النسيم، وقد آتاه الإعجاز في إيجاز، والبلاغة في اختصار، وقد أخبر بذلك فقال: «أوتيت جوامع الكلم».

[محمد ﷺ كأنك تراه: ص ١١٣ - ١١٤]

قوة الكلمة

الكلمة الطيبة تقيم مبادئ، وتنعش أرواحاً، وتحرك أجيالاً، وتبني شعوباً، والكلمة الطيبة تُصلح طريق الخطأ، وتنصب عدلاً، وتدحض باطلاً، وتسحق زيفاً، والكلمة الطيبة طريق إلى العمل، واستفادة من الماضي، ونشيد حماس لليوم، وأمل واعد للمستقبل.

وأقوى ما تكون الكلمة على منبر الوعظ يوم تطرق الرؤوس إلا همساً، حينها ينتصب الخطيب، ويتدفق لسانه بالحجج، وتتساب نغماته في الأرواح انسياب الماء في العود، والحب في المهج، والنور في التيار.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٤٧]

إن من البيان لسحراً

إن البحث عن البيان في الكلام متعة؛ لا يعادلها متعة ارتياد الروض الأخضر، والخميلة المائسة، ولا يعادلها مجلس أنس، أو رحلة سياحة، وقد وصف أحد البلغاء كلام أحد الأدباء فقال: إذا تحدث فكأن السحر دبَّ في جسمك، وهذا معنى قوله ﷺ: «إن من البيان لسحراً»، فهو يفعل السحر في خليه لللب السامع، يقول ابن الرومي:

وكلامها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يمل وإن هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجز

والكلمات الجميلة هي التي نُقشت في أذهاننا، وكتبت في قلوبنا، فبقيت وعاشت: أقرأ كلام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فأكرره كأنني أشرب

زلاً بارداً حلواً على ظمأ في قيظ، حتى عقد له ابن كثير في تاريخه فصلاً عنوانه: باب في كلماته الحاصلة التي هي إلى القلوب واصله، ولما افتتح البخاري كتاب الرقاق من صحيحه ذكر قول علي: «إن الدنيا ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة ارتحلت مقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»، فانظر إلى هذا الإيجاز مع قوة المعنى وحسن الفواصل، وبراعة الإيراد، وجمال العرض.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ص ٢٥]

السحر الحلال

إن أساطين البيان حفروا كلماتهم في ديوان التاريخ، وذاكرة الأجيال؛ لأن الإبداع له خلود، والتفوق له ذبوع، والتفرد له امتياز.

قال أحد الخلفاء لبليغ: ما البلاغة؟ قال هي: أن لا تبطل ولا تخطئ. قال مثل ماذا؟ قال: مثل هذا، وانظر كيف أوجز وأعجز. وقالوا لشاعر: نراك تسرع في الكلام قال: لأن القوافي تزدحم في في - أي فمي -، فما أسرع جوابه وأحسن صوابه.

ومدح رجل علياً - رضي الله عنه - وكان يبغض علياً - فقال له علي: أنا فوق ما في نفسك ودون ما تقول، وقال له رجل: لماذا اتفقت الأمة على الشيخين، واختلفت عليك؟ قال: لأن رعيتهما أنا وأمثالي، ورعيتي أنت وأمثالك! فقل لي بربك: أي جواب هذا الذي كأنه أعده من شهر.

لقد حرمتنا متعة البيان بسبب هذا الهذيان، كلام طويل ثقيل وبيل، وتكرار وتبذل، حتى إنك لتسمع الخطيب يتكلم ساعة كاملة ولو جمع ما قال في

خمس دقائق لأحسن إلى نفسه وإلى السامعين.

إن السيلان الخطابي، والثرثرة في الحديث شيء، والبيان والبلاغة شيء آخر، إن البيان هو أن تصيب المحز وتشفي النفس وتبلغ حجتك.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ص ٢٦ - ٢٧]

أهل التميز

إن الذين يريدون التأثير في الأجيال، ثم لا ينفضون من حولهم بنتائجهم وعلمهم وأدبهم وخطبهم، إنما هم أموات غير أحياء، وما يشعرون أيان يُبعثون.

إن أهل الدعة والخمول نسخ مكررة، يراها الناس ملء الشوارع والأسواق، ولكن العباقرة أندر من الكبريت الأحمر، فهم يشاركون الناس في الصورة الظاهرة، ويفوقونهم في المواهب والصفات.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ص ٧٣]

عُشاق الكلمة

لا بد لعشاق البيان، وهواة جمال الكلمة، ونساعة القول، من ذائقة فنية، وحاسة سادسة للتمتع بطعم التأثير المشرق لسحر الكلام، وإلا فلا فائدة من عَرَضِ تَحَفِّ البيان على عُمَي البصائر، وإبراز مخدرات الحسن على كل أكمه وأعشى.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ص ٨١]

كمال رسول الأمة

فلو جمعت بلاغة سحبان، وكتابة ابن العميد، وذكاء إلياس، وبيان ابن عباس،
وشعر المتنبى، في وصف ذاك الحال لقصر المقال، ولم يستوف تلك الخصال.

[حدائق ذات بهجة: ص ٢٠]

الصلاة على محمد ﷺ

الصلاة على محمد ﷺ جلاء الأبصار، ونور البصائر، وبهجة القلوب،
وراحة الأرواح، وقرة العيون، ومسك المجالس، وطيب الحيلة، وزكاة العمر،
وجمال الأيام، وذهاب الهموم، وطرد الأحزان، وهي الجالبة للسرور، وانشراح
الصدور، وتكامل الحبور، وتعاضم النور.

بها يطيب السمر، ويحلو الحديث، ويحلُّ الأنس، وتحصل البركة، وتتنزل السكينة،
وهي علامة الحب، وشاهد المتابعة، وبرهان الموالة، ودليل الصلاح، وطريق الفلاح.

[محمد ﷺ كأنك تراه: ص ١٥١]

زمن عجيب

نحن في زمن عجيب، وفي عصر غريب، كم بلينا بخطيب غير أديب، ولا
مُصيب، إذا تكلم تلعثم وهمهم، وغمغم وتمتم. إذا بدأ في الكلام اعتذر، لا
يدري ما يأتي وما يذر؛ لأن كلامه هذر مذر، ابتلي الرجال بالسَّعال، وكثرة
الانفعال، وسوء التعبير في المقال.

[مقامات القرنين: ص ٢٣٥]

الخطيب البارع

الخطيب القدير يهدأ فتسكن الأسماع، وتخفت الأرواح، ويثور فيغلي الجو، ويضطرب الشهود، يستفهم واجماً كالأسد المتأمل، ويتعجب منذهلاً كالشاعر الواله، ويتسعطف في العبارة كالفقير اللوح، ويأمر كالسلطان المطاع، ويرثي في مقام الرثاء، فينسى الناس الخنساء، ويعزي فيذهب حر المصاب مع برد العزاء.

والخطيب القدير يستظهر الآيات البيئات فيليس بتيجانها هامات خطبه، ويرصع بدررها حل وعظه، ويحفظ الحديث الصحيح فيطرز وشي كلامه بجوامع كلمه ﷺ، ويربط على قلبه بأنفاس المعصوم، عنده الأدب، مادته وعصاه برده، فالآبيات على طرف لسانه يطرب ويحمس ويتفنن، وعنده القصص ينشرها بسرد عجيب وطرح غريب، فكأن السامع عاشها، والغائب حضرها.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٢٣٢]

الخطيب الملهم

الخطيب البارع يأسر القلوب أسراً، ويسري بالأرواح قسراً، ويسترقّ الضمائر ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾، وله على مستعمرات النفوس احتلال واستيلاء. الخطيب الملهم يكتب على صفحات القلوب رسائل من التأثير، ويرسم في العقول صوراً من براعة التعبير، ويبني في الأفئدة خياماً من جلال التصوير. هل تملّ من الروضة الغناء إذا غنى فيها العندليب، وحلّ بها الحبيب، وأطفأ نسيمها اللهب، وكذلك الخطيب النجيب، في خطبه روضات من الجمال، وبساتين من الجلال، ودواوين من الكمال.

[مقامات القرني: ص ٢٣٦]

الخطيب القدير

الخطيب القدير يعيش الخطبة بقلبه وجوانحه وعواطفه، فهو يتكلم للناس لكن بعروق دمه، وشرائينه، وحشاياه، يتحدث عن الألم وهو أول المتألمين، يتوجع لما حدث، لا بلسانه بل بجنانه فيظهر ذلك في خلجات صورته، وقسمات وجهه، ونبرات صوته، ولفتاته، وإشارته، ويتكلم عن البشري فإذا هو سعيد بما حدث، جذلان بما صار، يسعد الناس بما يحمله هو في نفسه وخفاياه.

والخطيب المصقع موسوعة علمية لا يضايقه الحديث عن أي جانب، بل هو كالسيل، كلما وجد فراغاً ملأه، وكلما صادف مكاناً منخفضاً أفرغ فيه جموحه، يطالع كثيراً، ويتدبر كثيراً، يسبك العبارات، فيجعل الخطبة كهيكल الذهب، متناسقة، ومتقاربة، لا نشاز فيها، ولا التواء.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٥٦]

شجاعة الخطيب

تكن شجاعة الخطيب في رباطة جأشه، وسكون خاطره، واطمئنان نفسه، فهو يواجه الجموع وعليه السكينة واثقاً من نفسه، مؤمناً بما يقول، قديراً على ضبط الموقف.

الخطيب الشجاع يهدأ أحياناً في موقف الهدوء فيلطف صوته، وتخف نبرته، ويزمجر في موقف الإثارة والقوة، فيشد الحاضرين، ويلهب القلوب بسياط وعظه، ويصك صوته الأذان فتصل حرارة كلماته إلى سويداء القلوب.

إن أول الفشل هو جبن الخطيب وخوره، فما إن يشعر بالضعف والانهازم إلا وترتجف أعضاؤه، ويتلعثم لسانه، ويسيل عرقه، حينها لا تسأل كم هو الإحراج الذي يعيشه سامعوه فضلاً عنه، وهذا هو سقوط الخطيب صراحة. كيف يؤثر في الجموع من يرهبها؟ وكيف يستولي على قلوبها من يخجل منها؟

إن قوة القلب في مواجهة الناس مدد عظيم يمنحه الله أهل القدرات والمواهب فيجدون في مخاطبة الجماهير سلوة وحياة ومتعة، فكلما كثر الجمع زاد أحدهم قوة وجاذبية وتوقداً ولموعاً.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٣٩ - ٤٠]

بلغاء الخطباء

بلغاء الخطباء يشعلون الحمية في أفئدة أبطال الكفاح، ويدعون إذا ادلهم خطب، ووقعت واقعة وحلت داهية، ليقولوا كلمتهم في الحشود، ويلقوا عصا الحجة في الجموع، فإذا هي تلقف كل باطل، وتلتهم كل حدث.

بلغاء الخطباء ينسجون في وقفة واحدة تاريخاً طويلاً، وينظمون في لحظة قصيرة آمالاً كبيرة.

إن انتصرت الأمة مجدوها حتى تصل هامتها الثريا، وإن غلبت رفعوها ولو كان رأسها على الثرى.

إن خطبوا في فن الشجاعة هونوا الموت على الجنود، حتى كأنه حضور مهرجان، ومشاهدة حدائق ذات أفنان، ورغبوا الجيوش في البسالة حتى كأن الحياة بلا موت لا شيء، والبقاء بلا دفاع فناء، والعيش بلا نضال عار.

يهنونون شأن العدو حتى كأن سيوفهم أقلام كاتبين، ورماحهم أغصان
لاعبين:

فمن في كفه منهم قناة

كمن في كفه منهم خطاب

وإن خطبوا في الأغنياء ملتمسين البذل والسخاء جعلوا العطاء حياة،
والإمساك موتاً، والإنفاق سعادة، والقبض شقاء، فعلى زجل كلامهم تنهال
الدراهم والدنانير، ومع وقع عباراتهم يسقط الذهب والفضة، وبخطبهم تفرغ
القناطير المقنطرة من أكياسها، وتخرج الكنوز من أكداسها، يخطبون في
الفقراء فيحيلون مرارة العدم إلى السعادة، وبذاذة البؤس إلى المكرمة، فإذا
الفقير محسود بفقره مغبوط بعدمه، يرى أن فقره سبيل إلى قلة التبعة، وخفة
السير، وضحالة الخطايا، وارتياح الروح.

ويخطبون في المنكوبين فإذا تيجان المدائح على رؤوسهم، وألوية الفضل
تخفق فوق هاماتهم، فكل منكوب يرى أنه مجتبي بنكبته، مصطفى بمصيبته،
والخطباء اللامعون يحيلون بجلال العبارة وقديسية الكلمة صدمة الهزيمة إلى
انتصار، وهزة الفاجعة إلى استعلاء، وهل الأحداث والوقائع والمثالات إلا نتائج
للکلمات الملتهبة والخطب المجنحة الهادرة.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٥١ - ٥٢]

مقترح... للخطباء

إن الحشود تحتاج إلى خطباء أقوياء مؤهلين، ويؤدون واجب النصح،
ووظيفة الإقناع، لهم من سرعة البديهة ما ينقذهم من ورطات المفاجأة، ولهم

من رصيد التجارب ما يسعفهم في الأحداث، ولهم من روعة الهمم ما يدعوهم إلى معالي الأمور.

والأمة اليوم تحتاج إلى دور ومعاهد لتعليم الخطباء وتخريج الفصحاء، لتزرعهم في العالم، وتوزعهم في العمورة، يلهجون بذكر الله، والدعوة إليه وتحبيب الناس في شرعه، وهذا مطلب سام وهدف نبيل.

ويا ليت أن هناك دورات للخطباء، واجتماعات سنوية لهم ليدارسوا أوضاعهم، ويتلافوا أخطاءهم، ويحسنوا من أحوالهم أ. هـ.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٦٥ - ٦٦]

وأنا أضم صوتي لصوتك يا شيخ..؛ ولكن هل من تحقيق لذلك على أرض الواقع!! هذا ما أرجوه...

توقيعات ابن تيمية

تصلح أن تكتب في براويز، وأن تعلق من جودتها ومن سطوعها، مثل قوله: إن المعاصي تمنع القلب من الجولان في فضاء التوحيد، ومثل قوله: ليس في العالم أحد يدور معه الحق حيثما دار إلا محمد ﷺ، فكلامه حجة على غيره وليس كلام غيره حجة عليه، مثل قوله: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما قد يضر في الآخرة، ومثل قوله: علم الفلسفة كلحم جمل غث على رأس جبل وعمر لا سهل فيرتقى وسمين فينتقل، ومثل قوله: عن علم الفلسفة - أيضاً - : إنه لحم خنزير في طاسة من ذهب، يعني أنه خبيث في عبارات براقه، ومثل قوله: من اعتقد أنه سوف يهتدي بهدي غير هدى الله الذي أرسل به محمداً ﷺ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل

الله منه صرفاً ولا عدلاً يوم القيامة، ومثل قوله: كل أرض لا تشرق عليها شمس الرسالة فهي أرض ملعونة، وكل قلب لا يهتدي بهدي هذا الدين فهو قلب مغضوب عليه.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ص ٥٤ - ٥٥]

ثم إن غشاء الألسن، يحمل كثيراً من الناس إلى رحلة الضياع.. ضياع الحسنات، والصالحات، والقربات؛
وضياع الجاه، والصيت..
وضياع الآداب..
ورُبَّ كلمة كانت مفتاحاً للخير والصلاح على صاحبها، والعكس كذلك..

عشرة اللسان

«الزلة ذلة».. أ. هـ.

فالكلمةُ لك حتى إذا خرجت من بين فكيك صارت عليك.. وتأمل قضايا الطلاق مثلاً..

فتجد من يتصل على العلماء، ويقول: يا شيخ أنا طلقْتُ وأنا غضبان، وقلتُ وقلت، وفعلت، وفعلت..
فيا عجباً من رجل تأسرهُ كلمة، بل توردهُ إلى موارد الذلة والصغار، ولذلك قيل.. : الزُّلة ذلة..

وفي الحديث: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»..

وتأمل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ..

وتأمل: «لسانك لا تذكر به عورة امرء

فكلك عـوراتُ وللسنُ أسنُ».

فكيف لو كان خطيباً يقف يوم الجمعة على المنبر بلا إعداد ولا استعداد،
ولا تحضير ودون احترام العقول السامعين.. يالزلته من زلة...

[قصائد قتلت أصحابها: ص ٨]

«عائض» واعظاً

سياط الموعظة حارة، ولكنها كحرارة الخبز، لا تزيدهُ إلا
لذة، وبساطُ وَعْظِهِ واسعٌ..

إن وعظُ بَزِّ المِجَامِعِ، وامتَلأتِ الجوامعُ، وسُكِبَتِ المِدامِعُ،
وعبارته كأنها رصاص، وأبياته على البلداء أحكام بالقصاص؛
أزديُّ الفؤاد.. شامخُ العماد..

والأزْدُ من أرقِّ الناس أفئدة... وأثبتهم عند اللقاء..
فعدوية لفظه من لحظه، ورقة طبعه من قلبه، وحُسنُ
أسلوبه سَلَسَالٌ عَذْبٌ مورود.

وجهُ وعظه يوسفِي، ولفظه جوزِي، وأصله تيمِيّ، ومذهبهُ
سلفي.. قلله دره.. وإلى نماذج من إبداعاته..



الآن وقد عصيت

أسرفت في الذنوب واعتديت، كذبت الرسول وافتريت، ثم أتيت، الآن وقد عصيت، تجبرت في الأرض وتعاليت، وتكبرت على العباد وتماديت، ثم جئت تقول يا ليت يا ليت، الآن وقد عصيت. جاءك الرسول وما اهتديت، ونهاك عن الطغيان وما انتهيت، ودعاك فأبيت. الآن وقد عصيت. أريناك الآيات فكأنك ما رأيت، وأسمعناك الخطاب فكأنما ما دريت. الآن وقد عصيت.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ١٣٦]

نتائج البحث

بحثت عن العلماء فإذا قليلهم عامل مخلص، وطوائف منهم وقعوا في الجدل والحسد والمباهاة وحب الدنيا، عن الشباب فإذا غالبهم وراء الرياضة والفن والمغريات، بحثت عن التجار فإذا التعامل المحرم والربا والغش والتحايل وإهمال الدين، أما العامة فغالبهم جهلة قعدت بهمهمهم عن طلب العلم والسؤال عن دينهم، وغالبهم وراء الدنيا والقبل والقال والفنون الشعبية، أما النساء فجلهن في غفلة من سوء عشرة، وتعرض للفتنة، وتضييع للحق، فغفوك يارب.

[هكذا حدثنا الزمان: ص ١١٣ - ١١٤]

إنها الفرصة

الذي لا يقتصر الفرص في الإحسان إلى الناس يفوته الخير، ويتغير عليه الحال، فالذي لا ينفع الناس بجاهه يندم حالة خموله، والذي لا يسعف الناس بماله يأسف حالة فقره، والذي لا يخدم الناس بمنصبه يحزن يوم عزله.

فالبدار البدار في فعل الخيرات والمسابقة بالصالحات، ونفع عباد الله قبل دورة الزمن وتغير الحال، وتبدل الوقت. أ. هـ.

وليكن صاحب في الطريق؛ إخلاص لله جل وعز، ومتابعة لسنة المعصوم عليه السلام؛
والهمُّ الأوحده هو رضى الله.. «رضاك رضاك يا رحمن عني»..

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٥٩ - ٦٠]

متى

كثير من المثقفين متشاغلون بعلومهم عن الآخرة، فهذا غارق في الأدب إلى أذنيه، وذاك في فن النقد إلى مشاش رأسه، وثالث في الجغرافيا إلى آخر قطرة من دمه، فقلت: متى يفرغ هؤلاء لإصلاح القلوب ومحو الذنوب، وستر العيوب، ومعاملة علام الغيوب؟ أ. هـ..

إن معرفة الهدف من الحياة، وتحديدُه، ووضع الوسائل المشروعة لتحقيقه تجعل من الإنسان شيئاً آخر..؛ حتى ولو كان من زمرة المثقفين، فلا بُدَّ أن تكون له أهداف فرعية مثمرة جميلة، وهدف غائي نهائي عظيم، هو رضى الله والجَنَّة، ليعيش سعيداً في نفسه مسعداً لغيره..؛ كما بين ذلك الشيخ..

[هكذا حدثنا الزمان: ص ٥٨]

البيان الباهر

﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ فصار هذا المخلوق بالمنطق آية باهرة على عظمة خالقه، وصار بالبيان مخلوقاً كريماً يقول الكلمة فتخلب الأبواب، وينطق اللفظة فتدهش العقول، يصوغ من الحروف سحراً، ويجري من الجمل نهراً، يهدئ الجموع الثائرة بخطاب، ويحرك القلوب الخاملة بموعظة، وإن العبارة البليغة الباهرة هي أجمل من اللوحة الهائمة في الحسن، وإن الجملة الموحية الآسرة الأخاذة هي أبرع من ريشة الرسام العبقرى، وإن أهل العقول الراشدة السوية يجدون في مطالعة البيان من المتعة واللذة ما لا يجدونه في مشاهدة الخمائل المائسة، والجداول الرقراقة.

واعلم أن قوت القلوب موائد من المعاني الجميلة الخلاصة، وإن زاد النفوس لهو مدد من البيئات، وإن معين الأفئدة الرقراق لهو عين من الإبداع في القول يشرب بها النبلاء يفجرونها تفجيراً.

إن من أعظم أوصاف رسالته ﷺ أنها ذات بيان باهر، وبلاغة فائقة، وتأثير عجيب، ودونك هذا القرآن الكتاب الخالد، والمعجزة الظاهرة، التي شدهت العقول، وهزت الأنفس، حتى أنصت لها البصائر بإمعان، وأخبت لها الأرواح في خشوع، فاهتزت لهذا البيان، وربت بهذه البلاغة، وأنبتت من كل زوج بهيج من الإيمان والعطاء والتضحية.

كان رسولنا ﷺ أفصح الناس كل الناس، وأبلغ البشر جميع البشر، فجاء خطابه غيثاً هنيئاً مريئاً، يهجم على القلوب القاحلة فإذا هي حدائق ذات بهجة ببركة هذا الكلام، فصارت جملة ﷺ حديث السمار، وزاد الركب، أشهر

من الأمثال، وأنس من العافية، وأجمل من طلعة الفجر الباهية؛ ولأن المتفوقين من الناس والبارعين من العقلاء يطربون لأسرار الإعجاز في البيان، ولطائف الإلهام في القول، ونكات الفصاحة في الحديث، ولقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يهز الأنفس بالقول المؤثر فقال: ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣]، فبالقول البليغ تقوم الحجة، وتتضح المحجة، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ص ٢٩ - ٣٠]

التائب

يا أهلاً بمن فرح الله بتوبته، يا مرحباً بمن استبشرت الملائكة بعودته، يا سهلاً بمن تفتحت السماء لدعائه، يا حناناً لمن ذابت المهج لبكائه، يا قرّة عين لمن أنصت عالم الغيب لندائه، سبحان من ابتلاك بالذنوب ليكسر كسرة فيها حسرة، ثم جبرك بالتوبة لتذوق لذة الأوبة ويغسل عنك أدران الحوبة، ركبت إلى الخطايا المطايا فأمهلك وما أهلكك براً وكرماً، ثم جذبك إليه بحبل التوفيق وأركبك سفينة النجاة في البحر العميق، تبارك من ألبسك تاج التوبة، وزينك بوشاح المحبة، وجملك برداء القبول، دمعك على ما مضى يُسال في ديوان الرضى، وتأسفك على ما فات منشور الحسنات وسلّم الدرجات، كلما قلت من ذنبك آه، قيل لك: طبت يا (أواه) فقد قبلك الله، كلما صحت من خطاياك ونحت، نوديت نجوت وأفلتت، كلما ذرفت منك دمعة أوقدت لك في عليين شمعة، كلما ضج فؤادك شاكياً باكياً قيل لك: دمت طاهراً زاكياً، أدّمت الخطيئة - قبل - أبيض آدم فنودي: يا آدم لو لم تكن التوبة أحب شيء إلينا ما ابتلينا بالذنوب أعزّ الناس علينا.

[ضحيا الحب: ص ٤٨]

الزهد الحق عند ابن تيمية

الزهد: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، وحقق هو هذا القول في حياته؛ فقد أعرض إعراضاً كلياً عن الدنيا واطرحها وزهد فيها، وعاش للآخرة، فلم يتولَّ ولاية، ولم يتقلد منصباً، ولم يجمع مالاً، ولم يأخذ عطية، ولم يضع درهماً على درهم أو ديناراً على دينار، ولم يبن بيتاً، ولم يتخذ سكناً، ولم يأخذ مزرعة، ولم يذهب في تجارة، ولم يعمر عمارة، ولم يتكثر من الملابس، ولم يتأكل بالعلم، ولم يذهب في حاجته الخاصة الدنيوية، بل كان جُلُّ همه العلم النافع والعمل الصالح، فما عُرِف في وقته أزهد منه. أ. هـ.

فأين هذا من حال كثيرٍ منّا اليوم!!

الله المستعان... الله المستعان...

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ٢٨]

ابن تيمية داعية

كما تتجلى همته في الدعوة؛ فقد اشتغل بالدعوة الفردية، والدعوة الجماعية، ودعوة السلطان وحاشيته، ودعوة العامة، ودعوة الطوائف جميعاً، ودعوة غير المسلمين، فدعا بالكتابة والخطابة والدرس والمراسلة، ودعا وهو في الحبس، ودعا في المعركة، ودعا بالآيات البينات، ودعا بالحُجج القواطع، ودعا بالبراهين الساطعة، والأدلة اللامعة، ودعا بالمناظرة وبالمحاورة، ودعا مشافهةً، ودعا كتابةً؛ فكانت حياته - رحمه الله - دعوة من أولها إلى آخرها.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ٢٤]

أبنائي

أيها الأبناء، جددوا التوبة، وأصلحوا الأوبة، وارقعوا بيد الصلاح ما تمزق من ثوب الأعمار، واغسلوا بدمع الندم ما تركته الذنوب من غبار، واتركوا مُصاحبة الفجّار، ومُصادقة الأشرار، والتشبه بالكفار، أقبلوا على الحياة السعيدة، واعكفوا على الكتّاب المفيدة، وتخلّقوا بالأخلاق الحميدة، واحملوا الآداب الرشيدة، حافظوا على تكبيرة الإحرام، واجتنبوا الحرام، وتوبوا من العشق والغرام، وارتفعوا إلى منازل الكرام، تذكروا الموت وسكرته، والقبر وظلمته، والحساب ودقّته، والصراط ومزَلّته، تفكّروا في البعث والنشور، يوم يبعثر ما في القبور، ويحصّل ما في الصدور، ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، ويعضُّ على كفه المبتور، وتُقصم الظهور.

[مقامات القرني: ٤٢٤]

سؤال

اسأل نفسك في النعم التي بين يديك، هل تريد كنوز الدنيا في عينيك؟ أو أموال قارون في يديك؟ أو قصور الزهراء في رجليك؟ أو حدائق دمشق في أذنيك؟ وهل تشتري مُلك كسرى بأنفك ولسانك وفيك، مع نعمة الإسلام ومعرفتكَ للحلال والحرام، وطاعتك للملك العلام، ثم أعطاك مالاً ممدوداً، وبنين شهوداً، ومهد لك تمهيداً، وقد كنت وحيداً فريداً. واذكر نعمة الغذاء والماء والهواء، والدواء والكساء، والضياء والهناء مع صرف البلاء، ودفع الشقاء.

[مقامات القرني: ٤٠٨]

المخلفين

واعلم أن الهمة تَوَقَّد القلب، واستسهالُ الصعب، وركوبُ الخطب، فالعذاب بالهمة عَذْب. ومن عنده همة عارمة، وعزيمة صارمة، اقتحم بها أسوار المعالي، وصار تاريخه قصة الأيام والليالي.

فقل للمتخلفين اقعِدوا مع الخالفين؛ لأن المنازل العالية، والأمانى الغالية، تحتاج إلى همَمٍ مؤارة، وفتكات جبَّارة، لينال المجد بجدارة. وقل للكسول النائم، والثقل الهائم: امسح النوم من عينيك، واطرد الكرى من جفنيك، فلن تتال من ماء العزة قطرة، ولن تر من نور العلا خطرة، حتى تشب مع مَنْ وثب، وتفعل ما يجب، وتأتي بالسبب.

[مقامات القرني: ٣٩٩]

أسرار الصوم

القلب يصوم في رمضان، عن اعتقاد العصيان، وإضمار العدوان، وإسرار الطغيان. والعين تصوم عن النظر الحرام، فتغضُّ خوفاً من الملك العلام، فلا يقع بصرها على الآثام. والأذن تصوم عن الخنا، واستماع الغنا، فتتصت للذكر الحكيم، والكلام الكريم، واللسان يصوم عن الفحشاء، والكلمة الشنعاء، والجُمْلُ الفظيعة، والمفردات الخليعة، امتثالاً للشريعة. واليد تصوم عن أذية العباد، ومُزاولة الفساد، والظلم والعناد، والإفساد في البلاد. والرجل تصوم عن المشي إلى المحرَّم، فلا تسير إلى إثم ولا تتقدَّم.

أما آن للعصاة أن ينغمسوا في نهر الصيام، ليظهروا تلك الأجسام، من الآثام. ويفسلوا ما علق بالقلوب من الحرام. أما آن للمفطرين أن يدخلوا من باب الصائمين، على رب العالمين، ليجدوا الرضوان في مقام أمين.

إن رمضان فرصة العمر السانحة، وموسم البضاعة الراجعة، والكفة الراجعة، يوم تعظم الحسنات، وتكفر السيئات، وتمحى الخطيئات. أما آن لثياب العصيان أن تخلع في رمضان، ليلبس الله العبد ثياب الرضوان. وليجود عليه بتوبة تمحو ما كان من الذنب والبهتان.

[مقامات القرني: ٣٤١ - ٣٤٢]

المرض علاج

المرض يذهب الكبر والبطر، والعجب والأشر؛ لأن الرزايا إلى الجنة مطايا، والبلايا من الرحمن عطايا، وإلى رضوانه مطايا، ابتلاك بالأسقام، ليغسل عنك الآثام. فافرح لأنه رشحك للعبودية، لأن البلاء طريقة محمدية، يبتلى الناس الأمتل فالأمتل، والأفضل فالأفضل، والأكمل فالأكمل، إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، وطهرهم وجلاهم.

إِنْ كَانَ سَرَكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا
فَمَا لَجُرْحِ إِذَا ارْضَاكُمْ أَلَمُ

[مقامات القرني: ٣٣٨]

هنيئاً لأهل الأمراض

هنيئاً لك أنت على سرير التطهير، وعلى كرسي التكفير، ترعاك عناية اللطيف الخبير.

الرحمة عليك تهبط، والخطايا عنك تسقط، أدخلك الكير، لتخرج ذهباً، إذا سَلَبَ ما أعطى، فطالما وهب وأعطى، واعلم أنه يدخِر لك أجراً عجيباً، وثواباً طيباً.

ما دمت منكسر القلب، ملقى على جنب، فأنت قريب من الرب، لا يغربك المنافق فهو غير على شعير، وبغير على شفا بير، تأتي ضربته قاصدة، ونفسه جامدة، وروحه جاحدة، فهو كشجرة الأرز، منتصبه متصلبة، وإذا هي متقلبة. أما أنت يا مؤمن فأنت كالخامة مع ريح الشمال، مرة من يمين ومرة من شمال، لأنك شجرة جمال وجلال.

[مقامات القرني: ٣٣٦ - ٣٣٧]

طهوراً إن شاء الله

أيها المريض، على السرير العريض، طهور ما أصابك، وكفارة ما نابك، والله قد أجابك. مع كل أنة، نسيم من الجنة، ومع كل ونة، بشرى من السنة. بشر المريض بعافية، أو رحمة وافية، أو كفارة كافية، أو نعمة من الله شافية. بشر من أصابه الوصب والنصب، بقصور في الجنة من قصب، إذا صبر واحتسب.

[مقامات القرني: ٣٣٥ - ٣٣٦]

البنك

فإذا رأيت الناس كَنَزُوا أموالهم في البنوك، وأحرزوا عقارهم بالصكوك، وأحاطوا حدائقهم بالشبوك. فاكنز حسناتك في بنك الرحمن، واحرز عملك من الشيطان، أحط نيَّتكَ من البغي والعدوان. فمن صفَّى من الحرام ديناره، وعمر بالتقوى داره، وأكرم جاره. فقد أحسن معاملة مولاه، وشكر ربَّه على ما أولاه.

[مقامات القرني: ٣١٠]

اتفاق ووفاق

اتفاق ووفاق ورفاق، وإغراق وإرهاق ونفاق، وإخفاق وشقاق، وسوء أخلاق وطمس آفاق، وإنفاق وإزهاق.

فاتفاق على هدم الديانة، ونسف الأمانة، ووفاق على تأجيج الشهوات، واستثارة النزوات، ورفاق على محاربة العفاف، ونَبَذَ الحشمة في استخفاف، وإغراق في المعاصي من الأخمص إلى النواصي، وإرهاق للنفوس بما تبَّه من خبر مَنحوس، وفكر معكوس، ورأي منكوس، ونفاق في المَعْتَقَد، وخروج على ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وإخفاق في التعليم الصحيح، والتثقيف الصريح، والأدب المليح، بما تصبَّه من رجس قبيح، وشقاق للأمة بإهمالها الأمور المهمة، وسوء أخلاق بما تعرضه من الفحش في أطباق، وما تصدره من رذيلة في الأسواق، وطمس آفاق لسجنها العقل في زنانة المخلفات، وتقبيده بحبال السيئات، وإنفاق للخرينة في الأمور المهينة، والكبائر اللعينة، وإزهاق لأرواح الأطفال بما تطرحه من تبدل في الأقوال، وتفسح في الأحوال، وفُحش في الأعمال.

[مقامات القرني: ٢٨٨ - ٢٨٩]

تاج الشرف

أشرف تاج تاج الديانة، وثوب الصيانة، والصدق والأمانة، والوقار والرزانة. وثوب الرياء ثوب مخرق، ورداء الكبر رداء ممزق. والعمل بالسنة، أقرب طريق إلى الجنة، ومرافقة الأشرار ومُصاحبة الفجار، هي الخسار والبوار، وهم الدعاة إلى النار، ومن الآن كلامه، ووصل أرحامه، وبذل طعامه، ونشر سلامه، أكرم الله في الجنة مقامه. وويل لمن كان خصمه لسانه، وأشهد على نفسه إخوانه، واستشار في أمره شيطانه، وأرخص للشهوات إيمانه. وخلوة بكتاب، ودمعة في محراب، وتواضع للأصحاب، خير من القصور والقباب. وما أقبح من ناداه ربه إلى المسجد، فتبلى وتردد. ومن عود لسانه الذكّر، وقلبه الشكر، وعقله الفكر، وبدنه الصبر، نال أعظم الأجر، وحط عنه الوزر.

[مقامات القرني: ٢٨١]

أسرار التوبة

للتوبة أسرار، ولأصحابها أخبار، فالتائب يزول عنه تصيد المعائب، وطلب المثالب؛ لأنه ذاق مرارة ما تقدّم، فهو دائماً يتندّم، وهو يفتح باب المعاذير، لمن وقع في المحاذير، ولا يفعل فعل المُعجَب المُنان، الذي قال: والله لا يغفر الله لفلان، بل يستغفر لمن أساء من العباد، ويطلب الهداية لأهل الفساد، والتائب يُطالع حكمة الرب، في تقدير الذنب، وأنه لا حول للعبد ولا قوة، في منع نفسه من الوقوع في تلك الهوة، فالله غالب على أمره، بعزته وقهره، والتائب ذهب عن نفسه صولة الطاعات، والدعاوى الطويلات، والتبجح على أهل

المعاصي، وأصبح ذليلاً لمن أخذ بالنواصي، فإن بعض الناس إذا لم يقع في زلة، ولم يذُق طعم الذلّة، جمحت به نفسه الأمّارة، حتى جاوز أطواره، فكلما ذُكِرَ له عاصٍ تأفّف، وكلما سمع بمذنب تأسّف، وكأنه عبد معصوم، في حياته غير ملّوم، يحاسب الناس على زلاتهم، ويأخذ بعثراتهم، فإذا أراد الله تقويمه، ليسلك الطريق المستقيمة، ابتلاه بذنب لينكسر لربّه، وأراه ضعف قوّته فيعترف بذنبه، فيصبح يدعو للمُذنبين، ويحبّ التائبين، ويبغض المتكبرّين.

[مقامات القرنين: ٢٤٤]

يا كثير الأخطاء

من الذي ما أساء قط؟ ومن له الحسنَى فقط؟ ومن هو الذي ما سقط؟
وأين هو الذي ما غلط؟ يا كثير الأخطاء، أنسيت: «كل ابن آدم خطاء»، كم يقتلك القنوط كم؟ وأنت تسمع: «والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم».

اِطْرُقِ الْبَابَ تَجِدْنَا عِنْدَهُ

بِسَخَاءٍ وَبِإِذْنٍ وَكَرَمٍ

لَا تَقُلْ قَدْ أَغْلَقَ الْبَابُ وَلَا

تَحْمِلِ الْيَأْسَ فَتُلْقَى فِي النَّدَمِ

إذا أذنبت فُتِبَ وتندّم، فقد سبقك بالذنب أبوك آدم، ومن يشابهه أباه فما ظلم، وتلك شئنة نعرفها من أخزم، فلا تقلد أباك في الذنب وتترك المتاب، فإن أباك لما أذنب أناب، بنصّ الكتاب.

أصبحت وجوه التائبين مُسفرة، لمّا سمعوا نداء: «لو أتيتني بقراب الأرض
خطايا لأتيتك بقرابها مغفرة»، اطرح نفسك على عتبة الباب، ومدّ يدك وقل:
يا وهّاب. أرغم أنفك بالطين، وناد: رحمتك أرجو يا ربّ العالمين.

[مقامات القرني: ٢٤١ - ٢٤٢]

صرعى الشهوات

ما للقوم كأنهم في نوم، صرعتهم الشهوات، وزلزلتهم الشُّبهات، أحبوا
التراب والخراب، والثياب والشراب، وزهدوا في الكتاب والثواب، ونسوا
الحساب والعقاب، أنساهم القرش النعش، في التهام وهرش، ما تهزّهم
الرقائق، ولا تردعهم الحقائق، كلامهم في الأسعار والعمار والعقار، وحديثهم
عن الدرهم والدينار، ما يذكرون الجنة ولا النار.

الجلوس معهم يُميت القلب، ويضاعف الذنب، لكن الأعمى لا يرى الصباح،
والميت لا يحسّ بالجراح. والصخر لا يسمع الكلام، وما لجرح بميت إيّلام.

أَرَى الدُّنْيَا مَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ
عَذَاباً كُلُّ مَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ

تُهَيِّنُ الْمُكْرَمِينَ لَهَا بِصِغَرٍ
وَتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ

إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُهُ
وَحُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

[مقامات القرني: ٢٢٢ - ٢٢٣]

أُفٍّ وَتُفٍّ

أُفٍّ عَلَيْكَ وَتُفٍّ، وَمِنَ التَّرَابِ اسْتَفٍّ. تَطْلُبُ السُّلْطَانَ، وَتَتَسَّى الرَّحْمَنَ،
تَسْأَلُ الْبَخِيلَ، وَتَتَرَكُ الْجَلِيلَ، تَبًّا لَكَ، أَفِي قَلْبِكَ شَكٌّ، تَأْتِي مِنْ أَغْلَقِ بَابِهِ،
وَأَسْدَلِ حِجَابِهِ، وَحَرَمِ أَصْحَابِهِ. وَتَتَرَكُ الْمَعْبُودَ، وَالَّذِي مَلَأَ الْعَالَمَ بِالْجُودِ،
وَأَغْدَقَ عَلَى الْخَلْقِ الْعَطَاءَ الْمَمْدُودَ.

[مقامات القرني: ٢١٩]

لَا تَسْتَهِنَ بِهِ

لَا تَسْتَهِنَ بِهِ فَإِنَّهُ قَوِي، وَلَا تَمُنَّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ غَنِي، أَهْلَكَ ثَمُودٌ فِي نَاقَةٍ،
وَأَلْحَقَ عَادًا بِالسَّاقَةِ، عَصَتَهُ أُمَمٌ فَهَزَّ بِهِمُ الْأَرْضَ هَزًّا، ثُمَّ قَالَ: ﴿هَلْ تُحْسِنُ
مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾، حَطَّمَ سِدًّا سَبًّا بِفَأْرَةٍ، وَأَحْرَقَ إِرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ
بِشِرَارَةٍ، وَمَزَّقَ أَعْدَاءَهُ بِغَارَةٍ، أَعْتَقَ رَقَبَتَكَ مِنَ النَّارِ، وَأَنْقَذَ نَفْسَكَ مِنَ الْبَوَارِ.

[مقامات القرني: ٢١٠]

أَمَانٌ

العمر قصير، والشَّيْبُ نَذِيرٌ، وَالدَّارُ جَنَّةٌ أَوْ سَعِيرٌ. نَرَاكَ تَضْحَكُ كَأَنَّكَ
أَتَاكَ أَمَانٌ، مِنَ الْمَلِكِ الدِّيَّانِ، مَا لَكَ لَا تَحْزَنُ، هَلْ عَبَرْتَ الصَّرَاطَ حَتَّى تَأْمَنَ؟
النَّدَمُ عَلَى مَا فَرَّطْتَ أَحْسَنُ، يَا مَسْكِينُ: إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ، وَهُوَ النَّبِيُّ الْجَلِيلُ،
بَكَى ذَنْبَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ، وَقَالَ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾، فَكَيْفَ

بنانحن المذنبين؟ خلقك فسوّاك، وأطعمك وسقّاك، وآواك وكساك، وبكل
حسنٍ ابتلاك، ثم تعصيه وهو يراك.

نُسجت لنا الأكفان من أعمارنا
ونَظَلُّ نضحك ما لنا تفكيرُ

أو ما ذكرت القبرَ أولَ ليلةٍ
يلقّاك فيه منكرٌ ونكيرُ

أحسن ماءٍ دموعُ التائبين، أعظم حزنٍ حزنُ المُنيبين، وأهنا نَعاسٍ نَعاسُ
المتهجدين، أجمل لباسٍ لباسُ المحرمين، ما ألدَّ جوعَ الصائمين، ما أسعدَ تعبَ
القائمين، ما أكرمَ بذلَ المتصدقين. أين المباني والمغاني؟ أين الغواني والأغاني؟
أين الأفراح والتهاني؟ أين من شادَّ وسادَّ؟ أين ثمود وعاد؟ أين ساسان،
وقحطان، وعدنان، وفرعون وهامان؟ أين مُلكُ سليمان؟ أين أصحاب الأكاليل
والتيّجان؟ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ،
والطَّوْلِ وَالْإِنْعَامِ.

[مقامات القرنين: ٢٠٥ - ٢٠٦]

وعظ

ويحك خَفَ ربك، وراجع قلبك، واذكر ذنبك، موسى خرَّ من الخوف مغشياً
عليه مصعوقاً، ويوشع صار قلبه من الوجَل مشقوقاً، وبعضهم أصبح وجهه من
الدموع محروقاً، كيف تصبح وتُمسي، والرُّسلُ كلُّهم يقولون نفسي نفسي،
أعجبتك الدُّور والقصور يا مغرور، ونسيت القبور ويوم النشور، يوم يُحصَل ما
في الصدور.

والذي نفسي بيده ما تساوي الدنيا فتيلة، ولا تعادل في القبر فزع أول ليلة، يوم تُطرح فيه وليس لك حيلة، أنفق مَالَك، وراجع أعمالك، وزن أقوالك.

[مقامات القرني: ٢٠١]

صاحب المال

صاحب المال مغموم مهموم، خادم وليس بمخدوم، حارس على ماله، بخيل على عياله، وصاحب العلم سيّد مسرور، يغمره الحبور، ويملاً فؤاده النور، تعلم من السؤدد غايته، ومن الشرف نهايته، تُجبى إليه ثمرات كل شيء من لطائف المعارف، وتهوي إليه أفئدة الحكمة وهو واقف، يأتيه طلبّة العلم من كل فج عميق، كأنما يؤمّن البيت العتيق، في قلبه نصوص الشريعة، ينزل عليه ماء الفقه فتهتز وتربو، وتبت من كل زوج بهيج، فترى العالم يجول فكره في الملأ الأعلى والناس في أمر مريج، فقلب العالم له جَوْلان في فضاء التوحيد، وقلب الجاهل في غابات الجهل بليد، أشرقت في قلب العالم مشكاة فيها مصباح، وتتفس في نفسه نور الصباح، أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها، فاحضرت روضة العالم على أثرها.

[مقامات القرني: ١١٦ - ١١٧]

الكنز

القرآن مالٌ من لا مال له، وعشيرةٌ من لا عشيرة له، وذخرٌ من لا ذخر له، وكنزٌ من لا كنز له، هو السلوة في الغربة، والأنيس في الوحشة، والعزاء عن كل

أحد، والجلاء لكل ريب، والشفاء لكل مرض، والدواء لكل داء، سمير وأنيس، صاحب وجليس، تلاوته أجر، وحروفه حسنات، ومُطالعتُه بركات، وتدبره رحمت، والعمل به نِجاة، والتحاكم إليه فلاح، والرضا به سعادة، والاستغناء به ثروة، ومصاحبتُه غنِمة، شافع مشفع، وصاحب حجة مقبول، وناصر أمين، ورفيق موافق، ومُحدث مُمتع، هدى لا ضلالة بعده، ونور لا ظلمة فيه، وشفاء لا سقم عنده.

[مقامات القرنى: ٩٦]

وصية

افتح دفتك بعد الفجر، ونظم ساعات اليوم، ملازمةً للصف الأول، وهو رمز العهد والميثاق، وحفظ آية من القرآن أو آيتين أو ثلاث، وهو دليل الحب والرغبة، وتجديد التوبة والاستغفار، وهما بريد القبول والدخول، وطلب مسألة نافعة، وهي علامة الحظ السعيد، وصدقة لمسكين، وركعتان في السحر، وركعتان في الضحى زلفى إلى علاّم الغيوب، والزهد في الحطام الفانى، وطلب الباقي شاهد على علو الهمة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوتُوا الْأَبَابِ﴾.

[حدائق ذات بهجة: ٢٦٤]

سوط العزم

والله ما يوقظ النفس إلا سوط عزم، ولا ينبه القلب إلا صيحة النذير
العريان، ومصيبة الكثير أنهم رضوا بأن يكونوا مع الخوالف. جبنٌ في مواجهة
المسؤولية، خورٌ في تحمّل الواجبات، نكثٌ لعهد نصرة المبادئ، فتورٌ في
طلب الخير، كسلٌ في البحث عن الحق، استسلامٌ للمغريات، خلودٌ إلى
الأرض، اتباعٌ للهوى.

قل لهؤلاء اللاهين لو حفظ كلُّ منكم كل يوم آيةً وحديثاً لصرتم في
سنوات معدودات من حملة الميراث ووعاة الشريعة، لكنها أمانى النفس الأمارّة
بالسوء وخداع الطبع الثخين، سواءً أوعظت أم لم تكن من الواعظين.

[حدائق ذات بهجة: ٢٤٣ - ٢٤٤]

الحاسد

لو قدمت له حذاءه، وأحضرت له طعامه، وناولته شرابه، وألبسته ثوبه،
وهيأت له وضوءه، وفرشت له بساطه، وكنست له بيته، فإنك لا تزال عدوه
أبداً؛ لأن سبب العداوة لا زال فيك، وهو فضلك أو علمك أو أدبك أو مالك أو
منصبك، فكيف تطلب الصلح معه وأنت لم تتب من مواهبك؟! والحاسد ينظر
متى تتعثر، ويتحرى متى تسقط، ويتمنى متى تهوي.

أحسن أيامه يوم تمرض، أجمل لياليه يوم تفتقر، وأسعد ساعاته يوم
تتكب، وأحب وقت لديه يوم يراك مهموماً مغموماً حزيناً منكسراً، وأتعس
لحظة عنده إذا اغتيت، وأفزع خبر عنده إذا علوت، وأشد كارثة لديه إذا

ارتقيت، ضحكك بكاء له، وعيدك مأتم له، ونجاحك فشل لديه، ينسى كل شيء عنك إلا الهفوات، ويغفل عن كل أمر فيك إلا الزلات، خطوك الصغير عنده أكبر من جبل أحد، وذنبك الحقير لديه أثقل من ثهلان، لو كنت أفصح من سحبان، فأنت عنده أعى من باقل، ولو كنت أسخى من حاتم فأنت لديه أبخل من مادر، ولو كنت أعقل من الشافعي فهو يراك أحمق من هبنقة، الذي يمدحك عنده كذاب، والذي يثني عليك لديه منافق، والذي يذب عنك في مجلسه ثقيل حقير، يصدق من يسبك، ويحب من يبغضك، ويقرب من يعاديك، ويساعد من يكرهك ويجافيك، الأبيض في عينك سواد عنده، والنهار في نظرك ليل في نظره، لا تجعله حكماً بينك وبين الآخرين فيحكم عليك قبل سماع الدعوى وحضور البينة، ولا تطلعه على سرك فأكبر همه أن يذاع ويشاع، ويحفظ عليك الزلة ليوم الحاجة، ويسجل عليك الغلطة ليوم الفاقة، لا حيلة فيه إلا العزلة عنه، والفرار منه، والاختفاء عن نظره، والبعد عن بيته، والانزواء عن مكانه.

[حقائق ذات بهجة: ١٩٩ - ٢٠٠]

لا تتعجل

جفّ القلم، بما أنت لاقٍ، فلا تذهب نفسك حشرات، لا تظن أنه كان بوسعك إيقاف الجدار أن ينهار، وحبس الماء أن ينسكب، ومنع الريح أن تهبّ، وحفظ الزجاج أن ينكسر، هذا ليس بصحيح على رغمي ورغمك، سوف يقع المقدور، وينفذ القضاء، ويحل المكتوب ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾.

استسلم للقدر قبل أن تطوَّق بجيش السخط والتذمُّر والعيول، اعترف بالقضاء قبل أن يدهمك سيل الندم، إذاً فليهدأ بالك إذا فعلت الأسباب، وبذلت الحيل، ثم وقع ما كنت تحذر، فهذا هو الذي كان ينبغي أن يقع، ولا تقل: «لو أنني فعلت كذا وكذا لكان كذا»، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل.

[حقائق ذات بهجة: ٦١ - ٦٢]

حسبك الله

حسبك الله فيمنحك العزَّ بلا عشيرة، والغنى بلا مال، والحفظ بلا حرس، فأنت المظفَّر؛ لأن الله حسبك، وأنت المنصور؛ لأن الله حسبك، وأنت الموفَّق؛ لأن الله حسبك، فلا تخف من عين حاسد، ولا من مكر ماهر، ولا من خبث كافر، ولا من حيلة فاجر؛ لأن الله حسبك.

إذا سمعت صولة الباطل، ودعاية الشرك، وجلبة الخصوم، ووعيد اليهود، وتربُّص المنافقين، وشماته الحاسدين، فاثبت؛ لأن حسبك الله.

إذا ولَّى الزمان، وجفا الإخوان، وأعرض القريب، وشمتم العدو، وضعفت النفس، وأبطأ الفرج، فاثبت؛ لأن حسبك الله.

إذا داهمتك المصائب، ونازلتك الخطوب، وحفَّت بك النكبات، وأحاطت بك الكوارث، فاثبت؛ لأن حسبك الله، لا تلتفت إلى أحد من الناس، ولا تدع أحداً من الشر، ولا تتجه لكائن من كان غير الله.. لأن حسبك الله.

إذا ألمَّ بك مرض، وأرهقك دين، وحلَّ بك فقر، أو عرضت لك حاجة، فلا تحزن؛ لأن حسبك الله.

إذا أبطأ النصر، وتأخر الفتح، واشتد الكرب، وثقل الحمل، وادلهم الخطب، فلا تحزن؛ لأن حسبك الله.

[محمد ﷺ كأنك تراه: ٥٩ - ٦٠ - ٦١]

الصمد

الله صمد تقصده الملوك إذا اضطربت الأمور، ووقع المحذور، وضافت بالحوادث الصدور، وتخضع له الجبابرة إذا زلزلت منهم الأركان، وتزاحم عليهم الحدثان، وعظم على قلوبهم الشأن؛ لأن نواصيهم بيده، ومقاليده أمرهم في قبضته، والكل متقلب بين نعمته ونقمته، ولأنه صمد سبحانه ارتفعت إليه أكف الداعين تطلبه الغيث إذا تأخر نزوله، وتسأله الرزق إذا أبطأ حلوله، وترجوه رفع الضر إذا خيم بظلاله، وتتملقه في كشف البلاء إذا ثقلت وطأته، وعظمت حدته، وتنشده الألسن نصره إذا حمى الوطيس، وتستعيذ من غضبه إذا خيف أخذه، وترجو رحمته إذا ظهرت بشائر جوده، وتستعينه على إدراك المطالب، وحصول الرغائب، واندفاع النقم، وتتابع النعم، وتأمل منه الهدى عند الاختلاف، والرشد عند الاضطراب، والخيرة عند الاشتباه، ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ولأنه صمد سبحانه تاقّت إلى فضله أرواح العارفين، وطمعت فيما عنده نفوس العابدين، وأحسن الظن به قلوب الصادقين «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»، يصمد له الحاكم على كرسي حكمه ليبقى له السلطان، ويستمر له الجاه وعلو الشأن، ويندفع عنه شر الإنس والجان، فيمنحه العز ويؤيده بالنصر ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾.

ويصمد له العالم عند ورد المسائل، وازدحام الأدلة، وتوارد الخواطر وكثرة الوقائع، ومرور الحيرة واختلاف البراهين، فيكشف له الحقائق، وينير له البصيرة، ويهديه الجادة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾.

[العظمة: ٢٧٦ - ٢٧٧]

سبات الغفلة

استيقظ يا عقل من سبات الغفلة، وخمر الهوى، وسكار الباطل، استيقظ على وقع مطارق القرآن التي أحدثت دويًا في عالم الثقلين، وفي دنيا الأحياء وفي سماء الخليقة.

استيقظ يا قلب بعد رقدة الغفلة، ونوم الجهل وهجعة الصبا، استيقظ على صوت القرآن الفريد حيث يشق الآفاق، ويخترق الأثير، ويكتسح الشبهات، استيقظ يا عالم من فترة الصبا، وجفوة العقوق، ومرحلة الضياع، استيقظ على هتاف القرآن، حيث يزلزل الوثنية في النفس، والخرافة في العقل، والخيانة في الضمير، والرجس في الجسد، والظلم في الناس.

[العظمة: ٢٥٥]

الله أكبر

الأذان كطلقات المدفع على قلاع الوثنية، وكالقذائف المتتابعة على ثكنات الجاهلية.

الأذان صيحة نصر، وصرخة الضمير الحي، وصوت الواجب المقدس،
ونشيد الأحرار، وملحمة الشهداء، وتحية المنهج الرياني، والشرع المحمدي،
والدين الإسلامي ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

[العظمة: ٢٥٥]

عام لا خصوص له

الموت لا شماتة فيه؛ لأنه عام لا خصوص له، مطلق لا يقيد، حر وليس
بعبء، أنزل آل كسرى في الحفر، وسحب سيف ذي يزن من غمدان، وبطش
بالمناذرة، وداس الغساسنة، هجاه الشعراء فجعلهم أثراً بعد عين، وحذر منه
الخطباء فجرهم من على المنابر، ووصفه الأطباء فقتلهم بعقاقيرهم: ﴿ حَتَّى
إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ
أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾.

[العظمة: ١٧٧]

موت

الموت هو الوقوف على ساكن، وإعلان الخاتمة، نذير النهاية، الموت مخلوق
غامض، شجاع يتسلق الجدران، ويصعد الحيطان، لا يحتذى منه بقلع، ولا
يمتع منه بحصون: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾
واقف في الطريق بالمرصاد: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ زائر

لا يستأذن، وضيع لا يعرف المجاملة، الناس عنده سواسية، الثري واسع الغنى كالفقير المتهالك، ليس له وقت في الزيارة معلوم، وليس له زمن في اللقاء مفهوم، مزاجه عجيب، ونبوّه غريب، يدلّف في السحر، ويقدم في الظهيرة.

يا نائم الليل ————— رورا بأوله

إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

الموت ينزل الراكب من على ظهر البعير، ويرجل الفارس من على صهوة الفرس. لا يرجئ الجائع حتى يشبع، ولا الظامئ حتى يروى، ولا النائم حتى يستيقظ، ولا المسافر حتى يقيم: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ قيس بن ساعدة عنده كباقل، وحاتم لديه كمادر، وعنترة في حكمه كأبي حية النميري، قدم على الخليل والنمرود، وزار موسى وفرعون، واختطف بلالاً وأمّية بن خلف.

[العظمة: ١٧٤ - ١٧٥]

ذكر الله

ذكر الله سبحانه وتعالى شفاء للصدر من مرض الشك، ودواء للقلب من داء القلق، وعلاج للضمير من الخواء، وحماية للنفس من الانحراف، فهو البلسم المجرب، والغذاء المبارك، والدواء النافع، والطعام الطيب.

ذكر الله أنيس الوحيد في الخلوة، وعزاء المصاب عن كل فقيده، وخلف المنكوب عن كل نفيس، فهو الاطمئنان ساعة الفزع، والسكون وقت الهلع، والثبات زمن الفتنة.

[العظمة: ١٤٩]

كل شيء بقدر

لا تثمر الشجرة حتى يحين وقتها، ولا تبزغ الشمس حتى يحل ميقاتها، ولا يطل القمر حتى يحصل زمن إطلاله، ولا تضع الحامل حملها؛ ولا تقطم ولدها إلا بأجل، ولا يندمل الجرح ولا يبرأ الموعوك ولا تعود الضالة إلا بعدما يمر بالكل العمر المقدّر والأجل المؤقت.

فاعلم أنه لا يعني بذل الأسباب حصول المطلوب في الوقت المقترح، والزمن المختار، بل في الساعة التي كتبها الله وحده، فإنه غالب على أمره، فعال لما يريد، كل شيء عنده بمقدار، وكل شيء بأجل مسمى، وقد جعل لكل شيء قدراً.

[العظمة: ١٤٣]

كم

كم من مترفٍ في عهد ربيع، وفي أمن وديع، طرّقه بالدمار في الأسحار، وزلّزله بالنقمة في بغة.

ملأ الدور حبوراً، والصدور سروراً، ثم ملأ أجفانها عبرات، وأذاقها ويلات. أعطى الحدائق زخرفها، والبساتين زينتها، ثم جعلها هشيماً تذروه الرياح. أخرج المرعى، ثم جعله غثاءً أحوى، هو الأسمى والأعلى والأقوى.

الله: القوة القاهرة، والقدرة النافذة، والحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

[العظمة: ٦٦ - ٦٧]

مدحُ الله

تَبَّأَ مَنْ مَدَحَ الْبَشَرَ وَغَفَلَ عَنْ مَدْحِ مَوْلَاهُ، وَسَحَقاً لِمَنْ أَتَى عَلَى النَّاسِ
وَتَرَكَ الثَّنَاءَ عَلَى خَالِقِهِ.

الاعتراف بألوهيته احترام للعقل، وموافقة للفطرة، واتساق مع الناموس،
واتباع للمنهج، وإكرام للمصير، وإنقاذ للروح، وإسعاد للمثوى، وتصديق للنقل،
واتباع للمعصوم.

لو كانت الأشجار أقلاماً، والبحار مداداً، والسموات ألواحاً، والخلائق
يُملون الثناء، ويكتبون المديح، لكانوا فيما يستحقه مقصرين؛ وفيما يجب له
منقطعين، وبالعجز عن القيام بشكره معترفين. ذلك بأن كل نعمة جَلَّتْ
أو دَقَّتْ، كبرت أو صغرت، ظهرت أو خفيت، فهي منه سبحانه لا إله إلا هو.

ترنيمات التسبيح بحمده تيجان على رؤوس المسبحين، وزجل التهليل
أوسمة خلود على جباه الموحدين.

أَتَى عَلَى نَفْسِهِ؛ فَإِذَا مَدَحَ الشُّعْرَاءَ فِي غَيْرِهِ زَيْفٌ.

وَمَدَحَ ذَاتَهُ؛ فَإِذَا مَقَامَاتُ الْإِطْرَاءِ فِي سِوَاهُ هِرَاءٌ.

أَيْنَ إِلَيَّذَاتُ التَّبَجِيلِ، حَتَّى تُنْظَمَ فِي عِلَالِهِ؟ أَيْنَ مَلَا حِمُّ التَّقْدِيسِ حَتَّى
تَسْطَرَّ فِي حَمْدِهِ؟ أَيْنَ الْخُطْبُ الْغُرَاءُ، وَالْقِصَائِدُ الْعِصْمَاءُ لَتَلْقَى فِي بَسَاطِ
وَحْدَانِيَّتِهِ؟.

أَفْ لِمَنْ كَتَبَ وَلَمْ يَجْعَلْ رِضَاهُ مَطْلَباً، وَتَبَّأَ لِمَنْ أَنْشَدَ وَلَمْ يَجْعَلْ شُكْرَهُ
مَقْصِداً.

يا حسرة على العيون إذا لم تدمع من خشيته، وعلى القلوب إذا لم توجل من عظمته.

[العظمة: ٦٤ - ٦٥]

من أسرار الأقدار

حارت الأفكار في عجائب قدرته، واضطربت الأفهام من جلال عظمته، وزهلت الأذهان من بديع حكمته، ابتلى أوليائه بأعدائه، وامتنحن محبيه بمحاربيه. أعطى قارون حتى ناءت العصبة بمفاتيح كنوزه، وأفقر موسى عليه السلام حتى أكل ورق الشجر، وصب المال على أمية بن خلف حتى عاش في الديباح والحرير، وجوع رسول الله ﷺ، حتى ربط الحجر على بطنه، هدى بلالاً رضي الله عنه وهو عبد حبشي، وأضل أبا لهب وهو سيد قرشي.

[العظمة: ٤٥]

من جنود الملك

ألهم سبحانه النحلة أكلها ومسكنها، وذهابها وإيابها، وعرف النملة جيش سليمان عليه السلام فحذرت وأندرت، وسلط البعوضة على النمرود، فنفذت إلى دماغه فمات، وأجرى كيفية بعث الأموات على حمار لمن شك في القدرة، وعلم الهدهد توحيده، فأنكر على بلقيس وقومها شركهم، وتحدي أعداءه بخلق ذباب أو إرجاع ما سلبه منهم ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الدُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.

[العظمة: ٤٤]

النملة

أجدبت الديار، وجفت الآبار، وبعد العهد بالأمطار، وذبلت الأزهار،
وبيست الأشجار، فرفعت نملة يديها ورجليها إلى باريها وخالقها وهاديها
ومطعمها ومسقيها، فدعت وألحت، فأنزل الله الغيث المغيث، والوبل المكيث.
وقال سليمان عليه السلام لقومه: «ارجعوا فقد سقيتم بدعاء غيركم»،
وفي الأثر: «يضحك ربك إلى عباده أذلين قنطين يعلم أن فرجهم قريب».

[العظمة: ٣٤]

الحمد لله

الحمد لله على الأيادي الوافية، والمنن الصافية، والحمد لله على العافية،
والولاية الكافية، الحمد لله على إفضاله، الحمد لله على نواله، الحمد لله
على إجزاله.

نحمدك ما همع سحب، ولع سراب، واجتمع أحباب، وقُرى كتاب.
الحمد لله ما طبق ظلام، وانحل نظام، وسُمع كلام، واستيقظ نَوَام.
الحمد لله ما استهل وليد، وعاد وعيد، وآب بعيد، ورجع طريد.
حمداً حمداً على الإكرام، شكراً شكراً على الإنعام.

[العظمة: ٢٩]

لا إله إلا الله

لا إله إلا الله عدد ما خطت الأقلام، لا إله إلا الله كلما سجع الحمام، وهطل الغمام، وقوضت من منى الخيام.

لا إله إلا الله كلما برق الصباح، وهبت الرياح، وكلما تعاقبت الأتراح والأفراح.

لا إله إلا الله كلما ازدحمت الأنفاس، وكلما حل السرور والإيناس، وانتقل الضر والباس، وزال القنوط واليأس.

لا إله إلا الله ترضيه، لا إله إلا الله بها نلاقيه، لا إله إلا الله تملؤ الكون وما فيه، لا إله إلا الله كلما دجى الليل، وكلما انكشف الهول والويل، وكلما انعقد السحاب وجر السيل.

لا إله إلا الله يفعل ما يريد، لا إله إلا الله يبدأ ويعيد، لا إله إلا الله ذوالعرش المجيد، والبطش الشديد، لا إله إلا الله ندخرها ليوم الوعيد.

[العظمة: ٢١]

سبحان الله

سبحان من انتشل ذا النون من الظلمات، سبحان من نجى نوحاً من الكربات، سبحان من أطفأ النار لإبراهيم، وجمد الماء للكليم، سبحان من أنشأ القرون وأعادها، وأحيا الأمم وأبادها، سبحان من ملأ القلوب من هيبتة، والأرواح من عظمتة، وعمر الأكوان بحكمته، وطوق الأعناق بنعمته، سبحان من تفرّد بالبقاء، وجل عن الشركاء، وأبدع كل شيء كما يشاء.

سبحان من أجرى الماء، وسير الهواء، وبث الضياء، وأقام الظلماء.
 سبحان من شفى الشكوك باليقين، وأحل النقمة بالظالمين، وأنزل العقاب
 بالفاسقين.

[العظمة: ١٩ - ٢٠]

أصابع الذنوب

أصابع الذنوب تشير إلى الغفّار.
 ألسنة الفقر تدعو الغنيّ.
 أكف الضعف ترفع للقوي.
 الميت يمدح الحي القيوم.
 الغريق يُنادي: يا ذا الجلال والإكرام.
 الكلمات والإشارات عاجزات.
 البيان والبلاغة والتعبير تعلن التقصير.
 لا يعلم ما يستحق إلاّ هو.
 لا يحيط بعلمه سواه.
 لا يقدر قدره إلاّ إياه.
 لا يحسن الثناء عليه غيره.
 إن قدّسته أو سبّحته أو مجدّته فهو الذي علمني. إن حمدته أو كبّرتَه
 أو وحدته فهو الذي ألهمني. إن عبدته أو شكرته أو ذكرته فهو الذي أكرمني.

صفات المدح في الكاملين ذرة من كماله، نعوت الفضل في الأبرار نفحة من أفضاله، أسنة المادحين وأقلام الواصفين حائرة في جلاله، من أنا حتى أمدحه، من أنا حتى أُمجِّده، من أنا حتى أُثني عليه، أنا الذي خُلِقَ من تراب أصف الملك الوهاب، أنا الذي صُوِّرَ من طين أذكر جلال رب العالمين.

[العظمة: ٥ - ٦]

مصيدة

والشيطان إنما يظفر بالإنسان غالباً عند السخط والشهوة، فهناك يصطاده، ولا سيماً إذا استحكَمَ سخطُه، فإنه يقول ما لا يُرضي الربَّ، ويفعل ما لا يُرضيه، وينوي ما لا يُرضيه، ولهذا قال النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم: «يَحْزَنُ الْقَلْبُ، وتدمع العينُ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربَّنا».

[لا تحزن: ٣٨٩]

قيمتك شيء آخر

قال علي رضي الله عنه: قيمة كل امرئ ما يُحسِن.

فقيمة العالم علَّمه قلَّ منه أو كثر، وقيمة الشاعر شعره أحسن فيه أو أساء. وكلُّ صاحب موهبةٍ أو حرفةٍ إنما قيمته عند البشر تلك الموهبة أو تلك الحرفة ليس إلا، فليحرص العبد على أن يرفع قيمته، ويُغلي ثمنه بعمله الصالح، وبعلِّمه وحكمته، وجوده وحفظه، ونبوغه واطِّلاعه، ومُثابرتة وبحثه، وسؤاله وحرصه على الفائدة، وتثقيف عقله وصقل ذهنه، وإشعال الطموح في رُوحه، والنُّبل في نفسه، لتكون قيمته غالية عالية.

[لا تحزن: ٣٥٩]

تحدي

سبحان من تحدّى بالذباب المشركين، وضرب العنكبوت مثلاً للضالين، وذكر خلقه للبعوض إزاء الكافرين، وحمل الهدد رسالة التوحيد فجاء بخبر يقين، وأهلك من أجل ناقته أعداء المعارضين. خلق الأبرار والفجار، والمسلمين والكفار، والليل والنهار، والجنة والنار، وأنزل كل شيء بمقدار. في القرآن برهانه، في الكائنات امتنانه، للمؤمنين إحسانه، في الجنة رضوانه، عمّ الكون سلطانه.

[مقامات القرني: ٥٩ - ٦٠]

قل هو الله أحد

أسنة الخلق أقلام الحق، فما لها لا تتطق بالصدق، وتوحده بذاك النطق. لا تمن عليه دمة في محراب، فقد مزق من أجله عمر بن الخطاب، ما لك إلى عبادتك الزهيدة تُشير، وقد نُشِر الأولياء في حبه بالمناشير. فاز بلال لأنه ردّد أحدٌ أحد، ودخل الجنة لأنه أحبّ (قل هو الله أحد)، ومدح سبحانه نفسه فقال: (الله الصمد)، وردّ على المشركين فقال: (لم يلد ولم يولد).

[مقامات القرني: ٥٩]

عزاء

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

هذه الآية عزاء للجبناء الذين يموتون مرات كثيرة قبل الموت، فليعلموا أن هناك أجلاً مسمى، لا تقديم ولا تأخير، لا يعجل هذا الموت أحد، ولا يؤجله بشر، ولو اجتمع أهل الخافقين، وهذا في حد ذاته يجلب للعبد الطمأنينة والسكينة والثبات.

[لا تحزن: ٢٠٦]

أقصى الشقاء

ما أشقى النفوس التي لا تعرف الإسلام، ولم تهتد إليه، إن الإسلام يحتاج إلى دعاية من أصحابه وحملته، وإعلان عالمي هائل، لأنه نبي عظيم، والدعاية له يجب أن تكون راقية مهذبة جذابة، لأن سعادة البشرية لا تكون إلا في هذا الدين الحق الخالد، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

إن البشرية حائرة، بحاجة ماسة إلى هذا الدين العظيم، ليرد إليها أمنها وسكينتها وطمأنينتها، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[لا تحزن: ٢٠٢]

أيتها العير إنكم لسارقون

الخلصة الثقافية محرمة، والأمانة العلمية واجبة، ومن سرق ربع دينار فصاعداً استحق قطع اليد، ومن سرق ربع نص فأكثر فقد استوجب قطع اللقب العلمي، وفي الناس من يستحل نهب جهود الآخرين استحلالة ماء الفرات.

[هكذا حدثنا الزمان: ٢٥٦ - ٢٥٧]

أهل الحديث

نجوم سماء العلم، كواكب قبة الفهم، وتيجان المدارس، بدور المجالس، هم الذين قطعوا من أجل الحديث القفار، وركبوا البحار، لبسوا الليل واستفاؤوا بالنهار، كم من حكمة كتبوها، كم من دمة سكبوها، كم من عرق في الطلب أذروه، كم من مداد في الدفاتر أجروه، وكم كدوا الأذهان في الدراية، أما أتعبوا القلوب في الرعاية، أما حثوا النفوس على العناية.

نام الناس على الريش وناموا على الثرى، وغط الأوباش في النوم ركب السرى، واشترى المفلسون الرقاد وهم عافوا الكرى، ثيابهم من الأسفار ممزقة، جلودهم من حرارة الهواجر محرقة، عمائمهم من خصاصة الفقر ملفقة، خفافهم من المشي مخرقة، أكلوا أوراق الشجر من الجوع، وأدمنوا السهر، وطلقوا الهجوع، وبللوا القراطيس بالمداد والدموع، ركبوا من البحر الثبج، والتحفوا من الليل لجج، وقنعوا من كل نديم بالسرج، أه ما أحسن حدثنا في المسامع، وما أجمل أخبرنا في المجامع:

سقوني وقالوا لا تغن ولو سقوا

جبال سليمة ما سقيت لغنت

استغل الناس بجمع الدرهم والدينار، وبناء الدور وحفر الأنهار، وعمارة البساتين وغرس الأشجار، واشتغلوا هم بجمع الآثار، ونقل الأخبار، ومصاحبة أنفاس المختار.

بهر الناس مع أصوات العידان، ونغمة القيان وأشعار فلان وعلان، وسهروا هم مع سفيان وحماد، ومجاهد وابن الهاد، ساعة مع المتن وساعة مع الإسناد.

آية أحاديث نعمان وساكنه

إن الحديث عن الأحباب أسمار

إيوان أحدهم ظهر البعير، ومجلس أنسهم وجه الهجير، وطعامهم خبز الشعير، هجروا الخمير والحرير والسرير، صبروا على أحر من الجمر، وصبغوا ثيابهم بالحبر، وصاحبوا الجوع والظمأ والفقر.

جزاهم الله عن الأمة خير الجزاء، وعن السنة أكرم العطاء، وعن الملة دار البقاء.

[هكذا حدثنا الزمان: ٢١٦ - ٢١٧]

أحسن الفوائد

- أحسن الفوائد ما جاء من نتائج الأفكار، ولأن النصوص موجودة محفوظة.
- بعض المصائب تقويم للنفس ورد لها عن الغي وحجب لها عن الردى، فسبحان من قوم عباده بشيء من التأديب.

- يذهب نور العلم بالمعاصي، ومخالطة أهل الدنيا والانغماس في الملذات، والتقصير في النوافل، فيصبح العلم عياداً بالله في اللسان فقط، فلا نور ولا هيبة ولا وقار ولا سكينة.
- الغرم بالغنم.
- الخراج بالضمان.
- النعمة تقيد بالشكر.
- إذا ذكر العبد تقصيره سكت عن وعظ الناس، وإذا ذكر أمانة العلم تكلم، والتكلم بالخير أنفع مع لوم النفس على التقصير.
- إذا جاءك الشيطان وأنت تتصح وتعض وقال: هذا رياء، فلا تطعه، وانفع وأفد وانصح.
- المبارك أينما كان هو الذي يدعو إلى الله بحاله ومقاله في كل وقت.
- أعط المسألة حجمها في الحديث والاهتمام، ولا تتجاوز الحد، فإن القرآن أعطى كل مسألة مساحتها من الكلام.
- الرؤى المحتملة تعبيرها بما يصلح حال الرائي ويحثه على الخير.
- كرر النظر فيما تكتب مع الحذف والزيادة والتهديب والتأنق.
- اطلب ولا تضجر من مطلب.
- طوبى لمن كان مقصوراً لحاجات الناس.
- الكلام اللين والوجه المنبسط موهبة ربانية للمؤمن.
- تراجم الصحابة عمل، وتراجم من بعدهم كلام، يقال في الصحابي: حضر المشاهد كلها، وجرح يوم كذا، وهاجر الهجرتين، وحضر بيعة العقبة، وأنفق أمواله في سبيل الله، هكذا.
- اضرب في لك غنيمة بسهم من العبادة، وأكثر من العبادة التي تسهل عليك.

- كل أحد ترضيه إلا الحاسد، فإن إرضاءه زوال نعمتك.
- حق القرآن تلاوته وتجويده وحفظه والعمل به والتشافي به، والتحاكم إليه ورد الأمور إليه.

[هكذا حدثنا الزمان: ١٧٢ - ١٧٣]

الخصخصة

وهو أن يتعرف الإنسان على قدراته ومواهبه والعمل الذي يناسبه ثم يتوجه إلى هذا العمل بقوته ونشاطه، سواء كان هذا التخصص علماً كالشريعة أو الطب والهندسة، أو عملاً كالتجارة أو الزراعة أو البناء؛ لأن من علامات الفشل عسف النفس وإكراهها على تخصص لا يناسبها، وقد ذكرنا أن أنشتاين أكبر رياضي في العالم كان بليداً في بعض المواد كالإنشاء والرسم، ولكنه لما توجه للرياضيات أتى بالعجب العجيب، ومثل سيبويه إمام النحو وعبقري الدنيا طلب الحديث فلم يكن من اللامعين فيه، فلما طلب النحو أدهش العالم؛ لأن مواهبه تناسب مادة النحو، وكم رأينا من طالب فاشل في بعض العلوم عبقري في علوم أخرى، فلو أن كل طالب وجه إلى ما يناسبه لكثير العباقة والمنتجون.

وهذا يعطيك معرفة بفشل بعض خطط التعليم العام الذي يقوم على حشر المواد على طالب صغير في السن مبتدئ في العلم، وبهذه الطريقة في التعليم يفشل الطالب في بعض المواد التي لا تناسبه ويضعف في المواد التي يرتاح إليها.

[هكذا حدثنا الزمان: ١٥٤ - ١٥٥]

تصريح

ما عاد لطالب العلم الذكي نشاط في التأليف مع عصر الكمبيوتر، فتكالب الناس عليه وتركوا الكتاب، وهو تطور دائم، مع سهولة الاستعمال، ودقة الضبط، وتوفير الوقت، وقد ترك هذا الجيل كتب الجهابذة وأعرضوا عنها، فكيف بكتبنا نحن؟!.

[هكذا حدثنا الزمان: ١٠١]

أنت... أنت!!!

لو عمرت قلبك باليقين ما أعجبتك قصور السلاطين، إذا أراد الله هلاك نملة ريشها، وإذا قدر موت دودة أنعشها، الماعز حتفها في ظلها، والثعبان حياته في سمه، سلّم للمقدور بالحدز، واترك المحذور ولا تعتذر بالقدر، القدر للمصائب ولا للمعائب، فلا تكن جبري المعصية، قدري الطاعة، خارجياً مع الناس، مرجئاً مع النفس معطل الصداقة مع إخوانك، ولكنك غال في حقوقك على أقرانك، ناصب نفسك العدا، وارفض المدح فهو للنفس ردى، أرسل خالد إيمانك على جعد شيطانك بسكين التوحيد، ومزق شهواتك فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها، وناد في أعمالك الصالحة ضحوا تقبل الله أضحيتكم، أنت حنبلي المحنة مع الدنيا، سني الشعائر في المنهج، فما لابن أبي دؤاد البدعة يناديك من مكان قريب، وما لجهم الانحراف يقول هل من مجيب؟

[هكذا حدثنا الزمان: ١٠١]

غالب

غالب الفقهاء لهم اهتمام بالفتيا والقضاء، وهم أكثر مداخله للسلطان من المحدثين، وغالب المحدثين فيهم زهد وورع وإعراض عن الدنيا ودأب في العلم، وهم أحسن الطوائف. وغالب النحاة فيهم فضول وتيه وعجب وكبر إلا ما رحم ربك. وغالب الفلاسفة فيهم قلة دين وشك في المعتقد، وشبهات وأوهام. وغالب الشعراء أهل هوى وانحراف وضعف إيمان. وغالب النساء قليلات دين، غالب التجار أهل طمع وبخل وطول أمل. وغالب الأصدقاء عندهم قلة الوفاء وجحد الإحسان ونسيان المعروف.

[هكذا حدثنا الزمان: ٧٧]

ومن شر حاسد إذا حسد

الحاسد لا يحكم إلا عليك، ولا يرضى بحكمك، ولا يسعدك منك شيء، ولا يعجبه كلامك، ولا مالك ولا ولدك ولا بيتك، ومهما اجتهدت في إرضائه فلن يرضى عنك فلا تطمع في مودته، ولا تأنس بقربه، وعم عليه أمرك وابتعد عنه، فإن جمره العداوة كامنة في صدره، ولا يذهبها إلا ذهاب مالك وذللك ووقوع أقسى العقوبات بك، وأفظع الكوارث وأشد المصائب، وهو مع صروف الدهر عليك، ومساعد من عاداك، ومحب من سبك، ومعين من اغتابك، وصديق من ذمك، محاسنك لا تزيدك عنده إلا سوءاً ومقتاً، فأنت عنده مذنب لا توبة لك حتى تتخلع من مواهبك وتتسلخ من صفاتك الحميدة، يكبر أخطاءك، ويرتع في عرضك، ولكن يكفيك نصراً ما هو فيه من ألم، قال أبو الطيب:

إنني وإن لمت حاسدي فما
أنكر أني عـقـوبـة لـهـمـو

[هكذا حدثنا الزمان: ٤٤]

المُحَلِّق ... والمَاشِي

من الشعراء من يمشي على بطنه، ومنهم من يشمي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، ومنهم من يطير كالمتبّي، لكن بارتفاع سبعة وثلاثين قدماً عن سطح البحر، فهو دائماً مُحَلِّق، وإن اقترب أحياناً من الأرض، كما يقول هو عن العلو:

ذي المعالي فليعلون من تعالي
هكذا هكذا وإلا فــــلا لا

شرف ينطح النجوم بروقيـ
له وعز يقلقل الأجبالا

فالرجل صاعد بموهبته، ولا يريد أن تقارنه بغيره من الشعراء:

أجزني إذا أنشدت شعراً فإنما
بشعري أتاك المادحون مردداً

ودع كل صوت غير صوتي فإنني
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

فهو يطلب منك أن تفرده بالاستماع والإعجاب وحده؛ لأنه مُحَلِّق وسواه ماش.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ٩٧]

عزاء الشعراء

لقد شبت قصائد كثير من الشعراء موتاً قبل أن تولد، فها هي الدواوين في الأدراج جعلها الناس قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً منها، إذا قرأت أكثرها قلت: أحسن عزاء من كتبها في مداده، وعوض الله من طبعها في ماله.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ٤٩ - ٥٠]

رجل المرحلة

من المدح الذي يشبه الذم لابن تيمية أنه أخمل معاصريه من أقرانه وزملائه، وكانوا نجومًا في العلم، ولكن طلعت شمسهم فاخفت كل كوكب، كما قال النابغة:

فإنك شمس والملوك كواكبُ

إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ

فكان ابن تيمية - بحق - رجل المرحلة، فلما ظهر لم يكن لغيره ما له من الصيت والصولة والجولة والمكانة والمنزلة، فصار حديث المجالس ومشغل الدول، وكان حديث الركب حتى ضرب بعلمه وبذكائه المثل، فالذين كانوا أئمة في عصره كالمرزي والذهبي والبرزالي، أو من أصحابه وطلابه كابن كثير، أو من أقرانه كالسبكي والزمكاني، وغيرهم كثير لم يكن لهم ذاك الانتشار والانتشار مثل ما له، بل كان بعض هؤلاء الأئمة الكبار إنما يشتهر لأنه صاحب ابن تيمية، أو طلب العلم عليه، أو رافقه، أو رد عليه وعارضه. أ. هـ.

وليس هذا من بابا الغلو، حاشاه، ولكنَّ التأريخ أثبت حاجة الأمة أجمع
لشيخ الإسلام، وأمثاله، وبطون كتبه شهدت بذلك، بل حتى بعض من خالفوه،
شهدوا له بحق..

شهد الجميع بفضله حتى العدى

والحق ما شهدت به الأعداء

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ١٠٢]

إذا لم يكن

إذا لم يكن هذا الذكاء بعينه

فإني بألقاب الذكاء كفور

وإن لم تكن ألقابكم عبقرية

إذا فشهود العبقرية زوراً

إن لم يكن ابن تيمية عبقرياً فلا أدري من العبقرى؟! وإذا لم يستول على
منصب الأملية فليس لأحد أن يرتقي هذا المنصب!، وإذا لم يكن هو الذكي
اللمّاح إذاً لم نسمع بعد الصحابة بذكي لمّاح! إن من أجل ما استوقف
المؤرخين والكتبة وأهل السير والباحثين في سيرة هذا الإمام عبقريته الفذة،
فقد أفاض الله عليه من أسباب الذكاء وموهبة الفهم ما صار حديث الناس
وقصة السمر لهم، سواء الموافق منهم أو المخالف، ورأيت كثيراً من أعدائه
وحساده يذعنون ويعترفون بنبوغه، وبقوة ذاكرته وبحافظته الفياضة. أ. هـ.

ومن هذا الإعجاب، وهذه المحبة، كان شيخ الإسلام قدوةً في حياة الشيخ؛ إذ إن المحب يسعد إذا مدح محبوبه، فكيف لو مدحه هو..! وهذا بين في هذه الفقرة؛ بل كان يسميه أحياناً.. «رجل المرحلة».

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ٩٨]

لطيفة

من لطائف سيرة الشيخ ابن تيمية أنه سريع الخط، فخطه أسرع من كلامه، إلا أنه معلق أشد التعليق، ومغلق يفكه بعض تلاميذه كابن رشيق وغيره. أ.هـ.

وهذه من لطائف ما وقفت عليه من كلام شيخنا، في شيخ الإسلام.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ٥٩]

من لطائف ذكاء شيخ الإسلام

أنه يستدرج خصمه ويستتر له، ثم يحفر له قليلاً - كما يقول بعض أهل العلم -، ثم يضعه فيه، ثم يطم عليه ويتركه مكانه.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ٤٦]

ركيزة تخلفنا

فوالذي زين الشمس في ضحاها، وجمل القمر إذا تلاها، وحسن النهار إذا جلاها، ما أصابنا التخلّف، وما دهانا التوقّف، إلا يوم عصينا ربّ العباد، وتركنا الجهاد، وكثر فينا الفساد، كان مؤذّننا بلال، وملعبنا ميدان القتال، وقصدنا ذو الجلال، فأصبحنا لا طول لنا ولا حول، لأن همّنا كم سجّلنا من قول، فيا للهول، بالأمس كان شبابنا بالقرآن يفرحون، وللسنة يحفظون ويشرحون، واليوم أصبحوا يسرحون ويمرحون، يفرهم الفنانون واللاعبون، أما تنظر إلى شعره إذا رصّه، وجعل له قصّة، ثم مسح شفّتيه بالمكيّاج، ومشى وله ارتجاج، فكيف لو رآه الحجّاج، وما ترى لو دُبغ بالكرباج.

لو أن للدهر عينا منهم دمعت
أو أن للصخر قلباً نابضاً لبكى
أزروا بأمّتهم من سوء سيرتهم
لأجلهم كم سألنا الموت لو فتكا

[مقامات القرنى: ٥٤٢]

يا شباب

أما لكم أهداف سامية؟ وهمم عالية؟ وأخلاق غالية؟ ليس عندكم عزائم، أصبتم بإحباطات وهزائم، هم أحدكم الأفراح والولائم.

ألستم أحفاد الراشدين، وأبناء المجاهدين، وسلالة العابدين؟

صار همّ أحدكم ثياباً فاخرة، وجلساتٍ ساخرة، ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ
الْآخِرَةِ﴾، يفرح أحدكم بركوب السيارة، ومُشاهدة الطيّارة، ومعايشة السيّارة،
تحفظون أسماء اللاعبين، وتغفلون عن أسماء العلماء العاملين. اتركوا
الشوارع، واخرجوا إلى الجوامع، اذهبوا إلى المصانع، هبّوا إلى المزارع، هيّا
إلى الحدادة والنجارة، هيّا إلى الصناعة والعمارة، هيّا إلى البيع والتجارة، هيّا
إلى الورشة والنشارة.

نريد منكم علماء وحُكماء وأطباء وأدباء.

[مقامات القرن: ٤٢٢ - ٤٢٣]

طريفة

طرق فقير باب بخيل، وقد أظلم الليل، فلم يفتح البخيل بابه، ولم يرفع
حجابه فصاح الفقير بصوت كسير: أين من كانوا يفرحون إذا رأوا أضيافاً؟
فردّ البخيل بقوله: ماتوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

[مقامات القرن: ٤٠٢]

وصية بخيل

أوصى بخيل ولده، وقد قطع بالإنفاق كبده، فقال: يا بني، ما هذا
الإسراف؟ يا أيها المتلاف، أما تخشى، أما تخاف؟ ما تؤثر فيك النصائح، ولا
تخاف الفضائح؟ أين من كان يقتصد، ويحفظ ماله ويجتهد؟ كان أحدهم يضع

ماله في صُرَّة، لئلا يُؤخذ على غِرَّة، ثم يُخرج الصُرَّة، في كل سنة مرَّة، فيقرأ عليها المعوذات، وأعوذ بكلمات الله التَّامَّات، كان الرغيف يسدُّ رمقه من الصباح إلى الليل؛ لأنه يعلم أن الدهر أبو الويل، فخلف من بعدهم خلف، فيهم كل مُسرف جلف، يأكل في اليوم ثلاث وجبات، ولا يتفكّر في مصارع الأموات، ليرتدع من هذه الزلات.

[مقامات القرنين: ٤٠١ - ٤٠٢]

السيف أصدق أنباء من الكتب

الذي هجر المسجد، وذهب يعربد، وهدد أمن الناس وتوعد، ليس له إلا سوط حارّ، أو سيف بتّار، ليكون عبرةً لغيره من الأشرار، ولكن على من حكّ العين أن لا يُدميها، لئلا يكون حاميتها حراميتها، بل يتّقي الله البوليس في العباد، ويكون همّه إصلاح العباد، ليعمّ الأمن والأمانة، والهدوء والصيانة، فإن لم يردع السوط من سلب، ولم تردّ العصا من نهب، فالسيف أصدق أنباء من الكتب.

[مقامات القرنين: ٣٠٩ - ٣٩١]

«عائض» والجغرافيا

تجده يقف بك على معاني البلدان، ومحاسن السكان،
وبدائع الإنسان، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .. مرةً ناصحاً وموجهاً،
وحاثاً على الاجتماع وعدم التفرق، وأخرى واصفاً للحدائق الغنّاء،
والطبيعة الأخّاذة، والمغاني والمعاني؛ مرة في بغداد، أم البلاد،
وأخرى بجوار بردى في الشام، وثالثة بجوار نخوة، والأصالة،
والرقة، والثبات اليمن السعيد..؛ وأحياناً يهيم بمفاتيح القدس
الشريف... ويحلم كما يحلم كل غيور، بعودة المغاني؛ والآثار..

إنك حين ترى القرني يبجر في هذا العالم العجيب، يتوهم
إلى عقلك أحياناً أن هذه الرجل على توسع عجيب، وإمام بمفاتيح
البلدان، وأنه طوّف في عرض البلاد، مغرماً بالأسفار..

وليس هذا على إطلاقه، إذ إن القرني واسع الاطلاع على
كتب التاريخ والتراث، وله صولةٌ وجولة، وكثيرٌ من هذه الكتب
تصف أحياناً جغرافية البلاد ومناخها، وأحياناً تقف
قدمه على أثرها، ويشمُّ أنفه شذاها..



وتجده كثيراً ما يُلغز إلى بلاد الجنوب، ومحبة لمربعها، وجبالها
وجداولها، ومنابعها؛ ولسان حاله يردد:

يا نسيم الجنوب بالله بلِّغ
ما يقوله المتيمُّ المستهامُ
قل لأحبابه فدتكم عيونُ
شاخصاتٌ ومقلّةٌ لا تنامُ

فهل يُلام من يتغزل في موطنه، ومربع صباه، ومراتع طفولته..؟ هل
يُلام؟ هل يُلام؟!!!

فيه رقة في الطبع، منها..

وفيه سهوله، وبساطة في التعامل... منها..

صحبتُهُ في بعض اللقاءات، والمجالس الأدبية، والعلمية، فما وجدتهُ
إلا في زيادة، من السهولة، واللين في التعامل، والرفق..

بعيدٌ جداً عن «أتيكيت» المشيخة؛ الذي جعله بعض الناس شعاراً لهم..

يستمع شكوى الشاكي، فيرق لحاله، ويبذل جاهه وماله.. ولا أذكىه على الله..

لا يخلّق للوقار هيئة، ولا صفة، ولا كهنوت، بل يوقره بين الناس
علمه، ويزيدهُ حبهم حباً في قلوبهم، وتعلقاً بطريقته..

إن أهل الغلظة والجفاء حملوا قلوباً قاسيةً مع الناس، بعيدةً عن حمل

همومه، صماء عن شكواهم..

عمياء عن أحوالهم، وحاجياتهم..

وليس هذا بمنهج محمد ﷺ مع أصحابه، بل ولا مع من حوله، فهو يحمل حمل الحطب عن اليهودية العجوز؛ ويصبر على الأذى، والقذى، ويزور جاره اليهودي، ويدعو ولده للإسلام فيسلم، ويداعب محمود بن الربيع الصحابي وهو صغير بمجة من ماء في وجهه، وهو ابن خمس سنين، ويسأل عن حال الطفل الصغير.. أو عمير.. فيقول: يا أبا عمير ما فعل النغير..

ويحمل أمانة بنت زينب رضي الله عنها في الصلاة... ويلعب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

إذ فهو قريب إلى قلوب أصحابه، بل يحن إليه جذع، ويشكو عليه جمل، ويسبح في كفّه حجر، صلى الله وسلم وبارك عليه..

وهذا هو منهج الداعية إلى الله جل وعز، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

ولعل طبيعة البلاد كذلك كان لها أثر في صياغة شخصية القرنين؛ فأهل اليمن هم أهل إيمان، وحكمة، وهم أهل صبر، ومصابرة، وأرق أفئدة، وأثبت عند اللقاء... وكل ما عن يمين الكعبة فهو يمن..

وتهملج ذلول بيانه إذا ذكر الحطيم وزمزم، والصفاء والمقام، والبيت العتيق، فهي ذكرياتنا وتاريخنا ومبدأنا، وهو يردد دائماً على شفثيه..

من بلادي يطلب العلم ولا
 يطلب العلم من الغرب الغبي
 وبها مهبط وحي الله بل
 أرسل الله بها خير نبي
 فله أبوه محب لمنازل الوحي، والقداسة..



ملاعب الصبا

التعبير يخون، والنفس فيها شجون، والذاكرة بالصور مؤارة، ونور الحديث قد نصب في القلب منارة، وإذا ذُكرت مكة ذُكرَ غار حراء، والشرعية الغراء، والوحي والإسراء، فكأن التاريخ حضر، وكأن الزمان اختصر، وكأن الدنيا كلها في مكة محصورة، وكأن الأيام في أجفان مكة مقصورة.

مكة ملاعب الصبا والشباب، لصاحب السنة والكتاب، فيها مسقط رأسه، وفضاء أنفاسه، فيها مراتعه، ومرابعه، ومهاجعه.

هَذي بلادي وهَذي مُنتهى أُملي
هَذا التُّرابُ الَّذي أَهديتُهُ زَجَلي

هَذا المَكانُ بِهِ مِيلادُ قُودَتنا
هَذا رِياضُ الهُدى والسَّادَةِ الأوَّلِ

كيف نعبّر عن أشواقنا، وقد سافر حبه في أعماقنا:

فِي كَفْكَ الشَّهْمِ مِنْ حَبْلِ الهُدى طَرَفُ
عَلى الصُّراطِ وَفى أرواحِنا طَرَفُ

هِيَهَاتَ رَحْلةُ مِسرَنا جَحا فلنا
كَمّا عَهدتِ وَعَزمَاتِ الوَرى أَنفُ

وعلى رمضاء مكة ثار وجراح، وعويل وصياح، حيث عذب بلال بن رباح، أما تقرأ على الرمضاء، ما كتبه الدموع والدماء، يقرؤها كل عالم وجاهل، وقل جاء الحق وزهق الباطل. تفجّع صارخ يصعد إلى السماء، وصيحات ثائرة تشقّ الظلماء، أحدٌ أحد، فردٌ صمد، على رغم من كفر وجحد، تطلق هذه القذائف حنجرة بلال، فتتهزّ بها الجبال، وتتفض منها التلال.

أَحَدٌ هَتَفَتْ بِهَا لِكُلِّ مُعْطَلٍ
أَنْتَ الْمُؤَذِّنُ لِلرَّسُولِ فَـرَتَّلِ
وَاهْزَمْ بِصَوْتِكَ كُلَّ طَاغٍ فَاجِرٍ
وَاسْحَقْ بِقَوْلِكَ كُلَّ زَحَفٍ بَاطِلٍ

وعلى جبين مكة قُبَلَاتُ الْمُحِبِّينَ، وفي جوفها زجلُ المُسَبِّحِينَ، وفي عينيها آيةٌ للسَّائِلِينَ، مكةُ أُمِّ الخلفاء الراشدين، مكةُ بلدِ العابدين، وميدانُ المجاهدين، وعَرِينُ الفاتحين، وجامعُ الموحِّدين، ومدرسةُ الحُكَّامِ العادِلِينَ.

[مقامات القرنى: ٤٣٧-٤٣٨-٤٣٩]

قدساتنا

عندنا قداسة الإنسان، وقداسة البيان، وقداسة الزمان، وقداسة المكان.

فقداسة الإنسان: ماثلة في الرسول العظيم، والنبى الكريم، وقداسة البيان: قائمة في القرآن، الذى أعجز الإنس والجان، وقداسة الزمان: كامنة في عشر ذي الحجة ورمضان، وقداسة المكان: في الحرمين الطاهرين والمسجدين الزاهرين، ليس للزمان بدونا طعم، وليس للتاريخ سوانا رسم، وليس للناس إذا أغفلنا اسم، نحن شهداء على الناس، ونحن مضرب المثل في الجود والبأس. كأن النور وُلِدَ معنا، وكأنَّ البشر لفظ ونحن معنى، جماجمنا بالعزة مدججة، وخيولنا بالعزائم مسرجة، نحن الأمة الوسط، لا غلط في منهجنا ولا شطط، وسط في المكان: فنحن قلب الكرة الأرضية وزعماء الأخلاق المرضية، ووسط في الزمان: فلم نأتِ في طفولة الإنسانية ولم نتأخر

إلى شيخوخة البشريّة، ووسط في العقيدة: فنحن أهل التوحيد والمذاهب السديدة، فلم نعتنق رهبانية النصارى، ولم ننهج نهج اليهود الحيارى، بل أمتنا معصومة من الضلالة، مصونة من الجهالة.

[مقامات القرني: ٤٦٠]

كان العالم.. وكنا

كان العالم قبل وصولنا غابة، كأن عليه جنابة، وكانت الدنيا قبل ميلادنا في مآثم، تشكو وتتألم، فلما بزغ فجر رسولنا من البطحاء، أشرقت بنوره الأرض والسماء، خيم العدل في بلادنا، وولد الشرف مع ميلادنا، مضرب المثل في الكرم من أوطاننا، وأشجع الناس من ودياننا. نحن بعثنا إلى الدنيا النور، وأزلنا منها الظلم والجور، أذنّا في أذن الدنيا فآمنت، ومشينا على جبالها فتطامنت.

[مقامات القرني: ٤٥٩]

ذهبنا

أرضنا بدماء الشهداء تفوح، وقلوبنا بأسرار التوحيد تبوح، عندنا الذهب الأبيض والأحمر والأسود. فالأبيض علم ينعش الأحياء، من الشريعة السّمحاء، والأحمر دماء في عروق الأحرار، وفي شرايين الأبرار، والأسود بترول مدفون في الثرى، يدلف بالحضارة للمدن والقرى.

[مقامات القرني: ٤٥٩]

الجزيرة

من أتى إلى الجزيرة بدين غير الإسلام، فكأنه أدخل في الكعبة الأصنام، ووضع في المحراب الأضلاع، وأباح من على المنارة الحرام، إن الذين يبنون دولاً آثمة ليكون أول إعلان لهم أنهم يكفرون بالله العظيم، وكأنه لا يصل إلي مجد الدنيا إلا من طريق الجحيم، هؤلاء استحقوا لعنة الله ومقت التاريخ، ولطخت أسماءهم برجس التوبيخ. يعلنون التتوير من ميدان التحرير، وإذا التنوير عندهم اعتناق الإلحاد، والكفر برّب العباد، والتحرير لديهم الخروج عن قداسة الملة، والدخول في سراديب الخيبة والذلة.

[مقامات القرنين: ١٧٧-١٧٨]

كبيرة

مَنْ كَتَبَ التاريخ وأهمَلَ الجزيرة، فقد ارتكب كبيرة، وأتى بجريرة، كيف يهمل الرسول والأصول، وأهل المنقول والمعقول؟ كيف يأخذ البدن بلا روح، ويجرد البستان من الدوح؟ كيف يبني القصر على غير أساس، ويقيم الجسم بلا رأس؟

تريد المسجد بلا محراب، والمدرسة بلا كتاب، نحن الفصول والأبواب، ونحن السيف والنّصاب، لسجلّ المكرمات كُتّاب، ولأرقام المجد حُساب، وعلى قصر الرسالة حُجّاب.

نحن قلب المعمورة، وأصحاب المناقب الماثورة، العالم يتّجه إلى قبلتنا كل يوم خمس مرات، والدنيا تنصت لندائنا بالصلوات، والكون يستمع لتلاوتنا

بالآيات، زارنا بلال بن رباح، فصار مؤذن دولة الفلاح، وجاءنا سلمان من أرض فارس، فلما أسلم صار كأنه على قرن الشمس جالس، ووفد إلينا صهيب من أرض الروم، فأصبح من سادات القوم، من بلادنا تشرق شمس المعارف، ويُقام للعلم متاحف، وتُتشر للهدى مصاحف، حتى ماؤنا يفوق كل ماء، فماء زمزم شفاء، ومن كل داء دواء، ونحن بيت العرب العرباء، وعندنا سادات الكرماء، ولدينا أساطين النجباء، وأساتذة الحكماء، إن ذكرت الحرب فنحن وقودها، وإن ذكرت الملة فنحن أسودها، وإذا سمعت بالرسالة فنحن جنودها.

وللأوطان في دم كل حُرٍّ
يدٌ سلفت، ودينٌ مستحقُّ

ومن يسقي ويشربُ بالمنايا
إذا الأحرارُ لم يسقوا ويسقوا

ولا يبني الممالك كالضحايا
ولا يدني الحقُّوق ولا يحقُّ
ففي القتلى لأجيال حياءَ
وفي الأسرى فدى لهم وعِتقُ

وفي دارنا عائشة أمُّ المكرمات، المبرأة من فوق سبع سماوات، وفاطمة البتول، بنت الرسول، طيبة الأصول. وفي أرضنا الحرمان، والبيتان، والعمران، والهجرتان، والبيعتان، والسبطان، والقرآن، والإيمان، والبيان.

نحن أهل عدوبة الألفاظ، والجهاينة الحُفَاط، وفي بلادنا سوق عكاظ.

نحن الذين على خطى أمجادهم
وقفَ الزمانُ بذلةٍ مبهوراً

تِجَانُ عِزَّتِنَا النُّجُومُ فَلَا تَرَى غَيْرَ الْوَفَاءِ وَصَارَ مَا مَشْهُورًا

[مقامات القرنى: ٤٦٢-٤٦٣]

هنا

إذا قربت من مكة فتهيأ للدخول، واستعد للنزول، والبس الإحرام، عند
عناق البيت الحرام؛ لأنك سوف تلج بيت الديان، ومحطّ العرفان، ودار
الرضوان، هنا المسلك الأرشد، والمحل الأسعد، والحجر الأسود، هنا المقام
الكريم، والمطاف العظيم، وزمزم والحطيم، هنا العابدون والساجدون،
والعاكفون، والقائمون، والمستغفرون. هنا تُسكب العبرات، وتهمل الدمعات،
وتتبعث الآهات، وتصعد الزفرات. هنا تغسل النفس من الأدران، ويتخلص القلب
من الأحزان، وتنطلق الروح من العصيان، هنا تُرمى الجمرات، وتحطّ الغدرات،
وتخلع الفجرات، وتغسل السيئات، هنا يتجرّد من الثياب، ويتهيأ للحساب، فحبذا
هذه الرّحاب، وطوبى لهذه الشّعاب، هنا تُناخ المطايا، وتُحطّ الخطايا، وتكثر
العطايا، هنا السرور قد تم، والشمّل قد التّم، وذهب الهمّ والغمّ.

[مقامات القرنى: ٤٣٩]

في مكة

في مكة تثور شجون الحب، وتضجّ بلابل القلب، فيها التاريخ يتكلم،
والدهر يتبسم، والذكريات تتداعى، والأمنيات تقبل تباعاً، هنا خطوات

الرسول، وصهيل الخيول، منشأ السادات، منبت القادات، إقبال وفود،
وانطلاق جنود، وتزاحم حشود، وارتفاع بنود، هدى وضلالة، علم وجهالة، وهنا
كرم وبسالة، وَحْيٌ ورسالة، عالم يمور بالعبر، ديوان يزخر بالسيّر، دفتر
للعظماء، سجل للشرفاء:

كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُّونِ إِلَى الصَّفَا
أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ

في مكة رؤوس بالأنفة متزاحمة، وجيوش للثأر متلاطمة، أفكار
وحضارات، ونوادٍ ومحاضرات، سِيرَ وَسَمَرَ، في ضوء القمر، أنباء وأخبار،
وقصص وأشعار، حتى كان النبا العظيم، وهو الرسول الكريم، فيصغر بعده كل
خبر، وينسى من جاء ومن غبر، فهو أعظم أثر، جاءت به السيّر.

[مقامات القرني: ٤٣٤-٤٣٥]

المدينة والحبیب

يكفي المدينة جلالة على مدن المعمورة، تلك المناقب الماثورة، وأجلّها مشي
الحبیب على ثراها، وتنقلّه بين قُرَاهَا، كلما طافت عينك على رباعها، وهامَ
قلبك في بقاعها، ناداك مُنادي الذكريات، يقول للأحياء والأموات: هنا محمد
سجد، هنا محمد قعد، هنا محمد رقد، جلس في هذا المكان، عَبَرَ هذه
الوديان، هَرَوَلَ في هذا الميدان، نظر إلى هذه الجبال، رقى هذه التلال، شرب

من هذا الماء الزلال، زار هذه الدار، نام تحت هذه الأشجار، مضى من فوق هذه الأحجار.

في الدَّارِ أَحْبَارٌ يَكَادُ حَدِيثُهَا
يَدْعُ الْفُؤَادَ وَمَا لَهُ سُلُوانُ
شَوْقُ فُلُوَانٍ الْحِجَارَةَ حُمَلَتْ
مَا فِي الْحَشَا لَتَصْدَعُ الصُّوَانُ

يا أيتها النخل الباسقات، ربما مرَّ بكَّنَّ صاحب المعجزات، والصفات الباهرات، فهل من حديث يُستفاد، وهل من ذكريات تُعاد؟! إن كنت تمدح المدينة بسمو قصورها، وارتفاع دُورها، وعظمة جبالها، وكثرة تلالها، فقد غلطت في الثناء، وقصّرت في واجب الوفاء، إن للمدينة أسراراً، وإن لها أحباراً. المدينة تخاطب القلوب قبل العيون، وتستثير الدِّفين من الشجون؛ لأن ترابها يحتفظ في ذاكرته بمشاهد تذوب لها الأرواح، ولا يمحوها مرور الرياح.

[مقامات القرنى: ٤٤٦-٤٤٧]

ذكريات

حيّ دار الهجرة، وميدان النصر، وأرض الشهداء، وجامعة العلماء. في ثرى المدينة سيّد الشهداء، حمزة المقدام، وفيها غسيل الملائكة الكرام، ومن كلّمه الرحمن، وحفّظ القرآن، وزيد بن ثابت إمام الفرائض، وحسان بن ثابت شاعر الردود والنقائض، وأبيّ بن كعب صاحب الذّكر الحكيم، وفيها من اهتزّ له العرش العظيم.

في المدينة ذكرى أبي ذرٍّ، وهو يقول الحقُّ المُرَّ، يدفع الباطل بزنده، ويردُّ الدنيا بزهد، وفيها ذكرى بلال وهو يرسل صوته في سماء الوجدانية، وفضاء العبودية، ومعناه تعالوا إلى ربكم أيُّها العباد، وذروا الجاه والأموال والأولاد.

وذكرى أنس بن مالك خادم رسولنا، كلما قيل: من لهذا العمل؟ قال: أنا، فينال بشرف خدمة المعصوم، ما لا يناله أشراف أهل الدنيا لجلالة المخدم، وذكرى سعيد بن المسيَّب، الوليِّ المُقَرَّب، ينهل الناس من مورد علمه، ويعبُّ العباد من نهر فهمه. وذكرى مالك بن أنس، إذا تريَّع على كرسي العلم وجلس، فكأنَّ مجد الدنيا اختصر في تلك الساعة، يوم تجتمع عظمة العلم وعظمة الطاعة.

وأعظم منقبة للمدينة أن رسول الله ﷺ يسكن في سُويِّدائها، ويستولي على حبِّها، وهذا سرُّ مكانتها وقُربها. يكفي المدينة فخراً، أن أجلَّ البشر، وسيِّد البدو والحضر، شرب ماءها، واستنشق هواءها، وارتدى سماءها، وصافح ضيائها.

[مقامات القرنين: ٤٤٥-٤٤٦]

رفقاً بقلبي يا جنوب

بديهتهم أسرع من الضوء إذا سرى، وذاكرتهم أغزر من السيل إذا جرى، ما قطر للإلحاد في ديارهم قطرة، لأنهم على الفطرة.

لو رأى جمال أرضهم كنفشيوس المسكين، لما نظم قصيدة مرحباً يا بكَّين، ولو أبصرها هوميروس اليونان، لما أنشد إلياذة ملاحم الميدان.

فَالطَّيْرُ يُرْسِلُ لِلْعُشَّاقِ أَغْنِيَةً
وَالْغُصْنُ يَعْزِفُ وَالْأَرْوَاحُ فِي طَرْبٍ
فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى عِيداً بِأَرْضِهِمْ
فَالسَّحَرُ وَالشَّعْرُ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
أَرْضٌ إِذَا جِئْتَهَا أَهْدَتْكَ زِينَتَهَا
حَمَّالَةُ الْوَرْدِ لَا حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

طاب الهوى ورقَّ الهواء، وازدان الظلَّ وعذب الماء، أرض تصنع بها
القوافي، مع الودِّ الصافي، والجمال الصافي. كأن وحي البيان، أرسل لطير
البستان، فالتقى سحر الكلام، مع نشيد الحمام، ودمع الغمام.

رَفَقاً بِقَلْبِي يَا جَنُوبُ فَإِنِّي
بَشَرُوهَذَا السَّحَرُ يَخْلِبُ عَيْنِي
قَتْلُ الْمُحِبِّ يَجُوزُ فِي شَرِّعِ الْهَوَى
لَوْ كَانَ دِينُكَ فِي الصَّبَابَةِ دِينِي

ولو عدل صاحب البوصلة لوجهها للجنوب النفيس، وذاك الروض الأنيس،
وترك هضبة مغناطيس. ولو رأى نابليون جبال الجنوب ووديانه، لأراحنا من
هيامه بجزيرة هيلانة.

والجنوب لم تدخله الباطنية، ولا مذهب الظاهرية، بل تلك الديار سنيَّة
سلفيَّة، وقد رحبوا بدعوة التوحيد، التي أطلقها المجدد الفريد، صاحب النهج
السَّديد، وتقبلوا هذه الدعوة بقبول حسن، وصاروا على أحسن سنن.

سلامة الصدور، كماء الطهور، فليس عندهم ضغائن، ولا دفائن؛ بل
غضب الواحد في لسانه، ثم يعود إلى إحسانه.

ومنها ذكاء وقَّاد، وطبع في الفهم منقاد، مع غزارة في القريحة،
وأخلاق مليحة.

ومنها فصاحة وبيان، كأن على طرف كل لسان سَحَبان، وعلى شفتي كل
منهم حسان. والحمد لله الذي سلمهم من برص الإسماعيلية، وسرطان
النيرية، وداء البطائحية، وحمق الصوفية، وتجهّم الجهمية، فطريقتهم سُنَّة
محمديّة.

[مقامات القرني: ٤٧٠]

لطائف الطباع

أهل الجبال، أهل صفاء وجمال، وأهل عاطفة واستعجال، وأهل
الصحراء، أهل مكر ودهاء، وصبر وجفاء، وكلما قرب الإنسان من خط
الاستواء، كثُرَت حدته والبغضاء، ومن يسكن القطب البارد، فإنه ثقیل جامد،
ومن يعيش في أرض خضراء، تجد له رقّة ورواء، ولطفاً ووفاء، ومن كانت داره
في أرض مُقْفِرَة، رأيت منه طبائع مُنكرة، من الغلظة والشدة، والضيق والحدّة.

[مقامات القرني: ٣٨٥]

السراة

السراة حيث خصوبة التراب، ونداوة الضباب، وهمع السحاب.
كأن الطلّ بديارهم دموع حبيب، وكأن الظلّ بأرضهم برد قشيب.

أَرْضٌ إِذَا طَاوَلَتْ هَامَ جِبَالَهَا
 قَالَتْ تَوَاضَعَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
 وَإِذَا دَخَلَتْ غِيَاضَهَا وَرِيَاضَهَا
 غَنَى الْحَمَامُ وَصَفَّقَ الرِّيحَانُ

فيها مدرسة الحفظ؛ لأن الحفظ هريري دوسي، وهي إيوان الزهد؛ لأن الزهد أويسي.

هنا الشعر الفصيح، والنسب الصريح، والوجه المليح، خطباء حُفَاط، يغار منهم قسٌ في سوق عكاظ، لروعة تلك الألفاظ، مع القمم همم، ومع الشجاعة كرم، لا تتكر أخلاقهم البديعة، فكما قال ابن خلدون: الأخلاق تتبع الطبيعة. ذكرهم الهمداني في الإكليل، فكان قلمه بالثناء يسيل.

بلادهم ديار الجود، وعرين الأسود، البخل عندهم ذنب لا يُغفر، وعدوهم بالثرى يُغفر، أريحية يهتز منها النسيم، وحاتمية ينشأ عليها الفطيم، مشاعر جياشة، وأرواح هشاشة، ووجوه بشاشة، ماء البشر في صفحات الوجوه يتفرق، ودم البطولات في شرايين الأبوة يتدفق، إصرار على القيم، وحفاظ على الشيم.

قلوب حُشيت بالإيمان إلى الأعماق، فليس بها مكان للكفر ولا للنفاق.

ما دخلها فيلسوف، لأن صوت القرآن بها يطوف، وما حلّها زنديق، لأن أسد الرسالة في الطريق.

[مقامات القرني: ٤٦٦-٤٦٧]

يا نجد

يا نجد أنتِ أرض الحبِّ والغرام، والعشق والهيام، في رأسكِ ذاكِرة الأيام،
وفي صدركِ مفكِّرة الأحلام، هنا ملاعب طسم وجديس، ومفاتن امرؤ القيس،
ومعاطن العيس، هنا سحر القافية يلعب بالأذهان، هنا للشعر سوق ومهرجان،
وللحبِّ رَوْض وبستان، جدِّ التوحيد في نجد فصار غَضًّا طريًّا، وولد الحبِّ
نجدِيًّا، وعاش الدين بها أبدِيًّا، وصار الوفاء بها سرمدِيًّا، لنجد في قلبي
منازل وخيام، وبيوت وأعلام، ولها في ذاكرتي صور وأفلام، ومشاهد وأحلام.
يا صاحبيَّ على نجد قفا نبك، ومن هواها هُلْمًا نشتك، في نجد أم البنين
الأربعة، وعامر بن صعصعة، والمطعمون الجفنة المددعة، والضاربون الهام
يوم الجمعة. من نجد انطلق الموحدون، وأنشد فيها قيس بن ميمون، وفيها
عشق عروة بن حزام والمجنون.

يا صاحبيَّ قِفَا لي واقضِيَا وطراً

وَحَدَّثَانِي عَنْ نَجْدٍ بِأَخْبَارِ

هل أمطرت رَوْضَةَ الوَعَسَاءِ أو هدلت

حَمَامَةَ البَيْنِ أو غَنَّتْ بِأَشْعَارِ

في نجدِ الخزامى والشَّيْح، والروض الفسيح، والشعر الفصيح، وشذا
المسك تنشره الريح، نجدُ ثلاثة أحرف، نون، وجيم، ودال.

فالنون فنون، وشجون، وعيون، وفتون.

والجيم جلال، وجمال، وجهاد، وجلاد.

والدال دعوة، ودولة، ودليل ودوام، ودواء.

[مقامات القرنين: ٤٨٤]

يا أهل اليمن

عندكم الجبال، والجمال، والسحر الحلال، والبلاغة في الأقوال، مع سلامة صدور، وبُعد عن الكبر والغرور، وخفة أرواح، ودعابة ومزاح، وقدرة على الحفظ، وسبك اللفظ، وجودة خاطر، بكل لذيذ عاطر، مع بسملة وبشاشة، ونفوس بالحب جيّاشة، عانقت جبالكم السحاب، واحتضن شجركم الضباب، وقبل ريحانكم التراب ونادت غدرانكم: ﴿ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾، كأن بَنُكُمْ إذا مُزَجَّ بالهيل، وخُلِطَ بالزنجبيل، فيض من السلسبيل، كأنه يقول للشاربين: جئتمكم ﴿ مِنْ سَبَأٍ نَبَأٌ يَقِينٌ ﴾، وبأرضكم الأقحوان، يُضاحك الريحان، وبلبل البستان، كأنه يتكلم بلسان، في كل صباح يصيح، كأنه خطيب فصيح، مَنْ دخل روضكم ظن أنه في إيوان كسرى، يسري به النسيم فسبحان من أسرى:

أَرْضُ ثَرَاهَا لَوْلُو وَتُرَابُهَا —

مِسْكٌ وَطِينَةٌ أَرْضِهَا مِنْ عَنَبَرٍ

يَتْلُو بِهَا الْقُمْرِيُّ آيَاتِ الْهَوَى

وَالطَّيْرُ بَيْنَ مُسَبِّحٍ وَمُكَبَّرٍ

[مقامات القرنين: ٤٨٤]

اليمن السعيد

اليمن مورد عذب، وميدان رحب، فالقومي باليمن يفخر؛ لأنها بلد الجدِّ حمير، والمؤرَّخ يتشجع؛ لأنه عثر على موطن تبع، وصاحب الآثار له من اليمن

أمداد؛ لأن فيها ﴿إِرم ذات العِمدِ﴾ التي لم يخلق مثلها في البلاد، وحملة القرآن، لهم ميل إلى تلك الأوطان؛ لأن الإيمان يمان، فاحفظ أخبارهم، وردد أشعارهم، واكتب إنشاءهم، ولا تبخس الناس أشياءهم.

واعلم أن اليمن أهدت لسليمان بلقيس العرش، وقتلت الأسود العنسي، وألبست العروبة المنن، بسيف ذي يزن، حتى زاره عبدالمطلب، نيابة عن العرب، فبشره بالنبي المرتقب، وأعلى منزله كما يجب.

[مقامات القرنى: ٤٩٠]

بلد اليمن

اليمن بلد الأقيال، والجبال، والجمال، والجلال.

فالأقيال: طردوا الأحابيش، وهزموا كل جيش. والجبال: صدت الغزاة المحاربين، ودمرت الإنجليز الكاذبين. والجمال: رسائل سحر من الطبيعة، في حجاب الشريعة. والجلال: إيمان في قوة، وعلم مع فتوة. تعانق في اليمن التاريخ والجغرافيا، عناقاً كافياً شافياً، وتصافح بها الفقه والحديث، والقديم والحديث.

إذا سأل على حدائق الأزهار، السيل الجرار، ظهر لك أهل التقليد وحملة الآثار، وإذا أردت الدليل، على فضل هذا البلد الجليل، عليك بالإكليل.

[مقامات القرنى: ٤٨٩]

هل نسيتم يا أهل اليمن

أنسيتم ما ذكره في مدحكم الهمداني، وما سجله في مجدكم صاحب الديباج الخسرواني، أليس يُنسَب إليكم السيف الهندواني، وسُمِّي باسمكم ركن البيت اليماني، وسهيل أحد النجوم الدواني، ومنكم محدث العصر الأمير الصنعاني، والعلامة الربّاني، الإمام الشوكاني، وتاج العلماء الكوكباني، وسيد الأولياء أبو إدريس الخولاني، ومفتي الديار العلامة العمراني، وابن الديع الشيباني، وشيخ الشيوخ الأرياني، والقاضي أحمد الحضرائي، وخطيب الخطباء البيحاني، وأستاذ الإعجاز الزنداني، وقد أثنى عليكم شيخ الإسلام ابن تيمية الحرّاني، لما شرح حديث «الإيمان يماني»، ومجدكم ابن رجب بالفقه في المعاني، وحسبكم مدح الرسول العدناني، فإنه خصكم بعلم الحكمة في المثاني، ومنكم شاعر الرسول ﷺ حسان، وملك العرب النعمان، وخطيب الدنيا سحبان، ومنكم سيف بن ذي يزن في غمدان، أما سمعت الشاعر حيث يقول:

ألا لا أحب السَّيرَ إلا مُصاعداً

ولا البرقَ إلا أن يكونَ يمانياً

فمَيَّزَ برقكم عن كل برق لأنه صدق، يأتي بالغيث والودق.

[مقامات القرني: ٤٨٠-٤٨١]

مرحباً... دمشق

يا دمشق ماذا تكتب الأقلام، وكيف يرتّب الكلام، وماذا نقول في البداية

والختام؟

في دمشق الذكريات العلمية، والوقفات الإسلامية، والمآثر الأموية. وفيها يرقد ابن تيمية، وابن قيم الجوزية. وفي دمشق حلقات الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية. يحقّ لحسان أن ينوح على تلك الأوطان، ويسكب عليها الأشجان.

للهِ دُرُ عِصَابَةٍ نَادَمَتْهُمْ
يَوْمًا بَجَلَقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أبناءُ جَفَنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ
قَبْرَ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُضِلِّ

تذكرك دمشق بمعاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وبني غسان، والشعر والبيان، والمجالس الحسان. دمشق سماء زرقاء، وروضة خضراء، وقصيدة عصماء، وظل وماء، وعلوّ وسناء، وهمّة شماء. ما أبقى لنا الشوق بقيّة، لما سمعنا تلك القصيدة الشوقية، في الروابي الدمشقية.

[مقامات القرن: ٤٩٩ - ٥٠٠]

آه.... يا دمشق

آه يا دمشق كم في ثراك من عابد، كم في جوفك من زاهد، كم في بطنك من مجاهد، كم في حشاك من ساجد. أنت يا دمشق سفر خلود، وبيت جود، منك تهبّ الجنود، وتحمل البنود. يُصنَع على ثراك الأحرار، ويُسحَق على ترابك الاستعمار، ويحبك يا دمشق الأخيار. فأنت نعم الدار. تُقَطع إليك من القلوب التذاكر، من زارك عاد وهو شاكر، ولأيامك ذاكر، يكفيك تاريخ ابن عساكر، صانك الله من كل كافر.

أَلْقَيْتُ فَوْقَ ثَرَاكِ الطَّاهِرِ الْهُدْبَا
 فَيَا دِمِشْقُ لِمَاذَا نَكْثَرُ الْعَتَبَا؟
 دِمِشْقُ يَا كَنْزَ أَحْلَامِي وَمَرْوَحَتِي
 أَشْكُو الْعُرُوبَةَ أَمْ أَشْكُو لَكَ الْعَرَبَا
 أَدَمْتَ سَيَاطُ حُزَيْرَانَ ظُهُورَهُمْ
 فَأَدَمْنُوها وَبَاسُوا كَفَّ مَنْ ضَرَبَا
 وَطَالَعُوا كُتُبَ التَّارِيخِ وَاقْتَنَعُوا
 مَتَى الْبِنَادِقُ كَانَتْ تَسْكُنُ الْكُتُبَا؟

في دمشق روضة العلماء، وزهد الأولياء، وسحر الشعراء، وحكمة أبي
 الدرداء، وجفان الكرماء.

[مقامات القرني: ٥٠٣]

في دمشق فنون وشجون

دخل دمشق الصحابة، كأنهم وبل سحابة، أو أسد غابة، فلقيتهم
 بالأحضان، وفرشت لهم الأجفان، فعاشوا على روايبها كالتيجان. في دمشق
 فنون وشجون، وعيون ومتون، وسهول وحزون، وتين وزيتون. دمشق جديدة كل
 يوم، وهي حسناء في أعين القوم، وقد بكى من فراقها ملك الروم. إذا دخلت
 دمشق تتمايل أمامك السنابل، وتتراقص في ناظريك الخمائل. وتصفق
 لقدومك الجداول، وترحب بطلعتك القبائل. دمشق أعيادها يومية، وأعلامها
 أموية، وأطيافها سماوية، وبسيوف أهلها محمية.

دمشق في الحُسْن مُفرطة، وبجواهر الجمال مقرّطة، وفي الطقس
متوسطة، وجماع جمالها في الغوطة.

[مقامات القرني: ٥٠٣]

أهل العزة

فلسطين غاب سلاطينها، فأفلسَ طينها، لا يطرد الغزاة من غزّة إلا أهل
العزّة، أطفال حيفا حُفاة، واليهود جُفاة، فهل من يلبي النداء، يقدم روحه
فداء، يا من أراد الجنة، لا تتبع ما أنفقت بالأذى والمنّة، وماذا عليك لو قتلتك
اليهود فأنت شهيد، البيع قد جرى، والله اشترى، فاهبط سوق القتال، وقل
هيا إلى النّزال ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ
اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا ببيعكم الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

لا تُهَيِّءْ كَفَنِي مَا مِتُّ بَعْدُ

لَمْ يَزَلْ فِي أَضْلَعِي بَرْقُ وَرَعْدُ

أَنَا تَارِيخِي أَلَا تَعْرِفُهُ

خَالِدٌ يَنْبِضُ فِي قَلْبِي وَسَعْدُ

[مقامات القرني: ٥٢١-٥٢٢]

صرخات

فلسطين في قلوب المسلمين، تُناديهم من سنين، وليس فيهم من قال: لبيك
جئنا فاتحين، لكننا تعبنا من محبة أهل الإرجاء، تمدح وادعاء، وفلسطين
تصرخ صباح مساء.

إذا لم تكن هنا حَمِيَّةً إسلاميَّة، فأين النخوة العربية؟

لو سمع عمر صرخة طفل مجهود، أبوه مفقود، وأخوه في القيود، لجندَّ
الجنود ولدَّاسَ اليهود. لو طرقت سمع المعتصم وأمامه، لضاقت عليه أرضه
وسمَّاه، ولَقَادَ الكماة، ولأخرج فلسطين من زناينة الطغاة البُغاة.

فلسطين تنادي حطَّين: هل عندك من صلاح الدين؟ فإنَّ يا أختاه في
الحبس مرتين، ولنا أنين.

رفيقُ صلاح الدين هل لك عَوْدَةٌ

فإنَّ جُيُوشَ البَغْيِ تَنْهَى وتَأْمُرُ

رفاقك في الأغوار شَدُّوا سُرُوجَهُمْ

وَجَيْشُكَ فِي حِطِّينَ صَلُّوا وكَبَّرُوا

خمسون عاماً، ونحن نرى أيتاماً، ونشاهد أيامي، ونُبْصِرُ آلاماً، ثم
نتعamy، ولا يحركُ فينا هذا كله إبهاماً.

من أراد أن يُطلق القدس من الأسر وأن يفكَّه، فليأخذ دستورَه من مكَّة،
القدس إسلامية ما ترطن، ولا تنتظر النصر من واشنطن.

يحررُّ الأرض، ويحمي العِرضَ، من أدَّى الفرض، وخاف يوم العِرض.

بغداد التاريخ كله

بغداد مهرجان أدبي كبير، لكل أديب تحرير، فيها شعر ونثر، وحصباء ودرّ، وصديق وزنديق، وحرّ ورقيق، وموحّد ومُلحد، وحانوت ومسجد، وبارة ومعبّد، ومقبرة ومشهد، جدّ وهزل، وحبّ وغزل، كأن التاريخ كله في بغداد اجتمع، وكأن الدهر لصوتها يستمع. وكأن ضوء الشمس من بغداد يرتفع.

[مقامات القرني: ٥١١]

صباح الخير يا مصر

صباح الخير يا أرض الكنانة، وناصرّة الديانة، وحاملة التاريخ بأمانة، وحافظّة عهد الإسلام في صيانة، ورعاية الجمال في رزانة. أدب خلّاب، وجمال سلاب، وسحر جذّاب، وذكاء وثّاب، وظلّ مُستطاب، وأمان عذاب، نهر يتدفق، وحُسن يترقّق، ودموع تترقرق، وزهور تتفتّق، وأكمام تتشقّق، ومقاصد تتحقّق، وجد الإسلام فيكم يا أهل مصر أعياده، كنتم يوم الفتوح أجناده، وكنتم مدده عام الرمادة، وأحرقتم العدوان الثلاثي وأسياده، وحطّمت خط بارليف وعتاده، وكنتم يوم العبور آساده وقوّاده. فتفضلوا الشكر والإشادة وخذوا من القلب حبّه ووداده.

ثَمَنُ الْمَجِيدِ دَمٌ جُودَنَا بِهِ
فَاسْأَلُوا كَيْفَ دَفَعْنَا الثَّمَنَ

[مقامات القرني: ٤٩٦-٤٩٧]

هنا ... هنا ... مصر

هنا الدهر يكتب من ذكرياته فنوناً، هنا التاريخ يبث من صدره شجوناً،
هنا الجمال يسكب من إنائه فُتُوناً، هنا خطا الزمان تتسارع، والحضارات
تتصارع، والأهرام تقصّ علينا خبر الأيام، وأحاديث الأقوام، وما فعلته الأعوام.

أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ
مَا يَوْمُهُ مَا ذِكْرُهُ مَا الْمَصْرُ

تَخَلَّفَ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا
يَوْمًا وَيُذِرُكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتَبَعُ

هنا سحق الطغيان، ومزّق جنود الشيطان، ودمر فرعون وهامان، وأحرقت
وثيقة الزور والبُهتان، وارتفعت ملة الرحمن.

[مقامات القرني: ٤٩٥-٤٩٦]

الأندلس

هنا تركنا أكبادنا ودفنّا أولادنا، وقبرنا أجدادنا، هنا دموعنا سفحت، ودمارنا
سُفِكَت، هنا مرابع سمرنا، وديار شمسنا وقمرنا. هنا طرحنا نفوس الأبطال
الأشداء، في بلاط الشهداء، هن أرواحنا خفاقة، على قتلى معركة الزلاقة.

ما كنّا نظن أننا إلى هذا الحال نصير، بعد أمجاد موسى بن نصير. اسألوا
الجبّال والوهاد، اسألوا كل ناد، واستنطقوا كل واد، عن كتائب طارق بن زياد.

أَعِنْدَكُمْ خَبْرٌ عَنْ أَهْلِ أُنْدُلُسٍ
فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ
تِلْكَ الْفَجِيعَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا
وَمَا لَهَا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ صِنَوَانُ
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ
إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

[مقامات القرنى: ٥٢٧]

لعنات

لو علمت ما صنع الأمريكان، لاهتزّت منك الأركان، فهي أم إسرائيل، وبيت كل داء وبيل، يستعيز منها أبرهة صاحب الفيل، ناصرت اليهود، ولم تعترف بالحدود، وما ردعتها القيود، أمريكا أفتك من هتلر وتيتو، خدعت العالم بالفيتو، من أطاعها فهو خادم مهين، ومن عصاها فهو شيطان لعين، تنظر إلى الأيتام وهم يُنقلون، وتشاهد اللاجئين وهم يُقتلون، ولا تُسأل عما تفعل ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، غيرها من خيرها محروم، وهي ظالم في ثوب مظلوم، تريد أن تكون المنتصرة والعالم مهزوم، لكن لها يوم.

لَيْتَ الْبَرَائِكِينَ فِي أَرْجَائِهَا رَقَصَتْ
وَالرَّعْدُ يَا لَيْتَهُ فِي أَرْضِهَا خَطَبَا
وَلَيْتَ أَنَّ صَدَى الزَّلْزَالِ زَعَزَعَهَا
حَتَّى تَصِيرَ عَلَى أَطْلَالِهَا لَهَبَا

الله يمزق سداها، وينصر عليها عداها، ويقصر مداها، ويظهر رداها،
الله يخليها من سكانها، ويقتلعها من مكانها، ويزلزلها من أركانها، فهي
أم الكبائر، وجالبة الخسائر، أدعو عليها في السجود، عسى أن يلحقها
بعادٍ وثمود.

[مقامات القرني: ٥٤٣]

يا مجلس الخوف

يا شجر الغرقد، جاء الموعد، ليعود المسجد، تحمي القروء، وتخبئ اليهود
من الأسود، كل الشجر بوادينا، ينادينا، إلا أنت تعاديننا .
خمسون عاماً مؤتمرات أو مؤامرات، ومشاورات أو مشاجرات، ومناورات
أو مهاترات.

شَجْباً وَنُكْراً وَتَنْدِيداً بِيْغَارَتِهَا
لِلّهِ كَمْ نَدَدُوا يَوْماً وَكَمْ شَجَبُوا؟
مَاذَا فَعَلْنَا؟ غَضِبْنَا كَالرُّجَالِ وَلَمْ
نَصْدُقْ وَقَدْ صَدَقَ التَّنْجِيمُ وَالْخُطْبُ

الكل يطوف، بمجلس الخوف، ونحن وقوف في صفوف، ننتظر ماذا يقول
بوش وغورباتشوف.

خمسون عاماً ما أخبرتنا هيئة الأمم، بمن ظلم، وهدم الحرم، وخان في
القسم.

يا معشر العرب: مَنْ أصابته مصيبة، فلم يأخذ الحلَّ من طيبة، عاد بالخبية، وكان الفشل نصيبه. فلسطين لا تعود بالكلام، ولا بحفلات السلام، ولكنها تعود بالحُسام، وبضرب الهام، وتمريغ الباطل بالرَّغام.

سَيَصْغِي لَهَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ نَاصِرٌ
وَلِلَّهِ أَوْسٌ آخِرُونَ وَخَزَجٌ

فلسطين إسلامية النسب، وليست عربيَّة فحسب، ولذلك كان صلاح الدين فاتح القدس من الأكراد، والسلطان عبدالحميد ناصر فلسطين من الأتراك الأجواد، وبعض العرب أيام الصليبيين باعوها في سوق المزاد:

بِعَهَا فَأَنْتَ لِمَا سَوَّاهَا أَبِيعُ
لَكَ إِثْمُهَا وَلَهَا الْمَكَانُ الْأَرْفَعُ

لا تعود فلسطين عن طريق المُلحدِين، ولا عن طريق المفسدين، وإنما تعود تحت رايات المُوحِّدين.

[مقامات القرني: ٥٢٠-٥٢١]

نداء... نداء

يا أيُّها المسلمون: اصرفوا إسرائيل ولو كانت ممنوعة من الصرف لأنَّ للضرورة أحكاماً في اللغة والعُرف، لا تخدعك الأسماء وتتسى الأفعال، فنصير الدين الطوسي صار عدوَّ الدين المجوسي؛ لأنَّه كسر رؤوس المسلمين بالسيوف الجازمة، وأفتى هولاءُ تلك الفتاوى الآثمة.

اشتغلنا بالفعل الماضي عن الفعل المضارع والأمر، فكلامنا:

انتصرنا فيما مضى، وهذا ذهب وانقضى، وفتح أجدادنا البلاد، وأين
فَتَحْنَا يا أحفاد؟ أسلافنا مبتدأ لكن أين الخبر؟ ليتمّ الكلام المعتبر:

وَالْخَبَرُ الْجُزْءُ الْمُتِمُّ الْفَائِدَةُ

كَاللَّهِ بَرُّ وَالْأَيَادِي شَاهِدَةٌ

[مقامات القرني: ٣٦٩]

النشرة الجوية

إليكم حالة الطقس اليوم وغداً وأمس. القلب مُلبّد بالغيوم، من كثرة
الهموم، وتراكم سُحُب الغموم، رياح الذنوب تثير الأتربة، على من له في
الخطايا تجربة، موعد شروق شمس التوحيد، عند عودة العبيد، إلى الوليِّ
الحميد، يتوقّع نزول الأمطار، وذهاب الأخطار، عند الإكثار من الاستغفار،
يخشى من نزول صواعق، على كل كافر وخائن ومارق.

[مقامات القرني: ٣٥١]

يا مجلس الأمن

يا مجلس الأمن حَفِظْ أَعْضَاءَكَ آيَةَ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ لينقلوها لشعوبهم التي عطّلت القرآن وصدّت

عنه وهجرته فذاقت لباس الجوع والخوف والبأساء والموت ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ .

[مقامات القرنى: ١٠١]

السجن

السجن بيت الوحدة، وأخو القبر من الرضاع، شماتة للحاسد، ومناحة
للصديق، يطوى العمر فيه طي السجل للكتب، تقف فيه عقارب الساعة فكأن
اليوم شهر، والشهر سنة، وكأن الشمس شدت بيد، بل في السجن يركد
الخطر ركود حائطي السجن، وتذوب النفس، وتلين العريكة وتتقطع الآمال.
في الحبس تُذاق حياة البرزخ، كل شيء قديم، لا جديد إلا وجه السجان إذا
استلم نوبته، ولا أخبار إلا رؤى المنام، ولا براهين إلا أمانى وإن هم إلا يظنون،
يقول أحد المسجونين:

إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة

فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا

إذا ما تحدثنا الحديث عن الرؤيا

السجن يستحث الشيب ويجلب الهرم، ويساوم على النفس في سوق
الموت، السجن لا حي فيدعى، ولا ميت فينعى، ولا مريض فيعاد، ولا صحيح
فيزار.

[مقامات القرنى: ٣٢٨]

أغلى مفقود

الماء أغلى مفقود، وأرخص موجود، الحياة لا تقبل إلا بماء، والعيش لا يصح إلا بماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ مع الماء الخضرة والندى، والظل والرواء، والظل والحياة.

[مقامات القرنين: ١٦٨]

«عائض» والسير

ينسى نفسه إذا عاد بقلمه إلى ذلكم الجيل،
ويتحدث وكأنه بينهم، وشاهدٌ لما شاهدوا، وحاضرٌ لما
حضروا..

إن بيانه حين يتحدث عنهم جذاب، وإن لسانه حين
يذكرهم خلّابٌ..

يفوص... يفوص في بطون الكتب فيمحص
وينتقي..

ويكتب، ويستصفي؛ ثم ترى العجب العجائب..
والشهد المذاب..

يعود بك إلى قرونٍ مفضلة، فكأنك تتظر إليهم
عبر زجاجة شفافةٍ غليظة.. ترصد تحركاتهم، وتسمع
تحاورهم..



ثم لا يتركك هملاً بلا دروس ولا عبر ولا فوائد، بل
يوقفك كثيراً من الأحيان على ألطف اللطائف، وأشرف
المواقف، وأحسن الفوائد، وأكملها، ثم يربط بينها وبين ما
نحن فيه من خمول وأفول.. حاثاً لي ولك، ولكل مسلم
ومسلمة على اقتفاء طريقهم، والنظر في علامات نجاحهم
وفلاحهم.

ويتلاعب بعواطفك، وأنت تقرأ أخبارهم فلا تتمالك
عبرتك، ولا يرقى لك دمع..



من فوائد كتب السير

من يقرأ كتب سير الناس وتراجم الرجال يستفد منها مسائل مطَّردة ثابتة، منها:

١- أن قيمة الإنسان ما يُحسن، وهي كلمة لعلي بن أبي طالب، ومعناها: أن علم الإنسان أو أدبه أو عبادته أو كرمه أو خلقه هي في الحقيقة قيمته، وليست صورته أو هندامه ومنصبه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ . ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

٢- بقدر همّة الإنسان واهتمامه وبذله وتضحيته تكون مكانته، ولا يعطى له المجد جزافاً.

لا تحسب المجد تمرّاً أنت آكله...

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ . ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾.

٣- أن الإنسان هو الذي يصنع تاريخه بنفسه بإذن الله، وهو الذي يكتب سيرته بأفعاله الجميلة أو القبيحة: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾.

٤- وأن عمر العبد قصير ينصرم سريعاً، ويذهب عاجلاً، فلا يقصره بالذنوب والهموم والغموم والأحزان: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ . ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾ .

كفى حزنًا أن الحياة مريرة ولا عمل يُرضى به الله صالح

[لا تحزن: ٢٠٣-٢٠٤]

سير أعلام النبلاء

باستقراء هذا الكتاب تجد حقيقتين مهمتين:

الأولى: أن من تعلّق بغير الله من مال أو ولد أو منصب أو حرفة، وكله الله إلى هذا الشيء، وكان سبب شقائه وعذابه ومحقه وسحقه: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصَدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾. فرعون والمنّصب، قارون والمال، وأمّية بن خلف والتجارة، والوليد والولد: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

أبو جهل والجاه، أبو لهب والنسب، أبو مسلم والسلطة، المتنبئ والشهرة، والحجاج والعلو في الأرض، ابن الفرات والوزارة.

الثانية: أن من اعتزّ بالله وعمل له وتقرّب منه، أعزّه ورفعته وشرفه بلا نسب ولا منصب ولا أهل ولا مال ولا عشيرة: بلال والأذان، سلمان والآخرة، صهيب والتضحية، عطاء والعلم، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾.

[لا تحزن: ٢٠٦-٢٠٧]

رب ضارة نافعة

ألّف ابن الأثير كتبه الرائعة، ك: «جامع الأصول»، و«النهاية»، بسبب أنه مقعد.

وألّف السرخسي كتابه الشهير «المبسوط» خمسة عشر مجلداً، لأنه محبوس في الجُب!

وكتب ابن القيم «زاد المعاد» وهو مسافر!

وشرح القرطبي «صحيح مسلم» وهو على ظهر السفينة!
 وجُلُّ فتاوى ابن تيمية كتبها وهو محبوس!
 وجمع المحدثون مئات الآلاف من الأحاديث لأنهم فقراء غريباء.
 وأخبرني أحد الصالحين أنه سُجِنَ فحفظ في سجنه القرآن كله، وقرأ
 أربعين مجلداً!
 وأملى أبو العلاء المعري دواوينه وكتبه وهو أعمى!

[لا تحزن: ١٨١]

المجد الخالد

ذهبت الدنيا وأهلها وبقي العالم وأهله، انظر إلى شيخ الإسلام ابن تيمية
 وراثته الخالد الذي هو أنفع للناس من تراث دولة بني أمية وبني العباس
 والدول التركية، كلامه يقرأ في كل بيت، فتاواه حية في مجالس العلماء، كتبه
 تزين المكتبات حتى في عصر الإنترنت يدخل اسمه من أوسع الأبواب، ومثله
 كثير من الإسلام، فالمجد الخالد إنما هو في اتباع الكتاب والسنة والتفقه في
 الدين، أما الحطام والكسور والدور فهي لهو زائل وعرض مضمحل، فاجتهد
 في تعلم العلم النافع واسأل أهله واجلس معهم وطالع كتبهم فإن من أحب
 القوم حشر معهم، وانظر إلى مجد أحمد بن حنبل ومكانته في قلوب الأمة
 جيلاً بعد جيل، وقارنه بملوك عصره المعصم والواثق والمتوكل تجد البون
 الشاسع، مع العلم أن أحمد بن حنبل عاش فقيراً في بيت من طين لا يملك إلا
 قوت يومه، وهؤلاء الملوك كانت جيوشهم تسد الأفق، عندهم خدم لكن ذهب
 ذاك كله أدراج الرياح.

[لا تحزن: ٩٠-٩١]

ما شيء ... إلا بشيء

لن يصل عامل إلى مطلوبه حتى يتعب ويجد ويجتهد؛ لأنه سنة كونية ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ الطائر لا يحصل على قوته إلا بالبحث والكد والتعب، والسمكة تذهب وتجيء حتى تحصل على قوتها، والدودة في الطين تتحرك وتتقلب حتى تصل إلى ما يغذيها، والنحلة تطير من زهرة إلى زهرة لتحصل على غذائها، فلا بد لمن أراد نجاحاً في الحياة أن يستهين بالصعاب في سبيل مقصوده، وأن يصبر على الكدح حتى يصل إلى مطلوبه، وكثير ممن نجحوا في حياتهم لم يأتهم هذا النجاح مجاناً ولم يصل إليه جزافاً فهم لم يعتمدوا على مجد سابق منتسب أو ملك أو جاه عريض، بل شقوا طريقهم متوكلين على الله وقد كانوا موالي فقراء وغرباء وعجماء، ولكن الفذ في همته وطموحه وجلده وصبره أدرك هذا النجاح العظيم في الدنيا والآخرة، لأنه ثابر وجالد وكافح بلا نسب يذكر أو جاه أو مال؛ أو عشيرة، بينما أخفق أبو جهل وأبو لهب وأميه بن خلف مع ما عندهم من جاه ونسب ومال لأنهم أخلدوا إلى الأرض عبدوا الهوى ورضوا بالدون وباعوا حياتهم بثمن بخس، وهذا عطاء بن أبي رباح من أكبر علماء التابعين عبد أسود أشل أفضس، صبر ثلاثين سنة وهو ينام في المسجد الحرام حتى طلب العلم وحفظ القرآن وألم بالفقه وأصبح مفتي الدنيا في عصره، وهذا الإمام البخاري صاحب الصحيح طلب الحديث ليلاً ونهاراً وطاف البلدان وأظلم نهاره وأسهر ليله وأجاع بطنه وأتعب جسمه حتى صار محدث الدنيا وأستاذ المحدثين بلا منازع.

وسيبيويه إمام النحو ومؤلف الكتاب الذي حار فيه العلماء وغرقت في بحره أفكار الجهابذة، هذا الرجل شق طريقه بنفسه فهو أعجمي ليس له أسرة مشهورة ولا مال وفير ولا منصب خطير وإنما جد واجتهد وجاب البوادي وقطع الفيافي حتى فاق أقرانه وأصبح نجم زمانه.

فمن أراد النجاح فليعلم أن عليه واجب المصابرة على ثغور المجد لينال الفوز والظفر. أما الكسالى الذين آثروا الراحة وأعطوا النفس هواها فليس لهم نصيب في النجاح.

[لا تحزن: ٧١]

أما نحن

أم نحن فتهافت على الشهرة وحب للتصدر وبحث عن عيوب الآخرين ونسيان لعيوبنا وارتياح لمن مدحنا وبغض لمن نصحنا؛ لأن نيتنا مشوبة وأخلاصنا نادر وعبادتنا ضحلة - إلا من رحم ربي -، وكان السلف يفرون من المناصب فراراً، ويرغمون على تولي القضاء فيهربون، ونحن نأتي المنصب عمداً ونلهث وراء القضاء ونتمزق حتى نحصل على وظيفة، ويهنئ بعضنا بعضاً إذا أسند إليه عمل دنيوي؛ لأن السلف عرفوا وأنكرنا وصفت سرائرهم وخلصنا وعرفوا الطريق والتبس علينا الأمر.

[هكنا حدثنا الزمان: ١٠١]

العلماء والسلطان

علماء السنة لا يخالطون السلطان مخالطة من أحب الدنيا ورضي بها وتعلق بالجاء وأراد قرب السلطان لمنافعه الذاتية كما فعل علماء المبتدعة كبشر المريسي ومحمد بن الجهم وأحمد بن أبي دؤاد وغيرهم، ولا يناهزون السلطان المسلم العداء ويؤلبون عليه ويدعون للخروج عليه كما فعلت الخوارج،

وتفصيل ذلك أن مخالطة السلطان من حيث هي لذاتها لا تحب ولا تحبذ لما فيها من الخطورة وتعريض الدين للنقص، ما يتبع ذلك من سكوت عن منكر ومتابعة على مخالفة.

ولذلك يُروى في الحديث: «من دخل على السلطان افتن» وحذر السلف من مغبة الاختلاط بالسلطان؛ لأنها لا تؤمن غوائل ذلك على النفس والدين، بل ذكر ابن الجوزي في صيد الخاطر أن من العلماء من داخل السلطان حتى ذهب عنه نور العلم وأصبح كالشرطة، وذكر أهل الجرح والتعديل في رجل أنه كان يدخل على السلطان كالجرح له. ولا تجد عالماً سنياً إماماً يُقتدى به مثل مالك وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وابن المسيب والحسن البصري، فقد خالط السلطان وصار من خاصته وجالسه، بل هؤلاء كانوا يفرون من ذلك وبرفضون المنصب ويجبرهم السلطان على تولي القضاء فيأبون أشد الإباء حتى ضُرب بعضهم في ذلك.

[هكذا حدثنا الزمان: ٣٢ - ٣٣]

العلم شغلٌ شاغلٌ... لشيخ الإسلام

مما زاد محبتنا لهذا الإمام أنه نشر علمه نشرًا لم يُسمع بمثله، نشره بعمله، فكان كل من يقرأ سيرته ويعايشه ويعرفه تمام المعرفة يتأثر بسيرته وأخلاقه وأوصافه، - وهذا نوع من أنواع نشر العلم -، وكان يتكلم في مجالسه كلها عن العلم النافع المفيد، فلم يشغل بقضية غير العلم، وليس له حديث في أمور الناس، ولا في أسعارهم أو أخبارهم، ولا فيما يتحدثون عنه، ولا في

نكاتهم أو مزاحهم، ولا في أخبار سفرهم وإقامتهم، ولا في صنوف معاشهم، إنما همه وشغله وقضيته نشر العلم النافع المفيد .

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ٦٩]

النهر المتدفق .. أحمد بن عبدالحليم

إذا كتب استطراد لجودة محفوظه وكثرة علومه وتعدد معارفه وتنوع تحصيله العلمي، مع ذاكرة جبارة هادرة غنية ثرية تثري الموضوع وتكفي وتشفي، فيطول نفسه ويسيل قلمه ويدخل من باب إلى باب، ومن علم إلى علم، ومن فن إلى فن، فلا يزيد إلا إشراقاً، ولا يزيد إلا لموعاً، ولا يزيد إلا عظمة وفخامة وجلالة؛ وسبب ذلك ما آتاه الله عز وجل من استعداد فطري للعلم، ومن قوة حافظته، ومن غزارة مادته، ومن صبر وجلد .

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ٥٨]

ابن تيمية

وفي التأليف، فهو من العلماء الثلاثة الذين بلغوا الغاية في التأليف، وهم ابن الجوزي والسيوطي بالإضافة إليه، وقد كان أكثرهم تحقيقاً وتنقيحاً ورسوخاً وعمقاً ونفعاً وأثراً في الأمة .

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ٢٣]

ألمعيته

من تلظي لموعه كاد يعمى

كاد من شهرة اسمه لا يُسمى!

الألمعية هبة يهبها الله من يشاء، وابن تيمية له القدح المعلن في هذا الباب، فإذا كانت الألمعية هي سرعة الخاطر، وجودة الذهن، فإن ابن تيمية الأول في هذا الباب عند أهل العلم؛ فقد كان يفهم المسألة بقوة وجدارة، وكان يعي ما يقرأ، وكان ينتزع الفائدة ويستنبط من النص استنباطاً عجيباً، وكان إذا حاور يفهم كلام محاوره ويرد عليه في سرعة البرق، وكان إذا كتب يسبق خاطره قلمه - كما يقول عنه مترجموه -.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ١٩]

أوقات مباركة

نقل المؤرخون وأهل السير أن ابن تيمية كان منشغلاً في كل أوقاته بتحصيل العلم ما بين قراءة وتكرار وحفظ ومذاكرة واستنباط وكتابة وتأليف وتعليق.

[إطلالة على ساحل ابن تيمية: ١٦]

منزلته

إن ابن تيمية بلغ من الحظوة والرفعة وسمو المنزلة إلى درجة أنه استغنى عن لقب الشيخ، والعالم، والإمام، والمجدد، وصار أحسن أسمائه أنه: ابن تيمية!

عاشت بعض الدول خمسة قرون، ثم اندرست وذهبت فلا أثر ولا عين، ولكن هذا الجهد الأعجوبة بقي في ذاكرة الزمان، وقلب الدهر، قصةً فريدةً محفوظةً للأجيال ترددها الألسن، وتترنم بها الشفاه. عاش سلاطين، ووزراء، وأغنياء، وشعراء، ثم ماتوا، فماتت معهم آثارهم، وعاش ابن تيمية بلا إمارة ولا وزارة ولا تجارة، لكن بقي معنا ومع الأجيال من بعدنا حياً في الضمائر، ماثلاً في النفوس، حاضراً في الدروس والمنتديات العلمية، ومجامع المعرفة، وصور الثقافة.

كلما سلطنا سبل العلم، وضربنا في فجاج الفنون، تلقانا ابن تيمية، فهو إمام في التفسير، حجة في الحديث، منظر في المعتقد، مجدد في الملة، مجتهد في الفقه، موسوعة في العلوم، بحر في السير والأخبار، آية في الذكاء، أستاذ في العبقرية، وسامحني - أيها القارئ الكريم - إن قلت إنه أصبح أشهر من الدولة التي عاش في عهدها! ولا نشكوا تقصيراً في حبه - رحمه الله -، لكننا نستغفر الله إن غلونا في التعلق به، كيف ننسى أياديه البيضاء، وكلما قلبنا سفرأ فإذا هو بين صفحاته بعلمه وحكمته وفقهه واستنباطه، وكلما حضرنا حواراً فإذا اسمه تتقاذفه الألسن، ويتقاسمه المتحاورون، كل فريق يقول: أنا أولى به!.. كيف لا نعيش معه وقد فرض علينا احترامه، وأمتعنا بحضوره، وأنسنا بذكره الطيب؟ كيف لا نحب من أحب الله ورسوله ﷺ؟ كيف لا نتولى من تولى ربه؟ كيف لا نقدّر من قدر الشرع؟ كيف لا نجل من أجل الوحي؟.

[إطالة على ساحل ابن تيمية: ٩-١٠-١١]

بطاقتنا

أليس منّا الصديق وعثمان، وعمر وثوبان، وعليّ وسلمان، وبلال وحسان،
منّا خالد المقدام، والقعقاع الصمصام، ومنّا همام وأبو تمام، ومنّا أويس،
والأحنف بن قيس، وأسماء بنت عميس.

أما صفق لقدومنا الفرات والنيل، وهلل لطلعتنا مضيق الدردنيل، نحن
أساتذة الأكراد والتركمان، ومعلمو الإنجليز والألمان، أما اندهش من عبقريتنا
شارلمان، وبسماحة الصديق فتحنا الطريق، وبدره الفاروق أدبنا أهل العقوق،
بصدق أبي ذر قلنا الحق وهو مرّ، منّا الرشيد الذي تحدّى السحاب، وملك من
طنجة إلى البنجاب، ومنّا المعتصم الذي فتح عمورية، ونسخ الدولة الآشورية،
منّا السعدان، والسعيدان، والسفيانان، والحمّادان، ومنّا البخاري، وصاحب
فتح الباري، ومؤلف لامع الدراري، وشارح هدي الساري، بُعثنا للعالم مبشرين،
وخرجنا للناس مُيسرين، أذقنا العباد طعم الحرية، أعتقنا العالم من المنظّمات
السريّة، أذّنا في الحمراء، وصلّينا في الزهراء، ربطنا خيولنا على ضفاف
اللوّار - نهر في جنوب فرنسا -، وسجدنا في صحراء سنّجار، وتلّونا القرآن
على جبال قندهار، رفعنا الإيمان في الهند، ونشرنا المعرفة في السند، أسرنا
الجبابرة ثم أعتقناهم، وملكنا الأكاسرة ثم أطلقناهم، نكبر فتسقط القلاع،
نؤذّن فتهتزّ التّلاع، ونقرأ فتطرق الأسماع. لبسنا الثياب المرقّعة، والأحذية
المقطّعة، ففتحت لنا البلاد، ورحّب بنا العباد، ليلنا قيام، ونهارنا صيام، في
الدّجى رهبان، وفي الميدان فرسان، على المنابر سادة، وفي المعارك قادة،
ساوينا بين الأمراء، والحقراء، والكبراء، أنصفنا الشّاة من الذّئب، وعلمنا
الوحوش التهذيب.

نحن شמוש العلوم، ونجوم الفهوم، ربطنا على بطوننا الحجارة من الجوع،
وبلّنا مواطن السجود بالدموع، وكنا في صلاتنا كالسوّاري من الخشوع.

نتوضأ فتتناثر منّا الخطايا، نغنم فتسيل من أيادينا العطايا، نرتّل القرآن
فتقف على أصواتنا المطايا. نادى منادينا، على سنّة هادينا، يا أيتها النفوس
من الموت اشربي، ويا خيل الله اركبي، فجمّد الله لنا الماء، ظلّل علينا الغمام
في السماء.

منّا من اهتز لموته عرش الرحمن، ومنّا من كلّمه الله بلا ترجمان، ومنّا من
غسلته الملائكة يوم التقى الجمعان، لا نكذب ولو أنّ السيوف على الرؤوس، ولا
نسرق ولو أنّ الجوع يمزّق النفوس.

[مقامات القرني:]

أبو بكر والمدينة

المدينة تذّكر بكاء أبي بكر في الصلاة، وورعه وتقواه، لو وُضِعَ الصخر
على بساطه لكاد أن يذوب، ولو زجر الشيطان بنُصحه لأوشك أن يتوب. جمع
الفضائل كأنه يسوقها بعصاه، وحبّ له في القلوب فلو أشار للجيش هيّا إلى
الموت ما عصاه.

[مقامات القرني: ٤٤٤]

عمر والمدينة

والمدينة تذكرك الدولة العمرية، وتلك المناقب الأثرية، عدل صار في
العالم قصة، وتركَ في حلق كل جبار غصّة، وزُهد يقول فيه الزهد: لا
نستطيع معك صبراً، وورع يقول له القلب: لا نعصي لك أمراً، عمر بن
الخطاب، سلّ عنه الحِراب، بكاء فيه وتفجّع، ونحيب وتوجّع، وإذا بصاحب
هذه الدموع الآسرة، يهزّ بهيبته القياصرة والأكاسرة، يلبس بُردة مرقّعة،
وحذاء مقطّعة، ثم تخفق قلوب الملوك على وقع حذائه، وينام العدل على
طرف ردائه.

[مقامات القرنى: ٤٤٥]

ياليت

خرج الأعشى يتمشّى، بعد أن تعشّى، فتوجّه إلى المدينة ليعلن إسلامه،
فلقيّه أبو سفيان فخاف مقامه، وأعطاه خطامه، ليعود لليمامة، فعاد بجمله،
وأرعى زمامه، وأطلق خطامه، فأسقطه فكسّر عظامه، فباء بالخسران
والندامة.

[مقامات القرنى: ٤٥٤]

قبحاً للسياسة

أشار إليها الحسين فخطفت رأسه، ومازحها الحجاج فخلعت أضراسه، وداعبها أبو مسلم فأحرقت لباسه، وزارها مصعب بن الزبير فقتلته وحرّاسه، وأحبّها يزيد فقطعت أنفاسه، وصافحها المختار فمزّقت أحلامه، وأحبّها المهلب فاقتلعت أساسه، وعشقها المتوكل فسلبت عليه جُلاسه، وشربها القاهر فكسرت عليه كأسه، وعانقها ابن الزيات فأحرقت قرطاسه، وجالسها ابن المقفع فأخمدت أنفاسه، كم من ذكي ضيّعت مراسه، وكم من غبي أخرجت وسواسه، السياسة بالنفاق نجاسة، وبالغباء تياسة، وبالغدر تعاسة، وبالجور خساسة، وبالظلم شراسة، اجتنبها أهل الكياسة، ومات في حبّها أهل الرياسة، بذلوا في حبّها الدين والحماسة، وما حصلوا إلا على التعاسة، تقاتلوا عليها حسداً ونفاسة، قُتل البرامكة لأجلها بحجة عباسة، فأصبحوا بعد الملك خيراً في كرّاسة، وبعد الوزارة دفترأ على ماسة، هي الوسواسة الخناسة، تذهب بالنجاسة والكياسة، وكم من شجاع أذهبت بأسه، وعقرت أفراسه، أهلها يُسمّون ساسة، كلُّ منهم قد حمل على أخيه فأسه.

سعيد النورسي، بالسياسة نسي. لينين وإستالين، قتلوا بالسياسة الملايين، فكُتّبوا في تاريخ الملاعين، هولاءكو الغازي، وهتلر النازي، قتلوا باسم السياسة الإنسانية، فأصبحوا في الخانة المنسيّة.

وكل ما سبق حديثٌ عن السياسة الفاجرة الكافرة، الساحرة الساهرة. وهي السياسة البدعيّة، القائمة على ظلم الرعيّة، وإهدار الحقوق المرعيّة، من رأسمالية، وبعثية، ونازية، وشيوعية، وصان الله من ذلك السياسة الشرعية، لأن السياسة الشرعية رحمة بالبشر، واتّباع للأثر، ومحاربة من كفر، وردع من فجر، وهي التي على دستور عمر. إمام السياسة الشرعية الرسول، أعدل

العدول، وأفقه الناس في المنقول والمعقول، وصاحبه الصديق، بالأمة رفيق، له عهد مع العدل وثيق، وقلب من التقى رقيق، وتلميذه عمر الذي كان وهو خليفة يئنّ من الجوع، ويلبس المرقوع، وتغلبه الدموع، أولئك هم الناس، وبهم يُضرب القياس، ويحلّ الأمن ويدفع البأس. وليس لمن خالفهم إلا الإفلاس، والابتئاس.

[مقامات القرنين: ٤٢٨-٤٢٩-٤٣٠]

ضريبة المجد

عَمِيَ بعض المحدثين من كثرة الرواية، فما كلّ ولا ملّ حتى بلغ النهاية، مشى أحمد بن حنبل من بغداد إلى صنعاء، وأنت تفتّر في حفظ دعاء. سافر أحدهم إلى مصر، غدوه شهر، ورّواحه شهر، في طلب حديث واحد، ليدرك به المجد الخالد. لولا المحنة، ما دُعِيَ أحمد إمام السُّنّة، وصل بالجلد إلى المجد. ووُضع ابن تيمية في الزنزانة، فبزّ بالعلم زمانه. واعلم أن الماء الراكد فاسد، لأنه لم يسافر ولم يجاهد، ولمّا جرى الماء، صار مطلّب الأحياء، بقيت على سطح البحر الجيفة؛ لأنها خفيفة، وسافر الدرّ إلى قاع البحر، فوضع من التكريم على النحر.

فَكُنْ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَى

وَهَامَةٌ هِمَّتِهِ فِي الثَّرِيَا

يا كثير الرّقاد، أما لنومك نَفَاد، سوف تدفع الثمن، يا من غلبه الوسن، تظنّ الحياة جلسة وكبسة، ولبسةً وخلسة، بل الحياة شرعة ودمعة، وركعة ومحاربة بدعة.

الله أمرنا بالعمل لينظر عملنا، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا﴾،
فالحياة عقيدة وجهاد، وصبر وجلاد، ونضال وكفاح، وبر وفلاح، لا مكان في
الحياة للأكل الكسول، ولا مقعد في حافلة الدنيا للمخدول.

[مقامات القرنى: ٣٦٩-٣٩٧]

العلماء

زَيَّنَ الله بهم الأمة بين الأمم، كما زَيَّنَ السماء بالنجوم في الظُّلَم، فهم
كتيبة الديانة، وحملة الأمانة، حُرَّاس المنهاج، وفرسان الحجاج، وهم حُفَاط
النصوص الشرعية، ومُحَارِبُو الطرق البدعية، كلما تسلَّق إلى سماء الشرع
كاذب، أحرَّقوه بشهاب ثاقب، وصَبَّوْا عليه العذاب الواصب، فتوى في صحيفة،
أقوى من قذيفة، ومسألة بدليل، أفضل من مال جزيل، بفتوى الفقهاء تُحَقَّن
الدماء، ويفصل بين الناس في القضاء، وتُقَام الحدود، وتُفَضَّل الشروط والقيود
ينفذ أحكامهم الأمراء، ويحترم كلامهم الوزراء، ويقوم بفتاوتهم البيوع والشراء،
وتجلُّهم المحاكم، وتترزُّون بهم المواسم، يوَقِّر الناس ما سَطَّروه، ويتبعون ما
حرَّروه، ويتناقل حديثهم الركبان، وتطير مسائلهم في البلدان، يتشوق العالم
لأخبارهم، ويَفِد الطلاب إلى ديارهم، ولايتهم لا تقبل العزل، وقولهم فصل
ليس بالهزل، والناس يرتقبون أقوالهم، ويقلِّدون أفعالهم، تشيعهم الأبصار،
ويدعو لهم الأخيار، يتباشر الناس بقدمهم، وينهلون من علومهم، فهم في
الوجود كالتيجان، وكلامهم كالمرجان، وهم أئمة الإنس والجان.

[مقامات القرنى: ٣٨٤]

علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عندنا

علي بن أبي طالب مرفوع عندنا بين الفتح والخفض، فقد أخطأ فيه أهل النصب والرفض، فالتواصب هضموا حقه، ونسوا صدقه، والروافض أنزلوه فوق المنزلة، فصار وصفهم مهزلة.

فيا أيها الناصبي: علي مرفوع وعلامة رفعه. علو الهمة، وتزكية رسول الأمة. ويا أيها الرافضي: لا تغال، فعلي بغير هذا الغلو عال.

[مقامات القرنين: ٣٧٠]

تأمل

إذا رأيت الصفات تتقدم الأسماء، فاعلم أن المعاني هباء، فالمتأخرون يصفون البعض، عند العرض، فيقولون: علامة عصره، وفريدة دهره، وقدوة الأنام، وعلم الأعلام. بينما كان السلف يقولون: أبو بكر وعمر، ولا يذكران النعوت والسير، لأن المعارف لا تُعرف، وكامل الأوصاف لا يُوصف.

احذر ثلاث كلمات، إذا وقعت بلا إضافات صحيحات.

كلمة أنا فهي فخر الشياطين، لما قال كبيرهم: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، ولكن قل: أنا العبد الضعيف، أطلب عفو اللطيف.

وكلمة لي قال فرعون في القصر: ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ﴾، فصار في الهلاك آية لكل عصر، ولكن قل: لي ذنوب، أرجو رحمة علام الغيوب.

وكلمة عندي قالها قارون، فجعله بالخسف عبرة لكل القرون، ولكن قل:
عندي تقصير، يُصلحه اللطيف الخبير.

[مقامات القرنى: ٣٦٩ - ٣٧٠]

بعثة الفخار

بُعِثَ في مكة رسول الهداية، ومبعوث العناية، فكان التوحيد عنده البداية،
هتف به في النائمين، وأعلنه في العالمين، فلا إله إلا الله، أيُّ نبأٍ عبر الأقطار،
وأيُّ خبر شقِّ الأمصار، سابقت الفجر كتائبه، وأخجلت الغيث سحائبه، أعاد
الفطرة إلى سيرتها على التوحيد، وأحيا النفوس من رقدتها الكبرى إلى نهار
الدين الجديد، ففتح الله به الأسماع والأبصار، وبشر بالجنة وحذر من النار.

[مقامات القرنى: ٣٤٩]

ذكرياتنا

- قال: لما ابتلى المؤمن الناس بالمحنة، قيض الله له بطل السُّنة، فكان المؤمن
رأساً في علوم اليونان، وأحمد رأساً في علوم السُّنة والقرآن.
- أما رأيت الحجاج قتل ابن الزبير، وذبح سعيد بن جبير، ووضع إبراهيم
التيمي في بير، ثلاث عورات لكم.
- قال فرعون ثلاث كلمات مهلكات، يقول ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ففسد
أنفه في الطين، و﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ فأخرج منها وهو لعين، و﴿مَا أُرِيكُمْ
إِلَّا مَا أَرَى﴾ فما باع بعدها ولا اشترى.

● عليّ بن أبي طالب، مرفوع بين الرافضة والنواصب، لأنها لا تدخل على المرفوع النواصب.

● يا لله العجب، جولدا مائير امرأة، هزمت رجال العرب، كيف لو كانت رجلاً ذا شنب.

● يوم كانت تركيا تحكم بالشرعية السمحاء، أرسلت للعالم الزعماء والعلماء والأدباء. فلما حكمت بمنهج الكافرين، أرسلت للعالمين الحلاقين والراقصين والمُغَنِّين.

● الجيش إذا لم يصم رمضان، يُهْزَمُ في حزيران، وجيش لا يؤمن بتعاليم جبريل، لا ينتصر على إسرائيل.

● من قرأ التاريخ هيجّه على البكاء، والاتّساء، والاقتداء. كم في التاريخ من زفرة وحسرة وعثرة؟! لقد كان في قصصهم عبرة.

أما تاريخنا نحن المسلمين فيقول عنه صفيّ الدين:

سَلِ الرَّمَاحَ الْعَوَالِيَّ عَنْ مَعَالِينَا

وَاسْتَشْهَدِ الْبَيْضَ هَلْ خَابَ الرَّجَا فِينَا

لَمَّا سَعَيْنَا فَمَا رَقَّتْ عَزَائِمُنَا

عَمَّا نَرُومُ وَلَا خَابَتْ مَسَاعِينَا

قَوْمُ إِذَا اسْتَخْصَمُوا كَانُوا فَرَاعِنَةً

يَوْمًا وَإِنْ حُكِّمُوا كَانُوا مَوَازِينَا

تَدْرَعُوا الْعَقْلَ جَلْبَابًا فَإِنْ حَمِيتْ

نَارُ الْوَغَى خَلَّتْهُمْ فِيهَا شَيَاطِينَا

إذا ادَّعُوا جَاءَتِ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً
 وإن دَعَوْا قَالَتِ الْآيَامُ: آمِينَا
 إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرْفًا
 أن نَبْتَدِي بِالْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا
 بِيَضٍّ صَنَائِعُنَا، سُودٌ وَقَائِعُنَا
 خُضْرٌ مَرَابِعُنَا، حُمْرٌ مَوَاضِينَا

[مقامات القرنين: ٢٥٣-٢٥٤-٢٥٦]

ويلك

ويلك أنت مهموم بالقرش والفرش والكرش، وسعد يهتز لموته العرش.
 تهاب الوضوء إذا برد الماء، وحنظلة غُسلَ قتيلاً في السماء، تعصي حيَّ
 على الفلاح، ومصعب بن عمير قدّم صدره للرّماح، ما تهتزّ فيك ذرّة، والموت
 يناديك في كل يوم مئة مرة، والله لو أن في الخشب قلوباً لصاحت، ولو أن
 للحجارة أرواحاً لناحت، يحنّ المنبر للرسول الأزهر، والنبى الأطهر، وأنت ما
 تحنّ ولا تتنّ، ولا يضجّ بكأوك ولا يرنّ. لو مُتَّ لعذرناك، وفي قبرك زُرناك،
 ولكنك حيٌّ تأكل وتشرب، وتلهو وتلعب، وتغني وتطرب.

بعض الصالحين أتى لينام، فترك الفراش وقام، وأخذ ينوح كما ينوح
 الحمام، قالوا: ما لك؟ قال: تذكّرت ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾
 وهذه الآية كافية.

تُواصِلْ الذَّنْبَ لَا تَدْرِ بِعَاقِبَةٍ
وَتَسْتَهِينُ بِأَمْرِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
كَأَنَّ قَلْبَكَ مَطْبُوعٌ عَلَيْهِ فَلَا
تَخْشَى عِقَاباً وَلَا تَبْكِي عَلَى أَحَدٍ

[مقامات القرنين: ٢٠٢ - ٢٠٣]

مات الإمام

أظن عين المجد قد بكت عليه، وروح التاريخ حنت إليه، ولو فاح طيب
ثنائه في الوجود لكان مسكاً، ولو نظمت مكارمه في عقد لانفصم من طوله
سلكاً سلكاً. وقد رثاه العامة والحكام، ورجال الإعلام، وحملة الأقلام، وبكاه
رجال الصحافة، وأهل الأدب والثقافة، ونوه بفضله العلماء، وبكاه الشعراء،
وأثى عليه الأدباء، وحزن عليه الزعماء. وما سمعنا بمثل جنازته في الإسلام،
ولم نعلم أنه مرّ مثلها مع الأيام، ومن كثرة الزحام، وما حلّ بالمسلمين من
الآلام.

فقد اختلط الترحم عليه بالدموع، وماجت كالبحر الجموع، وأعلن خبر
موته الإعلام المرئي والمسموع. ووددت أن النصارى شاهدوا جنازته واليهود،
ورأوا ذلك الموقف المشهود، وأبصروا تلك الحشود والبنود، والوفود والجنود،
ليعلموا منزلة علمائنا، وقدّر حكمائنا، وأنها أمة تقدّس الديانة، وتوقّر حملة
الأمانة، أهل الرزانة والصيانة.

[مقامات القرنين: ١٨٩]

منزلة الباز

بلغ ابن باز منزلة لا يرفعه المدح، ولا يضعه القبح، فاستوى عنده الثناء والهجاء، ولم ينفعه مدح الأصدقاء، وما ضره ذم الأعداء؛ لأنه يعامل رب الأرض والسماء.

من كان فوق محل الشمس موضعه
فليس يرفعه شيء ولا يضع

ليس في قاموس ابن باز تفصح ولا تبجح ولا تمدح.
لا يحب الإطراء والمراء والإغراء، لا يتزلف عنده برنين الدعاية، ولا يتقرب لديه برخيص السعاية؛ لأنه قد حقق الولاية.

ليس العلم عند ابن باز بالتفاسح، والتمادح، والزهو بالمشالح، والحرص على المصالح، بل العلم لديه حمل الشريعة في إخبارات، وطلب الفائدة بإنصاف، والعمل بالحجة في ثبات. العالم من عن الحرام كف، وعن الشهوات عف، وقام عن غرور الدنيا والتف، وكذلك كان ابن باز.

ابن باز من مدرسة التجديد، وليس من أهل التقليد؛ بل هو صاحب حجة، سالك المحجة، معتصم بالبرهان، عالم برضى الرحمن. ليس بمتعصب للمذهب؛ بل يتبع الحق أينما وجد، ولا يتجاوز الدليل إذا صح السند.

[مقامات القرني: ١٨٥]

ابن باز

ابن باز: اتّباع لا ابتداع، وقبول عمّ البقاع، وفضله كلمة إجماع، مع اعتصام بالدليل، واهتمام بالتأصيل، وبراعة في التحصيل، يشرفه تحقيق في النقل، وسداد في العقل، جمّع مع كرم الطبيعة، رسوخاً في الشريعة، هجر في طلب العلم الرّقاد، فحصل واستفاد، وأخذ الرواية بالإسناد، حتى ترأس وساد، وعمّ علمه البلاد والعباد.

ابن باز: على نهج السلف، بلا تنطّع ولا صلف، روح بالتّقوى طاهرة، ونفس بالعلوم باهرة، أعذب من ماء السحاب، وأرقّ من دمع الأحباب.

ابن باز في هذا العصر: إمام الغرباء، وعالم الأولياء، وزاهد العلماء.

[مقامات القرنين: ١٧٩ - ١٨٠]

مراسيم التجديد

هذا المجدّد لم يأتِ بمرسوم من الآستانة، ولم يطلب المنزل لدى العامّة والمكانة، بل جاء مُصلِحاً يُعيد الأمة إلى سيرتها الأولى الربّانية، وإلى ما كانت عليه من المحاسن الإيمانية، وجد في زمن هذا الإمام، في بلاد الإسلام، مشايخ لهم عمائم كالأبراج، وأكمام كالأخراج. تُفعل أمام أعينهم كل طامّة، وهمّهم تبجيل العامّة، يجبّون الأموال بالاحتيال، فلا يفتي أحدهم إلا بثمان معجّل، أو برهان مؤجّل، ليصبح العلم لديهم عمامة مكوّرة، وجبّة مدوّرة، يعظّم بها لدى الرّعاع، ويسكت عن كل شرك وابتداع، يرى أحدهم الجهّال يطوفون

بالقبور، فلا يغضب ولا يثور، لأن دماء حبّ الدنيا في عروقه تجمد، فهو تائه مقلّد، بارد متبلّد.

فجاء هذا الإمام الذي ما تدنس بالدنيا جلبابه، ولا اتّسخت بالبدعة ثيابه، وقد عقد العزم، واتّصف بالحزم، تحدوه همّة عارمة، وعزيمة صارمة، فدعا إلى تجديد ما اندرس من الدين، وإظهار ما خفي من دعوة سيّد المرسلين.

[مقامات القرني: ١٦٦ - ١٦٧]

تعريف بابن تيمية

والرجل كالقمر الوهاج، والبحر الشّجاج، سديد المنهاج، قوي الاحتجاج، وهو صاحب قيام وتهجد، وأذكار وتعبّد، يُلازم المسجد، ويحبّ أحياناً العزلة والتّوحد، لا يُفاخر، ولا تعجبه المظاهر، ولا يُكابر، ولا يُكثر.

وهو الذي صالَ وجالَ، وغلبَ الرجال، في المحافل المشهودة، والمجامع المحمودّة، وكان يرهبه الملوك مع أنه يتواضع لكل مسكين وصعلوك.

وقرّع بوعظه أسماع الظّلّمة، حتى أهدروا دمه، وعرض نفسه للأخطار، وخاض الأهوال الكبار، وحسبه الواحد القهار.

وكأن هذا الإمام للدنيا عين إنسانها، وهدية إحسانها، ضنّت بمثله الأعصار، وطلّنت بذكره الأمصار، نحو سيبويه من شفّتيه ينساب، ولغة الخليل في فمه تُذاب، كأن المُنْزني قطرة من مَزْنه، والكسائي درهم في رَدْنه.

[مقامات القرني: ٣٨٤]

كلمات خالدة

إذا تكلم قالوا القرآن بين عينيهِ، والسُّنَّةُ كُلُّهَا لديه، والحكمة تتنزَّلُ عليه،
له كلام خالد، ولفظ شارد، يقول: كل أرض لا تشرق عليها شمس الرسالة
فهي أرض ملعونة، وكل نفس لا تنصرف على الهوى فهي نفس مسجونة، وكل
مهجة لا تبصر الحق فهي مهجة مغبونة. ويقول: المعاصي تمنع القلب من
الجلولان في فضاء التوحيد، وتحبس النفس عن محبة الرحيم الودود.

[مقامات القرنين: ١٥٦]

ابن تيمة

زهد: فكأن الذهب تراب، والجواهر أخشاب، والدنيا خراب.

شجاعة: فكأن الموت عَطِيَّةً، والهلاك مَطِيَّةً، والمنية هَدِيَّةً.

علم: فكأن البحر زخر، والمحيط انفجر، والغيث انهمر.

تواضع: فهو أرق من النسيم، رحيم بالمسكين واليتيم، هذا الإمام جادٌ

وليس بهازل، وعن مبدئه لا يتنازل، ولهذا سكن أعلى المنازل.

أخلاق طاهرة، وسنة عليه ظاهرة، وهمّة بين جنبه باهرة.

لَهُ هِمَّةٌ لَوْ أَنَّ لِلشَّمْسِ عَشْرَهَا

لَمَا غَرِبَتْ حَتَّى يَجِيءَ لَهَا الْغَرْبُ

فَيَوْمًا مَعَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ بِمَسْجِدِ
وَيَوْمًا نَدِيمٌ لِّلْقَنَاءِ وَالْوَعَى حَرْبٌ

[مقامات القرنين: ٣٨٤]

حروف وحتوف

الذين ينوحون على الحسين ويقولون قتل وهو مظلوم، قلنا: هذا أمر معلوم، ولكن كفاكم بالنياحة جهلاً. فهل كان قتل عمر وعثمان وعليٍّ عدلاً؟ النياحة في الدين غير مباحة؛ لأنها مخالفة للمأمور، وفعل للمحظور، وتسخط بالمقدور، لو لم يُقتل الحسين لمات. أفتنوحون عليه وقد كسب عزَّ الحياة، وسعادة الوفاة.

من أحبَّ الحسين فليفعل فعله في حفظ الدين، وكراهية الظالمين، وحبِّ المساكين.

قَتَلَ الْحُسَيْنَ دَلِيلٌ عَلَى عَظَمَةِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَن مَّهْرَهُ رُؤُوسُ تُقَطَّعَ، وَأَرْوَاحُ تُدْفَعُ، وَضَرْبِيَّتُهُ دَمٌ يَسِيلُ، وَرَأْسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِيلُ، الْإِسْلَامُ كَالْأَسَدِ هِمَّتُهُ لَيْسَتْ سَخِيفَةً، وَلِذَلِكَ لَا يَأْكُلُ الْجِيفَةَ، لِعَظَمَةِ الشَّمْسِ أَصَابَهَا الْخُسُوفُ، وَلِجَلَالَةِ الْقَمَرِ رُمِيَ بِالْكَسُوفِ، وَالْعِظْمَاءُ غَرَضٌ لِلْحَتُوفِ.

[مقامات القرنين: ١٨٤ - ١٤٩]

تذكية العظماء

قال أهل العقول: إن قتل سبط الرسول، وابن البتول، أمرٌ مهول، فلا تُخبروا أعداء الملة، بهذه الزلّة، فإنها للأمة ذلّة. الحسين ليس بحاجة إلى وضع أشعار، ولكن إلى رفع شعار، دعنا من ترديد القصيد، والتباكي بالنشيد، ولكن تابع الحسين في تجريد التوحيد، وتوقير الشيخين أهل الرأي الرشيد.

العظماء يقتلون بالسيف أعزّاء، والظلمة يموتون على فرشهم أذلاء جبناء. فالعظيم قتل بتذكية شرعية، والجبان مات ميتة بدعية. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾.

[مقامات القرنى: ١٤٨]

لو كان الحسين رضي الله عنه وأرضاه

الحسين على نهج جدّه محمد ﷺ، وعلى مذهب أبيه المسدّد، تقوى تمنع من الانحراف، وعدل يحمل على الإنصاف. ولو أن الحسين صاحب دُنيا، لما بكينا، ولو أنه طالب جاه ما اشتكينا، ولكنّه من البيت الطاهر، صاحب النسب الباهر، أمانته رصينة، وأخلاقه حصينة.

[مقامات القرنى: ١٤٦]

هم ونحس

الدنيا وجهها نحس، يُباع فيها يوسف بثمن بَخس، وحزن يعقوب يكاد يذهب بالنفس، والفراعنة بملكهم يفرحون، وفي دُنْيَاهم يمرحون، وفي نعيمهم يسرحون. لكن انظر إلى العواقب، عندما تكشف عن الأولياء النوائب، وتزول عنهم المصائب، فإذا الفرحة الغامرة، والحياة العامرة، والنَّعيم في الآخرة. أما الفجَّار، فسحابة نهار، وراحة حمار، ثم نكال في أسوأ دار.

[مقامات القرنى: ١٣٥]

حكمة

لَمَّا نصح يعقوب يوسف أن لا يقصَّ ما رأى، لأنه يخشى عليه ما جرى، فإنه ما خلا جسد من حسد، وكم من قلب بنعم الغير فسد، فيا أيها العبد استر جمال يوسف النعم، خوفاً من أن تُلقى في غيابة جبَّ النقم، فيسلط عليك ذئب البغضاء، لا ذئب الصحراء.

عَوَى الذَّئْبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عَوَى

وَصَوَّتَ إنسانٌ فكِدْتُ أَطِيرُ

لا تعتذر للمخالف، فياخذ العذر منك وأنت واقف، أما ترى يعقوب، يوم خاف على ابنه الخُطوب، قال: أخاف أن يأكل الذئبُ يوسف، فقالوا: أكله الذئب فلا تأسف، فكأنَّه هياً لهم الحجَّة، حينما ضلُّوا في المحجَّة.

[مقامات القرنى: ١٣٢]

الجمارك

جَمَرَكَ البِضَاعَةُ بِخَتَمِ مُحَمَّدٍ، وَاكْتُبَ عَلَى الْبِطَاقَةِ لَا يُسْتَبَدَّلُ وَلَا يُجَدَّدُ،
وَاقْرَأْ عَلَى الْكَيْسِ خَرَجَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ، وَحَامِلِ الْكَيْسِ هُوَ الْمَسْئُولُ، وَاحْذَرِ
مِنَ التَّزْوِيرِ، فَإِنْ مَوْزَعَ الْبَرِيدَ بِصِيرٍ، وَقَارِئِ الرِّسَائِلِ خَبِيرٍ، إِذَا طَلَعَ فَجَرُ
الْبُشْرَى مِنَ الْمَدِينَةِ أَذْنًا، وَإِذَا رَأَيْنَا الرِّكْبَ مِنْ طَيْبَةِ أَعْلَنَّا، وَإِذَا سَمِعْنَا الْهَتَافَ
الْمُحَمَّدِيِّ أَمْنًا، وَكَلَّنَا حَوْلَ رَايَتِهِ دَنْدَنًا.

[مقامات القرنين: ١٢٦]

السلف

هَمَّ أَعْلَامٌ يُهْتَدَى بِهِمْ فِي بِيْدَاءِ الضَّلَالَةِ، وَهَمَّ أَقْمَارٌ يُسْتَضَاءُ بِهَا فِي لَيْلِ
الْجَهَالَةِ، هَمَّ الْمَوَازِينُ الصَّادِقَةُ لِلْمَذَاهِبِ، وَهَمَّ الْمَعِينُ الْعَذْبُ لِكُلِّ شَارِبٍ، وَهَمَّ
الرَّعِيلُ الْمُخْتَارُ الْمُقْتَدِي بِهِ كُلِّ طَالِبٍ. تَرَكُوا التَّشَدُّقَ، وَالتَّفْيِيقَ، وَالتَّشَقُّقَ،
وَالْتَحَذَلَقَ، وَالتَّمَزَّقَ. وَهَجَرُوا التَّعَسُّفَ وَالتَّكَلُّفَ، لَهُمْ مَنَّا الْحَبُّ الصَّادِقُ،
وَالْعَهْدُ الْوَاقِعُ، وَالْإِجْلَالُ وَالتَّقْدِيرُ، وَالْإِكْرَامُ وَالتَّوْقِيرُ، وَالنَّصْرَةُ وَالتَّعْزِيرُ، شَرَّفَ
اللَّهُ تِلْكَ الْأَقْدَارَ، وَأَنْزَلَهُمْ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ، وَأَسْكَنَهُمْ أَجَلْ دَارٍ، وَأَحْسَنَ قَرَارَ، لَوْ
كَتَبْتَ دَمُوعَنَا عَلَى خُدُودِنَا لَمَا كَتَبْتَ إِلَّا حُبَّهُمْ، وَلَوْ تَمَنَّتْ قُلُوبُنَا غَايَةَ الْأَمَانِيِّ مَا
تَمَنَّتْ إِلَّا قُرْبَهُمْ.

[مقامات القرنين: ١٢٤]

مملكة العلم

العلم شرف الدهر، ومجد العصر، وذهب الملك بحراسه، وبقيت بركة العالم في أنفاسه، فني السلاطين، ووسدوا الطين، وخلد ذكر أهل العلم أبداً، وبقي ثنائهم سرمداً، العلم أعلى من المال، وأهيب من الرجال، به عبد الديان، وقام الميزان.

والعلم وسام لا يُخلع، وهو من الملك أرفع، وهو إكليل على الهامة، ونجاة يوم القيامة، يُنقذ صاحبه من ظلمات الشك والريبة، ويخلصه من كل مصيبة، وهو علاج من الوسواس، وفي الغربة رضا وإيناس، وهو نعم الجليس والأنيس، وهو المطلب النفيس.

يُغنيك عن المسوومة من الخيل، والباسقات من النخيل، ويكفيك عن القناطير المقنطرة، والدواوين المعطرة.

مات القادات والسادات، وذكرهم معهم مات، إلا العلماء فذكرهم دائم، ومجدهم قائم، فالسنة الخلق، أقلام الحق، تكتب وتخط لهم النشاء، وأفئدة الناس صُحُف تحفظ لهم الحب والوفاء، كان أبو حنيفة مولى يبيع بزاً، ولكنه بعلمه هز الدنيا هزاً، وكان عطاء بن أبي رباح، خادم لامرأة في البطاح، فنال بعلمه الإمامة، وأصبح في الأمة علامة، وابن المبارك عبد الله المولى الإمام الأواه، والأعمش ومكحول، كانوا من الموالى ولكنهم أئمة فحول، فالعلم يرفع صاحبه بلا نسب، ويُشرفه بلا حسب.

[مقامات القرنين: ١١٢-١١٤-١١٥]

سفينة نوح

المحدثون هم عسكر الرسالة، وجنود البسالة، ظهوروا على البدع بكتائب حدثنا، وسحقوا الملاحدة بجيوش أخبرنا.

لولا كتابة الحديث في الدفاتر، وحمل المحدثين للمحابر، لخطب الدجال على المنابر.

كم من أنف لمبتدع أرغم بصحيح البخاري، وكم من صدر لمخالف ضاق بفتح الباري.

الحديث كسفينة نوح فيها من كل زوجين اثنين: رواية ودراية، بداية ونهاية، متون وأسانيد، صحاح ومسانيد، تراجم ومعاجم.

[مقامات القرني: ١٠٨-١٠٩]

أهل الحديث

شدوا العمائم، وجدوا في العزائم، وتسلحوا بالصبر الدائم، فلو رأيتهم وقد فتحوا الدفاتر، وقربوا المحابر، وكتبوا: حدثنا مسدد بن مسرهد، أو رواه أحمد في المسند، أو أخرجه البخاري، وشرحه في فتح الباري، لهانت عندك الدنيا بما فيها، وركبت سفينة الحديث وناديت ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا﴾، ولأقبلت على العلم والكتب، وهجرت اللهو واللعب، واللغو والطرب.

يفوح من فم المحدث المسك التّبيّتي؛ لأن عليه سيماء «نضر الله امرأ سمع مني مقالتي» أنفاس المحدثين تتضح بالطّيب، لأنها حملت اسم الحبيب:

يكونُ أجاجاً دُونكم فإذا انتهَى

إليكم تلقى طيبكم فيطيبُ

بنفسي ذاك المحدث إذا جلس على الكرسي، وقد حفَّ به الطلاب، ونشر الكتاب ثم قال: حدثنا محمد بن شهاب، عندها يرتحل قلبك، ويكاد يطير لُبُّك، شوقاً لصاحب التَّركَّة، لما جعل الله في كلامه من البركة.

فتصبح الدنيا رخيصة مرفوضة، لا تساوي جناح بعوضة، وتشتاق النفوس إلى الجنة، لما غشيتها أنوار السُّنة.

إنِّي إذا احتوشتني ألفُ محبِّرةٍ

يكتُبُنَ حَدَّثَني طَوَراً وأخبرني

نادت بحضرتي الأَقلامُ مُعلِنَةً

تِلْكَ المَكَارِمُ لَا قُعبَانِ من لَبِنِ

[مقامات القرنى: ١٠٣ - ١٠٤]

مقايِسة

قيل للفلاسفة: من سندكم؟ قالوا: ابن سينا عن سرجيس بن ماهان، عن أرسطاليس من اليونان.

وقيل لعلماء الكلام: من سندكم؟ قالوا: محمد بن الجهم من خراسان، عن الجهم بن صفوان.

وقيل للمحدثين: من سندكم؟ قالوا: طاوس بن كيسان، عن ابن عباس
ترجمان القرآن، عن الرسول سيّد ولد عدنان، عن الرحمن.

[مقامات القرني: ١٠٥]

فإنك شمسٌ

أرسله الله على الظّلماء كشمس النهار، وعلى الظّلماء كالغيث المدرار، فهزّ
بسيوفه رؤوس المشركين هزّاً؛ لأن في الرؤوس مسامير اللات والعزى، عظمت
بدعوته المنن، فأرساله إلينا أعظم منّة، وأحيا الله برسالته السُّنن، فأعظم
طريق للنّجاة اتّباع تلك السُّنّة. تعلّم اليهود العلم فعضّلوه عن العمل، ووقعوا في
الزيغ والزّلل، وعمل النصارى بضلال، فعملهم عليهم وبّال، وبعث عليه الصلاة
والسلام بالعلم المفيد، والعلم الصالح الرشيد.

أخوك عيسى دَعَا مِيتاً فَقَامَ لَهُ

وَأَنْتَ أَحْيَيْتَ أَجْيَالاً مِنَ الرَّمَمِ

[مقامات القرني: ٧٤]

سيرة حب

حُوصِرُوا فِي الشَّعْبِ، وَضُيِّقَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ، وَابْتُلُوا فِي السَّمْعَةِ،
وَحُورِبُوا مِنَ الْقَرَابَةِ، وَأُوذُوا مِنَ النَّاسِ، وَمَعَ هَذَا أَحْبَبَهُ كُلُّ الْحَبِّ.
سُحِبَ بَعْضُهُمْ عَلَى الرَّمَضَاءِ، وَحُبِسَ آخَرُونَ فِي الْعَرَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَفَنَّنَ
الْكَفَارُ فِي تَعْذِيبِهِ، وَتَأَنَّقَوْا فِي النِّكَالِ بِهِ، وَمَعَ هَذَا أَحْبَبَهُ كُلُّ الْحَبِّ.

سلبوا أوطانهم ودورهم وأهليهم وأموالهم، طردوا من مراتع صباهم،
وملاعب شبابهم ومغاني أهلهم، ومع هذا أحبوه كل الحب.
ابتلي المؤمنون بسبب دعوته، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وبلغت منهم القلوب
الحناجر وظنوا بالله الظنون، ومع هذا أحبوه كل الحب.
عُرض صفوة شبابهم للسيوف المصلّاة، فكانت على رؤوسهم كأغصان
الشجرة الوارفة.

وكان ظلّ السيف ظلّ حديقة خضراء تنبت حولنا الأزهارا
وقدّم رجالهم للمعركة فكانوا يأتون الموت كأنهم في نزهة، أو في ليلة
عيد، لأنهم أحبوه كل الحب.
يُرسل أحدهم برسالة ويَعلم أنه لن يعود بعدها إلى الدنيا، فيؤدّي رسالته،
ويبعث الواحد منهم في مهمة ويعلم أنها النهاية فيذهب راضياً؛ لأنهم أحبوه
كل الحب.

ولكن لماذا أحبوه وسعدوا برسالته، واطمأنوا لمنهجه، واستبشروا بقدومه،
ونسوا كل ألم وكل مشقة وجهد ومعاناة من أجل اتباعه؟
إنهم رأوا فيه كل معاني الخير والفرح، وكل علامات البرّ والحق، لقد كان
آية للسائلين في معالي الأمور، لقد أبرد غليل قلوبهم بحنانه، وأتّج صدورهم
بحديثه، وأفعم أرواحهم برسالته.

[لا تحزن: ٣٨٤]

الإمام البخاري

وصل ما انقطع من مجد العجم، ورفع الموضوع من الهمم، وأرسل أحاديث المكارم، وأعضل شبهات كل ظالم، لو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس. والدليل محمد بن إسماعيل.

حدثنا فضله عن علمه، قال فأخبرنا عقله عن فهمه، أن صحيحه بزّ الصّاح، وحديثه أتحف الأرواح في آذان الأخيار على الفلاح.

[حدائق ذات بهجة: ٣٣١]

منهج البخاري

منهج البخاري تجويد الكيف، ونفي الزيف، وبيان الحيف وجمع الصحيح، وترتيب المليح، والإجهاز على القبيح.

إن الغز أعجز، وإن شرح أوجز.

دنت فوائد صحيحه من القاصدين، فنادوا: هل من مزيد، ينشط فيبسط، يقتصر فيختصر، إن طال المتن قطعه، وإن انقصم السند وصله. إن أراد البلاغة دبج الألفاظ. وإن أراد المعاني أشار بالألحاظ.

[حدائق ذات بهجة: ٣٣٢ - ٣٣٣]

ابن حزم

جمدَ في الفروعِ وحقُّهُ أن يسيلَ، وسالَ في الأصولِ وحقُّهُ أن يجمدَ، رمى الأئمةَ بالمنجنيق، فتعرضت كتبُهُ للحريق، خاصمَ أهلَ المشرقِ فانتقمَ منه أهلُ المغربِ.

خرجَ من الغنى في طلبِ العلمِ إلى الفقرِ، ودخلَ في بابِ الهمةِ إلى بيتِ الرياسةِ.

بدا في الفهمِ فجفا، هجرَ القياسَ فهجرهُ الناسُ، له في الحديثِ باعٌ، وكالَ في الأثرِ بالصاع، ألفَ المجلَّى ونادى: أنا ابنُ جلا، وصنفَ المحلَّى وتولَّى منه ما تولَّى.

اتسعَ دماغُهُ بالتحصيلِ، وضاقَ عطفه عن التأصيلِ، غضبَ من زمانه، ونثرَ الغبارَ على أقرانه، وأطلقَ السهامَ من لسانه، وفكَ زمامَ حصانه.

[حدائق ذات بهجة: ٣٤٢]

عجيبه... من عجائب الدهر

ابن تيمية عجيب عند أهل الملل، غريب عند أهل النحل، جريء عند أرباب الدول، نزل له القبولُ في القلوب، وبالحق نزل.

سلَّ سيفه على الدهرية، وأغمده في صدور القبورية، وضرجه بدماء النصيرية، كالطرر إن هلَّ عمٌّ، وإن سال طم، وكالأسد إذا شك شم، وإذا عدا رم، وكالبدر إذا سطع تم، وإذا ذهب التم.

أمّ في المحراب، وعلم الكتاب، وسمع الجهاد فأجاب، ألغى الانحراف
وكشف السراب.

خرج بالبتار على التتار، فأذاق جند هولاء الهلاك، جدد للدين ما
اندرس، ودُرس به من البغي ما تجدد، رفع للدين مناراً، وأوقد لأعدائه ناراً،
فلم يبق منهم ديناراً.

[حقائق ذات بهجة: ٣١٩ - ٣٢٠]

علي رضي الله عنه مرفوع

علي مرفوع بين الرفض والنصب، الرافضة جاوزوا فيه العدل، وقالوا فيه
بالجهل، وقد أغناه الله عن قيلهم، وتزكيتهم خير من تعديهم، وأهل النصب
نسبوا إليه المساوئ ودفنوا محاسنه، ولم يرووها كما هي، فرفض أهل السنة
فريضة الرافضة، ونصبوا نصاب العدل في وجوه النواصب، فعلي عند أهل
الحق لاحت نجومه، وارتفعت سهومه.

ناشته الحراب في المحراب، فسجد سجدة طويلة لله لم يرفع رأسه
بعدها أبداً، فصيح لسن، كل ما فيه حسن، ليعش أبوالحسن.

ماذا نقول، وهو ابن عم الرسول، وسيفه المسلول، وزوج ابنته البتول. أبناءه
سادة الأبناء، وعمه سيد الشهداء.

الناس فيه طرفان ووسط، ما بين غلو وشطط، مادح غلا حتى ادعى في
عصاميته العصمة، وقادح جفا حتى شك في صحة صحبته، وهو لا هذا ولا
ذاك، بل هو ابن عم النبي الأمي المنير، وهو عالم مجتهد نحير، للمؤمنين

أمير، وبكل فضل جدير، رغم أنف من أبغضه.

ألجم الله ابن ملجم بلجام من نار لأنه كسر السيف البتار.

يا ليتها إذ فدت عمراً بخارجة

فدت علياً بمن شاءت من البشر

[حدائق ذات بهجة: ١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦٢]

هذا عثمان رضي الله عنه

بذل ماله بلا منّة، وجمع القرآن والسنة، وصحب الحبيب في الجنة:

فقت الأنام بأخلاق مهذبة

صدق الحديث وإنجاز المواعيد

زحف الخطر فجهز جيش العسرة، وأقبل الظمأ فاشترى بئر رومة، وتقدم
الجوع فأطعم الناس في المسجد، ودهمه السهر فقام بالقرآن كله.

سموح صفوح، لا يطالب بالثأر، فجرح بسيوف الثوار، زوجته رضي الله عنها ابنتين،
واشترى نفسه مرتين، وباع لخليفتين، فاستحق لقب ذي النورين.

آخر أيامه كان صائماً، وآخر لياليه بات قائماً، قُتل وهو يتلو القرآن،
فدخل من باب الريان، ﴿وَلَمِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾.

شكراً لأفضالك اللاتي نضحت بها

ودام فضلك والتاريخ قد شهدا

تسحر في المدينة، وصلى العصر في الروضة، وأفطر في الجنة، حسن عمله
فطال عمره، وطاب مخبره، فصح مظهره، أحسن الرفادة فكوفئ بالشهادة:

وكنْتَ حَدِيثَنَا فِي كُلِّ لَيْلٍ
 إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ وَغَابَ نَجْمُ
 ربيعِ تَعَشَّبُ الْوُدَيَانُ مِنْهُ
 وَجُودُ إِنْ بَكَى جُوعٌ وَيَتَمُّ

عثمانُ أخذ من الإسلام السماحة، ومن الحقِّ الوضوح، ومن الشمائل
 الحياء، ومن القيم البذل، المال عنده نفع في الملمات، والجود عنده كشف
 للكريات، والحياء نكوص عن العثرات.

[حدائق ذات بهجة: ١٣٠-١٣١-١٣٢]

باب الحق

بابٌ دون الفتنة كسر، فدخلت منه الطوائف، كلما دخلت منه أمة فاقت في
 الشرِّ أختها، أرادَ أهلُ الضلال العيب في الكتابة، فضرب بينهم بسور له باب،
 خرج من الدنيا فأطلَّت برأسها الخوارج، ورفض العيش فأقبلتِ الرافضة، ولقي
 قدره فعشعشتِ القدريَّة، افترسَ فارسَ بسعد الفوارس، ورمى الرومَ بخالدٍ فطاش
 راميها، وبعثر سجستان بالنعمان، وأرغمَ هرقلَ وأُنو شروان، وجبى خزائنهما،
 يخرجُ منهما اللؤلؤ والمرجان.

قُتِلَ عمرٌ ولكنَّه عاش، وارتحل لكنه أقام، هو فينا في ضمائرنا، في
 عروقتنا، في دمائنا، في قلوبنا، في عيوننا، في الأبطال، في الرجال، في
 الأطفال.

[حدائق ذات بهجة: ١٠٨]

عمر رضي الله عنه

إذا سمعَ الباطلَ أزيدَ وأرعدَ، وتهددَ، وقامَ وقعدَ، وأنجزَ ما توعدَ، وإذا
سمعَ القرآنَ بكى وشكى وتململَ وتزلزلَ.

كانَ عمرُ في جبينِ الدهرِ دُرَّةً، لأنَّه قرعَ الظلمَ بالدرَّةِ، فله دُرَّةٌ.

حلفَ الزمانُ ليأتينَ بمثلهِ

حنثَ يمينكَ يا زمانُ فكفَّر

خافَ منه الشيطانُ، وارتعدَ لرؤيته الهرمزانُ، وانتهت به دولة آل ساسان.

درتُه لله درها، وما أدراك ما هي: دُرَّةُ عمرَ لخفق رؤوس الضلال، وضرب
أكتاف الظلمة الجهال، وتأديب العمال.

قميصُ عمر مرقعٌ تغيَّرَ لونه بدمِ عمرَ يومَ طُعنَ، فصاح لسانُ حالِ عمر:
اذهبوا بقميصي، واثنوني بكفن فقد ملئتُ الحياة.

[حدائق ذات بهجة: ١٠٤ - ١٠٥]

منهج الحرية في حياة الصديق رضي الله عنه

أبو بكرٍ أعلنَ الحريةَ لأنه أولَ من استقبلَ عبداً، وأوّلَ من ودّعَ عبداً،
استقبلَ بلالاً أيامَ البلاء، يومَ كانت قريشٌ ثائرةً على السود، هائمةً في
السيادة، ضالعةً في الاستعباد.

وودّعَ أسامةَ الأسودَ يركبُ على الفرسِ بسواده.

والصديقُ يطأُ الثرى ببياضه ليقول للناس: لا ألوانَ ولا أنسابَ ولا ألقابَ
عندنا، حملُ رسالة، وصحة يقين، وطهر ضمائر، وسمو همم، هو مع خليله

وإمامه وحبّيبه وأُسوته في الصلاة خلفه، في الحرب أمامه، في الطلب لديه، في المهمات عنده.

أبو بكر قلبٌ نبيل، وجسمٌ نحيل، شابُّ الإرادة، شيخُ التجارب، أحيا قلبه بالإيمان فلم يمت أبداً، وأمات نفسه عن الشهوات فلم تعيش أبداً.

[حدائق ذات بهجة: ٥٨ - ٥٩]

ردة وأبو بكر لها

ارتدّ مسيلمة الكذاب، فقال الصديق: يا ذباب، يأتيك الجواب، فألبس خالدًا العِمَامَةَ، وقال: هيا إلى اليمامة، فاهتز سيف الله المسلول، فصبح المرتدين وهم في ذهول، فحطم الجماجم، وأذل الباطل وهو راغم:

خليفة الله جازى الله سعيك في

جرثومة الدين والأخلاق والقيم

أبو بكر ما أسدّه، هو رجل الشدة، وبطل يوم الردّة، الأسودُ تسود، والمثالبُ للثعالب.

[حدائق ذات بهجة: ٥٧]

مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه

عتيقٌ في الجاهلية، صديقٌ في الإسلام، حاضرٌ في المغارم، غائبٌ في المغانم.

أحبُّ صاحبَ الدَّعوة، فقامسمه الخوفَ والعناءَ والمشقة، وشاطرهُ الهمَّ
والمعاناةَ واللوعة.

مناقبهُ خصائصُ تمنعُ الاشتراك، وخصائصهُ أكاليلُ لا تقبلُ غيره.
أبو بكر هو الأول في الإسلام والهجرة والجهاد، إلى الله سبق، وبشرعه
نطق، وفي القول صدق، فلا تركب في سيرته طبقاً عن طبق.
زوج ابنته الإمام، واشترى المؤذن، وبنى المسجد، فنال جائزة: ﴿وَلَسَوْفَ
يَرْضَى﴾.

أَخْلِيْفَةُ الرَّحْمَنِ دَهْرُكَ قَالَهَا
وَسَوَاكَ يَا صَدِيقَهَا مَا نَالَهَا
مع الصديقِ إِداوة يسقي بها الصاحب، وسيفٌ ينافح به عنه، ولسانٌ يدعو
إليه، وقلبٌ يحبه، وعينٌ تبكي لحديثه، وحفنة تطعم ضيوفه.

فبشَّرت آمالي بشخص هو الوري
ودار هي الدُّنيا ويوم هو الدهرُ

[حدائق ذات بهجة: ٥٥ - ٥٦]

أهل الحديث

أكلوا أوراق الشجر من الجوع، وأدمنوا السهر، وطلقوا الهجوع، وبللوا
القراطيس بالمداد والدموع، ركبوا من البحر الثبج، والتحفوا من الليل اللجج،
وقنعوا من كل نديم بالسرج.

آه ما أحسن «حدثنا» في المسامع، وما أجمل «أخبرنا» في المجامع.

سقوني وقالوا لا تغنّ ولو سقوا

جبال سليمي ما سقيت لغنت

اشتغل الناس بجمع الدرهم والدينار، وبناء الدور وحفر الآبار، وعمارة البساتين وغرس الأشجار، واشتغلوا هم بجمع الآثار، ونقل الأخبار، ومصاحبة أنفاس المختار.

سهر الناس مع أصوات العيدان، ونغمة القيان، وأشعار فلان وعلان، وسهروا هم مع سفيان وحماد، ومجاهد وابن الهاد، ساعة مع المتن، وساعة مع الإسناد.

إيه أحاديث نعمان وساكنه

إن الحديث عن الأحباب أسمار

إيوان أحدهم ظهر البعير، ومجلس أنسهم وجه الهجير، وطعامهم خبز الشعير، هجروا الخمير والحرير والسرير.
صبروا على أحر من الجمر، وصبغوا ثيابهم بالحبر، وصاحبوا الجوع والظماً والفقر.

[حدائق ذات بهجة: ٢٣ - ٢٤]

اسم محفور في قلبي

محمد اسم محبب إلى قلبي، دعوتُ الله أن لا أكون مُدَّعياً في حبه، أحبه وأحب من يحبه، ويذكره ويتابعه، أحب أفاضله، وجمله وحديثه، وأحب

مسجده ومصلاه ومحرابه، أحب سواكه وثيابه وعصاه، أحب سيفه ومنبره وجفنته، أحب أهله وقرباته، وأصحابه، أحب رضاه وغضبه، ونومه ويقظته، وحلّه وسفره، لا يستحق حبي من البشر إلا هو، ولا يملؤ قلبي من الناس سواه، ولا يبرد مشاعري من الخليقة غيره، ليس لأحد من البرية عليّ منّة أعظم من منته، ولا في عنقي لأحد يدٌ أعظم من يده البيضاء، به هداني ربي، ومنه علّمني مولاي، وبه كان اقتدائي، وإليه انتهى إعجابي، أصلي فأجتهد أن توافق صلاتي صلاته، لأنه يقول: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي». أحج فأحرص أن أتابع صفة حجه؛ لأنه يقول: «خذوا عني مناسككم».

أعيش وسيرته أمام عيني، وفي خلدي؛ لأن الله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

[حدائق ذات بهجة: ١٥]

محمد ﷺ

خاتم الرسل، وذروة الصلاح، وصل السماء بالأرض، والدنيا بالآخرة، بسيط في عظمته، سهل في هيئته، لا تراه إلا وتحبه، ولا تخالطه إلا وترتاح له، حجته القرآن، وقبلته الكعبة، ودينه الحنيفية، ومنهجه الوسط، ودعوته التوحيد، أتى ليضع الآصار والأغلال، ويُبْعَثَ لِيُحْطَمَ الأوثان والأصنام، وأُرْسِلَ للعالمين رحمة، وللكافرين حسرة، صاح في أذن الدنيا، فتهاوت على صوته أعمدة البغي، وانهارت بكلماته أبنية الظلم، عاش الفقر فتحلّى بالصبر، وتذرّع بالتحمل، فبين بسيرته ضالة الدنيا وحقارتها، وعاش الغنى فشكر المنعم، وواسى الخلق، وعلم البرية فصول الجود، وملاحم البذل، سالم فكان ألطف

من النسيم، وأرقّ من الحرير، وأندى من الطل، فطافت بكعبة جلاله القلوب،
وسعت في ميدان فضله الأرواح.

[محمد ﷺ كأنك تراه: ١٤]

الأدب معه ﷺ

الأدب معه ﷺ شريعة يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، فالأدب مع شخصه الكريم بإجلاله وإعرازه وتوقيره وتقديره واحترامه وإنزاله المنزلة التي أنزله الله إياها: لا غلو ولا جفاء، وعدم الاعتراض عليه ﷺ أو مناقضة أقواله بأقوال غيره من الناس، أو يتقدم قول كائن من البشر مهما كان على قوله، أو أخذ حديثه على أنه كلام يصيب ويخطئ، بل هو كلام نبي معصوم، أو التعرض لصفة من صفاته بجفاء، أو رد قوله بعد التأكد من صحة نسبته إليه، أو الشك في بعض قضاياه وأحكامه، أو مقارنته بالقادة والزعماء والملوك، فقد رفع الله قدره على الجميع، وأعلى منزلته على الكل.

بل يحرم كل ما فهم منه الجفاء والتقص والاعتراض عليه ﷺ، والواجب على كل من رضي به رسولاً واتبعه وآمن به حبه حباً صادقاً أعظم من حب النفس والولد والوالد والناس أجمعين، وتصديق ما أخبر به، وامتنال ما أمر به والانتها عما نهى عنه، والاهتداء بهداه، والاقتراء بسنته والرضى بحكمه والحرص على متابعتها، وتوقير حديثه والصلاة والسلام عليه إذا ذكر ﷺ، وعدم رفع الصوت عند ذكره وذكر حديثه، وعدم الضحك وقت تلاوة أخباره وكلامه وآثاره، والخشوع عند ذكر شيء من سنته، والتأدب عند الاستشهاد

بقوله، والتسليم عند أمره ونهيه، والإيمان بمعجزاته، والذب عن جنابه الشريف وأهل بيته وأصحابه ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[محمد ﷺ كأنك تراه: ١٥٤ - ١٥٥]

ورفعنا لك ذكرك

رفعنا لك ذكرك فसार في الأرض مسير الشمس، وعبر القارات عبور الريح، وسافر في الدنيا سفر الضوء، فكل مدينة تدري بك، وكل بلد يسمع بك، وكل قرية تسأل عنك.

رفعنا لك ذكرك فصرت حديث الركب، وقصة السمر، وخبر المجالس، وقضية القضايا، والنبأ العظيم في الحياة.

رفعنا لك ذكرك فما نسي مع الأيام، وما محي مع الأعوام، وما شُطِبَ من قائمة الخلود، وما نسخ من ديوان التاريخ، وما غفل من دفتر الوجود، نسي الناس إلا أنت، وسقطت الأسماء إلا اسمك، وأغفل العظماء إلا ذاتك، فمن ارتفع ذكره من العباد عندنا فبسبب اتباعك، ومن حفظ اسمه فبسبب الاقتداء بك. ذهبت آثار الدول وبقيت آثارك، ومحيت مآثر السلاطين وبقيت مآثرك، وزالت أمجاد الملوك وخلد مجدك، فليس في البشر أشرح منك صدراً، ولا أرفع منك ذكراً، ولا أعظم منك قدراً، ولا أحسن منك أثراً، ولا أجمل منك سيراً.

[محمد ﷺ كأنك تراه: ٧٩ - ٨٠]

القدوة... يا جيل

وكان يحمل حاجة أهله ويخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته، ويقطع اللحم مع أهله، ويقرب الطعام لضيفه، ويباسط زوأره ويسأل عن أخبارهم، ويتأوب ركوب الراحلة مع رفيقه، ويلبس الصوف ويأكل الشعير، وربما مشى حافياً، وينام في المسجد، ويركب الحمار ويردف على الدابة، ويعاون الضيف ويتفقد السرية، ويمون في آخرهم فيساعد من احتاج، ويرافق الوحيد منهم... فصلّى الله عليه وسلّم ما تحرك بذكره اللسان، وسارت بأخباره الركبان، وردّد حديثه الإنس والجان.

[محمد ﷺ كأنك تراه: ٤٥ - ٤٦]

نفحات

نادي سعد رضي الله عنه في الجيش: يا خيل الله اركبي، فجمد الله لهم النهر، وأنزل عليهم النصر، فصلوا في الإيوان الظهر؛ ذلك لأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم.

دعاه صلاح الدين في حطين، فأنزل النصر المبين، وسحق أهل الصليب المارقين، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

برز خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى الصعيد، فلقية من الروم جيش عتيد، ذو بأس شديد، فدعى مولاه، لا إله إلا إياه، ولا نعبد سواه فنصره، وهزم جيش الروم ودحره، وأحق الحق وأظهره، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

في عين جالوت، كادت الرسالة تموت، فهتف قطز: وإسلاماه فهتفت
الحناجر يا الله؛ فأعلى الله كلمته، ونصر دعوته، وهزم التتار، وأنزل عليهم
صنوف الدمار، وللكافرين العار.

إذا جعت أطعمك، وإذا ظمئت أسقاك، وإذا مرضت شفاك، وإذا ابتلاك
عافاك. ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ حقق توحيده، خف وعيده، صدق أفعاله، أكثر
ذكره، أدم شكره ﴿لَنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

[العظمة: ٦٨ - ٦٩]

رؤيا

استتر عمر بلباس التقوى فرآه ﷺ يجر قميصه في المنام، ولما تفقه الفاروق في
ميراث النبوة أعطاه ﷺ فضل اللبن في الرؤيا، كل ذلك من كرم المولى، وحسن
مكافأته، وجميل عائدته، وسعة جوده، وعظيم بره، وتميز لطفه، وعلو قدره،
وعموم خيره، كلما قُرِبت من أحد أمنتَه إلا الله، فكلما تعرفت على أسمائه
وصفاته وأفعاله خفته، وكلما تعلمت كلامه وأيامه هبته، وكلما أمعنت في آياته
ومخلوقاته خشيته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

[العظمة: ٥٦]

لطيف لما يشاء

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ أخرج يوسف - عليه السلام - من السجن، وأعطاه الملك بعد الرِّقِّ، والعز بعد الذل، وعلمه مما يشاء، وجاء بوالديه من البدو، وجمع بينه وبين إخوته.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ هرب موسى عليه السلام من فرعون بعدما قتل نفساً، فأرسله إليه، وأدخله قصره، ووعظه وأنذره، ثم هرب منه مرة أخرى، فلحقه بجيش عرمرم فنجى موسى عليه السلام، وأغرق فرعون وجنوده.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ نشأ رسول الله ﷺ في يثم، ليأوي إلى كنفه، وفي فقر ليطلب ما عنده، شكا إلى خديجة حاله، فماتت بعد زمن قليل، ونصره عمه أبو طالب، فهلك، انتصر في بدر فقتل أصحابه في أحد، حاز الغنائم فنزل ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[العظمة: ٤٣]

الله المستعان

وضع خليله في المنجنيق، وهدده الكفار بالحريق، وارتجل اللسان، فالله المستعان.

سهر المعصوم من الأذى، وشرذ نعاسه، شج رأسه، وكسرت رباعيته، وجرحته وجنته، وتألبت عليه الأحزاب، والأعوان، فالله المستعان.

طعن الفاروق، فدفقت دماؤه من العروق، وهو يرتل القرآن، فالله المستعان.

مزق عثمان، وسال دمه على القرآن، وقطعت أصابعه والبنان، فאלله المستعان.

ذُبح علي، والله الولي، فتوالت الأحزان، فאלله المستعان.

إذا حل الأمر الصعب، وادلهم الخطب، وعم الجذب، فאלله المستعان.

إذا قل النصير، وتفاقم الأمر الخطير، وحمل الفاجعة النذير، فאלله المستعان.

إذا أظلم الأفق، وضافت الطرق، وانشق بالمصائب الأفق، فאלله المستعان.

[العظمة: ٢٣ - ٢٤]

القائد

للشعوب قادات لكنهم ليسوا بمعصومين، ولهم سادات لكنهم ليسوا بالنبوة موسومين، أما قائدنا وسيدنا فمعصوم من الانحراف، محفوف بالعناية والألطف.

فُصارى ما يطلبه سادات الدنيا قصور مشيدة، وعساكر ترفع الولاء مؤيدة، وخيول مُسوَّمة في ملكهم مقيّدة، وقناطير مقنطرة في خزائنهم مخلّدة، وخدَم في راحتهم معبدة.

أما محمد ﷺ فغاية مطلوبه، ونهاية مرغوبه، أن يُعبد الله فلا يُشرك معه أحد، لأنه فرد صمد، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

يسكن بيتاً من الطّين، وأتباعه يجتاحون قصور كسرى وقيصر فاتحين،
يلبس القميص المرقوع، ويربط على بطنه حجرين من الجوع، والمدائن تُفتَح
بدعوته، والخزائن تُقسم لأُمته.

[العظمة: ٦٩]

محمد ﷺ

مرحباً بالحبیب والأریب والنجیب، الذي إذا تحدثت عنه تراحمت
الذكريات، وتسابقت المشاهد والمقالات.

صلّى الله على ذاك القدوة ما أحلاه، وسلم الله ذاك الوجه ما أبهاه،
وبارك الله على ذاك الأسوة ما أكمله وأعلاه، علّم الأمة الصّدق وكانت في
صحراء الكذب هائمة، وأرشدّها إلى الحق وكانت في ظلمات الباطل عائمة،
وقادها إلى النور وكانت في دياجير الزّور قائمة.

[مقامات القرني: ٦٨]

حياة الصحابة

إن قلوبهم تعيش المبادئ الحقّة التي بعث بها الرسول ﷺ، والمثل السامية،
فهم في أعمال قلبية، وفي روحانية قُديسة يُبصرون بها الحق، ويُبصرون بها
الباطل، فيعملون لذلك ويجتنبون هذا، ويُدركون قيمة الشيء وحقيقة الأمر،
وسرّ المسألة.

[لا تحزن: ٣٥٢]

نعمة الوسادة

توسد سفيان الثوري كومة من التراب في مزدلفة وهو حاج، فقال له
الناس: أفي مثل هذا الموطن تتوسد التراب وأنت محدث الدنيا؟ قال: لمخدتني
هذه أعظم من مخدة أبي جعفر المنصور الخليفة.

[لا تحزن: ٢٤١]

وإن تعجب

عجبت لعظماء عرفهم التاريخ، كانوا يستقبلون المصائب كأنها قطرات
الغيث، أو هفيف النسيم.

[لا تحزن: ٢٣٣]

«عائض» والجمال

الجمال ليس بعين حوراء، ولا بأكتافٍ وأردافٍ كما يراه
الناس، إنما هو بجمال الخلال والخصال والأخلاق، وصدق من
قال:

ليس الجمالُ بمئزرٍ فاعلم وإن رديتُ بُرداً

إن الجمال محاسنٌ ومناقبٌ أورثن حمداً

والقرني يرى الجمال في بديع صنع ذي الجلال يراه في
النهر والجبل، والشط.. والروض.

يرى الجمال في الليل إذا عسعس، وفي الصبح إذا تنفس،
وفي الطيور تلقي قصائد الحبّ والحنان على منابر الأغصان؛
وفي الحمام حين ينشد إلياذة الأشواق قبل الفراق..
ولسان حاله:

من لا يرى هذا الوجود بقلبه

خسر الجمال وما رأيت عيناهُ



فافتح كتاب الكون تقرأ قصةً

هل في الوجود حقيقةً إلا هو

جل ذكره..

إن الجمال هو في طاعة ذي الكمال والجلال جل في علاه..

ليس إلا..

ليس في كنزٍ، ولا «جنزٍ»، ولا «بنز»..

إن أعظم معاني الجمال هي التفكير في آلاء ذي الجلال، وإسعاد الإنسانية، بنشر التوحيد والوحدانية..

هذا الجمال... ليس إلا...

ليس القرني ممن تغنى بقلمه في الحدود، والقُدود والعيون السود،
والأرداف والنهود، لا...

إنما هو من قوم لهم ألباب يتأملون معاني الجمال بها في هذا
الكون البديع.

وفي كل شيء له آيةٌ

تدلُّ على أنه الواحد..

فواعجباً كيف يُعصى الإله

أم كيف يجحده الجاحد.

معاني الجمال

الجمال في الروض الجذاب، بجماله الخلّاب، طيور تُلقِي قصائد الحنان، على منابر الأغصان، وحمّام ينشد إلياذة الأشواق، على أطراف الأوراق، وماء يُسكب، ونسيم يُكتب، أنهار ودوح، ومِسْك على الروض يفوح، يظهر فيه الحُسن الباهي، والإبداع الإلهي ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى .

انظر إلى الروض واشهد أن مُبدِعَهُ
رَبُّ الْوُجُودِ عَظِيمُ الْقَدْرِ وَالشَّانِ

وَسَرَّحَ الطَّرْفَ فِيمَا شِئْتَ مِنْ حَسَنِ
مَا بَيْنَ زَهْرٍ وَأَطْيَارٍ وَأَغْصَانِ

الجمال في الصبح إذا تنفّس، فسبحان من صوّره وتقدّس، الصّبح بطلعته الأسرة، وإطلائته الباهرة، الصّبح وهو يغشى العالم، ويمرّ على كل قاعد وقائم، الصّبح وهو ينشر عباءته الذهبية على الوجود، فيكاد يكلمه من حسنه الجلمود، الصّبح يوم يتوضأ الفكر في عباب نوره، ويغتسل القلب في بحر سروره، وتسرح النفس في مهرجان عرسه، وتتصت الروح لهُمسهِ وجرسهِ.

الجمال في الليل إذا عسعس، وأقبل في هدوء يتوجّس، يُقبل الليل بردائه الأسود، وشعره المجمعّد، فيستر الأحياء بثيابه، ويضع الأشياء تحت جلبابه، فيملاً بجيشه المساكن، في كل متحرّك وساكن، والليل له هيبة في العيون، كأنه كتيبة تحمل المنون.

مَنْ لَا يَرَى هَذَا الْوُجُودَ بِقَلْبِهِ
خَسِرَ الْجَمَالَ وَمَا رَأَتْ عَيْنَاهُ

فافتح كتاب الكون تقرأ قصة هل في الوجود حقيقة إلا هو

[مقامات القرني: ٣٧٤ - ٣٧٥]

جمال المعاني، والمباني..

تأثير يسافر إلى أعماق الأرواح، وأسر يشد ما اهتز من الصور والأشباح،
نبأ يترك العاقل متفكراً، وخبر يجعل الإنسان متذكراً، حقيقة تغوص في
الضمائر، وطهر يرسخ في السرائر، موكب من النور يجتث أكوام الرذيلة،
فيض من الحق يحمل معاني الفضيلة، قافلة من الصلاح تطوي صحراء
النفوس طياً، نهر من البر يروي القلوب العطشى رياً، إيماء وإيجاز، وإفحام
وإعجاز، عذوبة وحلاوة، وسلاسة وطلاوة، قوة وأصالة، فصاحة وجزالة، لغة
جميلة، مقاصد جليلة، براعة استهلال، وحسن تفصيل وإجمال، يسافر بقلبك
إلى عالم الخلود، ويرتحل بروحك إلى حقيقة الوجود، ويغسل ضميرك من
لوثة الخيانة، ويظهر كيانك بماء الأمانة، مشاهد وصور، وأحداث وعبر،
وأخبار وسير، وقصص وأمثال، وأفعال وأقوال، عالم الحياة بأريجيه وضجيجيه،
وعالم الموت بأناته ونشيجيه، دول تمر مر السحاب، وملوك تدس في التراب،
تقرأ هذه المعجزة الخالدة، فإذا الأمم البائدة، حضارات تسقط كأوراق التوت،
وممالك تنهار كبيت العنكبوت، والقرآن يناديك من أطراف لُبك، ومن
سويداء قلبك.

[مقامات القرني: ٣٧٨]

إِنَّهُ اللَّهُ

كلُّ في فلكٍ يَسْبَحُ، وكلُّ في عالمٍ يَمْرَحُ، شمسٌ تجري كأنها تبحث عن مفقود، قبل أن تطلع وتسجد للمعبود، آية باهرة، وحكمة ظاهرة، في خلق الإنسان ذلك الكيان، الذي يحمل جامعات من السَّكَنَاتِ والحركات، فذهنٌ متوقد، وقلب متجدد، وخيال يطوي الزمان والمكان، ويُناقل الإنسان، بين خوف وأمان، وذاكرة حافظة، وألسنةٌ لأفظة، وشركات في كل الأعضاء، منها يجذب الهواء، ويسحب الماء، ويهضم الغذاء، ويجلب الدواء، ويذهب الداء، ما بين دفع وضغط، وإخراج وشفط، ومؤسسات تشارك في بناء الجسم، وفي قيام الرسم، ليكون في أحسن تقويم، وأكمل تنظيم، في الطَّيْر وهو يبحث عن طعامه، ويعود إلى مستقره ومنامه، في الكائنات وهي في صراع محموم، وفي هُموم وهُموم، لتحصل على رزقها المقسوم، وعيشها المعلوم، في الإنسان وهو يفكر ويقدر، ويقدم ويؤخر، ويخطط وينظر، في الجبال واقفة في هيبة وجلال، في الروابي الخضراء آية في الجمال، في العافية والأسقام، في الحقيقة والأحلام، في اليقين والأوهام، في الإقدام والإحجام، في السَّحاب والسَّراب، والضباب والرَّضاب.

[مقامات القرنى: ٨٥ - ٨٦]

من معاني الجمال

فرَّجَ عن مكروب، وأعطى محروماً، وانصرَّ مظلوماً، وأطعم جائعاً، واسقَّ ظامئاً، وعَدَّ مريضاً، وشيَّع جنازةً، ووَّاسٍ مصاباً، وقَدَّ أعمى، وأرشد تائهاً، وأكرم ضيفاً، وبرَّ جاراً، واحترم كبيراً، وارحم صغيراً، وابذل طعامك، وتصدق بدرهمك، وأحسن لفظك، وكفَّ أذاك، فإنه صدقة لك.

إن هذه المعاني الجميلة، والصفات السامية، من أعظم ما يجلبُ السعادة،
وانشراح الصدر، وطرد الهمِّ والغمِّ والقلق والحزن.
لله درُّ الخُلُق الجميل، لو كان رجلاً لكان حَسَنَ الشَّارة، طيِّب الرائحة
حَسَنَ الذِّكْر، بِاسْمِ الوجه.

[لا تحزن: ٣٢٢]

إن العيون التي...

الجمال في العين بلونها الأسود، وبجفنها المقعد، بسحر نظرتها، وروعة
خَطرتها، مدوِّرة في بهاء، متحرِّكة في سناء، لها في الظلام بريق، ولها في
الحركة تلفَّت رشيق، عليها رمش يحميها، ويفسلها ولا يُدميها، وهي في نهر
من الماء تسبح، وفي هالة من النور تمرح، في نظرها أسرار، وفي تلفَّتِها
أخبار، لها لغة تفهمها القلوب، ولها سِحْر تكاد منه النفوس تذوب. في طَرفها
حَوَر، يقتل من نظر، لها في النفوس إيماءات، وفي الأرواح إضاءات، يعرف بها
الرِّضا والغضب، والجَدَّ واللَّعب.

[مقامات القرني: ٣٧٣]

عالم الحب

مَهر الجنة عند بلال السُّنَّة، ركعتان ودمعتان. الحبُّ لا يعترف بالألوان ولا
بالأوطان، والدليل بلالٌ وسلمان، بلال أبيض القلب أسود البشرة، فصار
بالحبِّ مع البرَّة، وأبو لهب بالبُغض طُردَ من أهل البيت، وسلمان نال بالحبِّ
جائزة: «سلمان منا أهل البيت».

دعني من حبّ مجنون ليلي، ومحبوب سلمى، ومعشوق عفرأ، فلطالما
 لطخت بأشعارهم الطروس، وضاقَت بأخبارهم النفوس، وخذعت بقصائدهم
 الأجيال، واتَّبَعَهُم الضلال. حدَّثني عن أنباء الأنبياء، وهم من أجل حبِّ الربِّ
 يهجرون الآباء والأبناء. فإبراهيم يتبرأ من أبيه، ونوح من بنيهِ، وامرأة فرعون
 تلغي بنفسها عقد النكاح؛ لأن البقاء مع الكافر سفاح.

هذا هو عالم الحب بتضحياته، بأفراحه وأتراحه، وهو حبُّ يصلك
 برضوان من رضاه مطلب، وعفوه مكسب.

[مقامات القرني: ٣٥٦]

حقيقة الحب

بيت لا يقوم على الحبِّ مهدوم، وجيش لا يحمل الحبَّ مهزوم.
 لكنَّ أعظمَ الحبِّ وأجلَّه، ما جاءت به الملة. جملُ كلمةٍ في الحبِّ قولُ الربِّ:
 ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. فلا تطلب حبًّا دونه.

[مقامات القرني: ٣٥٤]

جنة الحب

الحبُّ على المُحِبِّين فرض، وبه قامت السموات والأرض، من لم يدخل
 جنةَ الحبِّ، لن ينال القُرب، بالحبِّ عبيدَ الربِّ، وتُركَ الذَّنْب، وهانَ الخُطب،
 واحتُمِلَ الكرب.

عقل بلا حبٍّ لا يفكر، وعين بلا حبٍّ لا تبصر، وسماء بلا حبٍّ لا تُمطر،

ورَوْضَ بِلَا حَبٍّ لَا يُزْهَرُ، وَسَفِينَةَ بِلَا حَبٍّ لَا تُبْحِرُ. بِالْحَبِّ تَتَأَلَّفُ الْمَجَرَاتُ،
وَبِالْحَبِّ تَدُومُ الْمَسَرَّاتُ، بِالْحَبِّ تَرْتَسِمُ عَلَى الثَّغْرِ الْبَسْمَةُ، وَتَتَطَلَّقُ مِنَ الْفَجْرِ
النَّسْمَةُ، وَتَشْدُو الطُّيُورُ بِالنَّغْمَةِ، أَرْضُ بِلَا حَبٍّ صَحْرَاءُ، وَحَدِيقَةُ بِلَا حَبٍّ
جَرْدَاءُ، وَمُقَلَّةُ بِلَا حَبٍّ عَمِيَاءُ، وَأُذُنُ بِلَا حَبٍّ صَمَاءُ.

شَكَأَ أَلَمَ الْفِرَاقِ النَّاسَ قَبْلِي
وَرُوعَ بِالْجَوَى حَيٌّ وَمَيِّتٌ
وَأَمَّا مِثْلُ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي
فَإِنِّي مَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ

[مقامات القرنين: ٣٥٣ - ٣٥٤]

نعم الرفيق

وَالْكِتَابُ إِذَا خَانَ الصَّدِيقُ وَفَى، وَإِذَا تَكَدَّرَ الزَّمَانُ صَفَا، يُنْسِيكَ جُحُودَ
الْجَاهِدِ، وَحَسَدَ الْحَاسِدِ، وَضَغِينَةَ الْحَاقِدِ، خَلِيلٌ مَا أَمْلَحَهُ، وَصَاحِبٌ مَا
أَصْلَحَهُ، وَصَامِتٌ مَا أَفْصَحَهُ، يَقْرَأُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَيَطَالِعُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، عَلَى
اِخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ، وَتَبَاعُدِ الْأَمْصَارِ، بِشِيرٍ وَنَذِيرٍ، وَنَدِيمٍ وَسَمِيرٍ، إِذَا وَعَظَ
أَبْكَاكَ، وَإِنْ حَدَّثَ أَشْجَاكَ، وَإِذَا فَرَحَ أَضْحَكَ، وَإِذَا بَشَّرَ أَفْرَحَكَ، سَلِيمٌ مَنْ
الْعَيْبِ، يُحْمَلُ فِي الْجَيْبِ، لَا يَشْرَبُ وَلَا يَأْكُلُ، وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَجْهَلُ، إِنْ هَجَرْتَهُ
حَفِظَ وَدَّكَ، وَإِنْ طَلَبْتَهُ صَارَ عِنْدَكَ.

يُغْنِيكَ عَنِ الْأَرْحَامِ، وَالْأَحْبَابِ وَالْأَصْحَابِ، فَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الْأَنَامِ كِتَابٌ.

[مقامات القرنين: ٢٩٨]

إنه الذكر

كل مؤلف له عنوان، والقرآن كتاب الرحمن. كل مؤلف إذا ألف كتاباً، أو دبح خطاباً، اعتذر في مقدمته إذا خالف صواباً، إلا الله فإنه تحدّى فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فعجز كل ذي فيه، تقرأ المصنّفات، وتطالع المؤلفات، وتسمع القصائد، وتعجبك الفوائد، تُشجيك الشوارد، ثم تسمع القرآن المرتل، فإذا هو الأكمل والأجمل والأنبل. قرآن يخاطب النفس فتخضع، والقلب فيخضع، والروح فتقنع، والأذن فتسمع، والعين فتدعم، ولو نزل على صخر لتصدّع. له حلاوة وعليه طلاوة، لا يشبع منه العلماء، ولا يروى منه الحكماء، أفحم الخطباء، وأخرس الفصحاء، وأسكت الشعراء، وأدهش الأذكياء، وتحدى العرب العرياء. قوة برهان، وإشراق بيان، ووضوح حجة، واستقامة محجة، تتحكم العقول إليه ولا يقاس أي كتاب إليه، حارت الأذهان في وصفه، وعجبت البشرية من سبكه ووصفه، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، تلاوته تذهب أحزانك، وتثير أشجانك، وترفع شأنك، وتثقل ميزانك، وتخسئ شيطانك، وتثبت إيمانك.

[مقامات القرني: ٩٥]

لا للدروشة

الله جميل يحب الجمال، خلق حدائق ذات بهجة، وخلق النخل باسقات لها طلع نضيد، يحب المظهر الجميل، والمخبر الجميل، ولا يعترف بالدروشة، وتهميش الأنافة، والرسول ﷺ طيب الطلعة، جميل الصورة، زكي الرائحة، حي العواطف، وافر المشاعر، جاء يؤيد الفطرة، ويعلم الإنسان معنى الحياة، والله

يكره البؤس والتباؤس، وظن بعض الناس أن النسك لبس الثياب الممزقة، وبعثرة شعر اللحية، وهجر الطيب، والتجافي عن نظافة الجسم، والتماوت في المشية، وتنكيس الرأس كما يفعل الرهبان، وهذا كله ما أنزل الله به من سلطان، كان عمر - رضي الله عنه -، وهو من أفضل النساك، إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع.

[حدائق ذات بهجة: ٢٠٤]

هذا القائد

أصدق الناس لهجة، وأبرهم قلباً، وأشرحهم صدرأً، وأعظمهم حلمأً، وأسدهم رأياً، وأقواهم بصيرة، وأحسنهم هديأً، وأجملهم طريقة، وأنقاهم نفسأً، وأنقاهم سريرة، وأبينهم خطابأً، وأثبتهم جنانأً، وأسلمهم جانبأً، وأرضاهم سجية، وأقومهم قيالأً، وأعدلهم حكماً، وأوصلهم رحماً، وأظهرهم عرضأً، وأكرمهم يدأً، وأظهرهم حجة، وأمضاهم عزيمة، وأنبلهم سجية، وأعرقهم نسبأً، وأفضلهم حسبأً، وأوسطهم طريقة، وأوضحهم مذهبأً، وأجلهم قدراً، وأعزهم فخراً.

[حدائق ذات بهجة: ١٩]

الحبيب

هو جميل الصفات مشرق المحيأً، قريب من القلوب، حبيب إلى الأرواح، سهل الخليفة، ميسر الطريقة، مبارك الحال، تعلوه مهابة وتراقفه جلالة، على

وجهه نور الرسالة، وعلى ثغره بسمة المحبة، حي القلب، ذكي الخاطر، عظيم الفطنة، سديد الرأي، ريان المشاعر بالخير، يسعد به جلسه، وينعم به رفيقه، ويرتاح له صاحبه، يحب الفأل ويكره الطيرة، يعفو ويصفح، ويسخو ويمنح، أجود من الريح المرسله، وأكرم من الغيث الهاطل، وأبهى من البدر، وسع الناس بأخلاقه وطوق الرجال بكرمه، وأسعد البشرية بدعوته، من رآه أحبه، ومن عرفه هابه، ومن داخله أجله، كلامه يأخذ بالقلوب، وسجاياه تأسر الأرواح.

ثَبَّتَ اللهُ قلبه فلا يزيع، وسَدَّدَ كلامه فلا يجهل، وحفظ عينه فلا تخون، وحسَّنَ لسانه فلا يزل، ورعى دينه فلا يضل، وتولَّى أمره فلا يضيع، فهو موفَّقٌ محفوظ مبارك ميمون ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾. يقول عليه الصلاة والسلام: «إن اتقاكم وأعلمكم بالله أنا»، ويقول: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله». ويروى عنه أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فسبحان من اجتباه واصطفاه وتولاه وحماه ورعاه وكفاه، ومن كل بلاء حسن أبلاه.

[محمد ﷺ كأنك تراه: ٢٤ - ٢٥]

دفتر الحب

لا أستطيع أن ألزم الحياد في كتاباتي عن أحب إنسان إلى قلبي: محمد رسول الله ﷺ، إننى لا أكتب عن زعيم سياسي قدّم لشعبه أطروحته وعرض على أتباعه فكرته، ليقيم دولة في زاوية من زوايا الأرض، بل أكتب عن رسول رب العالمين، والمبعوث رحمةً للناس أجمعين.

ولن ألزم الحياد وأنا أكتب عنه؛ لأنني لا أكتب عن خليفة من الخلفاء له جنود وبنود، ولديه حشود، وعنده قناطير مقنطرة من الذهب والفضة والخيول المسوَّمة والأنعام والحرث، ولكنني أكتب عن الرحمة المهداة والنعمة المسداة: محمد رسول الله ﷺ.

ولن ألزم الحياد لأنني لا أتكلم عن سلطان من السلاطين قهر الناس بسيفه وسوطه، وأخاف الناس بسلطانه وهيمانه وصولجانه، لكنني أتكلم عن معصوم شرح الله صدره ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره.

ولن ألزم الحياد لأنني لا أتكلم عن شاعر هدار، أو خطيب ثرثار، أو متكلم مؤار، أو فيلسوف هائم، أو روائي متخيل، أو كاتب متصنع، أو تاجر منعّم، بل أتحدث عن نبيٍّ خاتم، نزل عليه الوحي، وهبط عليه جبريل، ووصل سدرة المنتهى، له شفاعة كبرى، ومنزلة عظيمة، وحوض مورود، ومقام محمود، ولواء معقود، فكيف ألزم الحياد إذاً؟

أتريد أن أحبس عواطفني وأن أقيد ميولي وأن أربط على نبضات قلبي وأغلى رجل وأعز مخلوق على نفسي؟ إن هذا لشيء عجاب.

أتريد مني أن أكفكف دموعي وأنا أخطُّ سيرته، وأن أحمّد لهيب روعي وأنا أسطر أخباره، وأن أجمّد خلجات فؤادي وأنا أدبج ذكرياته؟ لن أستطيع هذا، كلاً وألف كلاً.

لأنني أكتب عن أسوة وإمام معي بهداه في كل شاردة وواردة، أصليُّ فأذكره؛ لأنه يقول: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي»، أحجُّ فأذكره؛ لأنه يقول: «لتأخذوا عني مناسككم»، في طرفة عين أذكره؛ لأنه يقول: «من رغب عن سنتي فليس مني»، في كلّ لحظة من حياتي أذكره؛ لأن الله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

إننى أكتب عن أغلى الرجال وأجل الناس وأفضل البشر وأزكى العالمين،
مرجعي في ذلك دفتر الحب المحفوظ في قلبي، ومصدري في ذلك ديوان
الإعجاب المخطوط في ذاكرتي، فكأنني أكتب بأعصاب جسمي وشرابين
قلبي، وكأن مدادي دمي ودموعي:

إن كان أحببتُ بعد الله مثلهُ في
بدوٍ وحضر ومن عُرِب ومن عجم

فلا اشتفى ناظري من منظرِ حسنٍ
ولا تفوه بالقولِ السديد فمي

[محمد ﷺ كأنك تراه: ١٣ - ١٤]

الآية الخالدة

القرآن المعجزة الخالدة، حيث العدل في الحكم، والصدق في الخبر،
والبيان في القول، والتأثير في السامع، واليقين في النقل، والوضوح في الدلالة.
كل آية نجمة في سماء البيان تلمع أمامك، وتشع فوقك، وكأنها تتاديك:
انظر وتأمل وتدبر، أنا حقيقة في ديوان البيان، أنا قصة في دفتر الخلود، أنا
أعجوبة في سفر المعرفة.

كل سورة هالة من الحسن في عيد البلاغة، وعروس من البهاء في
مهرجان الإعجاز، وحديقة غناء في أرض الفصاحة، يا أحياء، يا فصحاء،
يا بلغاء، يا خطباء، يا شعراء، أسألكم بالله هل طرق المسامع مثل القرآن بياناً
وجاذبية؟ هل وقع في القلوب مثل القرآن يقيناً وهدى؟!

هل قرأت العيون مثل القرآن جمالاً وإبداعاً؟!

هل ذقت الأرواح مثل القرآن حلاوة وطلاوة؟!

هل هز منابر الدنيا مثل القرآن تأثيراً وتمجيذاً؟!

هل جلجل في النوادي مثل القرآن براءة وإشراقاً؟!

يا حملة الأقلام والمحابر، يا أهل الصحف والدفاتر، يا رواد النوادي والمنابر،
بالله هل ذقتم كالقرآن يوم صارت كل آية مائدة من النور والحبور والسرور؟!

[العظمة: ٢٦٥ - ٢٦٦]

إلا يسبح بحمده

لو فهمنا نطق الكائنات، ولو سمعنا خطاب المخلوقات، ولو علمنا منطق الطير
في السماء، ولغة السمكة في الماء، لعجبنا من لهج الجميع بلا إله إلا الله.

لو تحدثت الشجر، وتكلم الحجر، ولو صاحت الجداول، وأنشدت الخمائل
لما سمعنا فيها غير: الله الله.

زمجر الرعد ليقول هذه بشارة رحمته فكيف نذير عذابه، لمع البرق
ليقول: هذه بسمه فرجه بنزول الغيث على عباده.

شمخت الجبال كأصابع المسبحين، وصمتت كأنها الشيوخ الخاشعين
ولسان الحال والمقال ينادي: تبارك الله أحسن الخالقين.

إذا رأيت الروض البهيح، وشممت الأريج، ونظرت إلى الألوان الزاهية،
والأشكال الباهية، ولمحت الحسن المتناهي، والجمال الفائق، والمنظر الخلاب،

والسحر الجذاب، والتركيب البديع، الغمام ينقط، والحمام يلقط، والورق يسقط، والشعاع يسري، والكون في مهرجان حافل يمدح الملك القدوس بقصائد العظمة ولسان الحال يهتف تبارك ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾.

[العظمة: ١٨٢ - ١٨٣]

تعريف الحب

الحب أرق كلمة في قاموس الحياة، وأجمل لفظة في دفتر الوجود، وأبهى عبارة في ديوان المعرفة، إنه صلة الروح بالروح، وضم القلب للقلب، وعناق النفس للنفس، وأعرف الناس بمعاني الحب وأسراره هم الشعراء؛ لأن عواطفهم جائشة، وجوانحهم مجنحة، ومنهم كبيرهم الذي علمهم سحر الكلمة وهو المتنبئ.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة: ٢٠٤)]

الحب

ماء الحياة، وغذاء الروح، وقوت النفس، تعطف الناقة على حوارها بالحب، ويرضع الطفل ثدي أمه بالحب، وتبني الحمرة عشها بالحب، بالحب تشرق الوجوه، وتبتسم الشفاه، وتتألق العيون، بالحب يقع العناق والضم والوصال والحنان والعطف، الحب قاضٍ في محكمة الدنيا، يحكم للأحباب ولو جاروا، ويفصل في القضايا لمصلحة المحبين ولو ظلموا، بالحب وحده تقع جماجم المحاربين على الأرض كأنها الدنانير؛ لأنهم أحبوا مبدأهم، وتسيل نفوسهم على

شفرات السيوف؛ لأنهم أحبوا رسالتهم، أحب الصحابة المنهج وصاحبه، والرسالة وحاملها، والوحي ومنزله، فتقطعوا على رؤوس الرماح طلباً للرضا في بدر وأحد وحنين، وهجروا الطعام والشراب والشهوات في هواجر مكة والمدينة، وتجاؤا عن المضاجع في ثلث الليل الغابر، وأنفقوا النفائس طلباً لمرضاة الحبيب.

[ضحايا الحب: ٩]

ما الحب؟

لا أعلم كلمة في قاموس العربية تعبر عن الحب مثل كلمة (الحب)، فليس هناك أصدق من (الحاء والباء) في دلالتهما على هذا المقصود العظيم، فالحاء تفتح الفم فيبقى فارغاً حتى تأتي الباء فيُضم الفم وتُطبق الشفتان، إذاً هنا اجتماع بعد فرقة ووصل بعد هجرًا.

[ضحايا الحب: ١٤]

دنيا الرضى

كلمة (حب) عالم من المودة والصلة والأنس والرضى والراحة، وهي دنيا من الأمل والفأل الحسن، والأمس الجميل، واليوم الحافل، والغد الواعد.

إنها رحلة في عالم التآلف والتآخي، والتفاهم والتكاتف، والتضامن والتعاون، في كلمة (حب) بسملة وضمة ولهفة واشتياق ولوعة!.

إذا قلت: (حب) تداعت الذكريات القديمة، وثارت المعاني الجميلة، وحضرت المواقف المشجية، واستعادت النفس شبابها، والقلب أمله، والروح إشراقها، والمجلس بهجته، والحضور أنسه.

[ضحايا الحب: ١٤ - ١٥]

كتاب كريم

إن صرعى الشبهات لا يعجبهم القرآن، وإن عبید الشهوات لا يهزهم هذا الكتاب العظيم؛ إن القرآن يعجب سليم الفطرة، بريء الضمير، حي القلب، مشبوب العاطفة، متوقد الذهن، صافي القريحة، فهذه أرض طيبة خصبة لغيث البيان ومطر الفصاحة العذب.

مرت بي مئات المقالات والقصائد؛ فوجدتها ثقيلة وبيلة لا تستحق الاهتمام والمطالعة، مهلهلة السبك ضعيفة البناء، ركيكة اللفظ، ماتت قبل أن تولد، ودفنت قبل أن تحيا جزاءً وفاقاً، وبقيت الكلمات الآسرة الساحرة الساطعة خالدة خلود الحق، لامعة لموع الفجر، جميلة جمال الإبداع.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ٢٤]

برقيات الحب

الحب على المحبين فرض، وبه قامت السماوات والأرض، من لم يدخل جنة الحب، لن ينال القرب، بالحب عبد الرب، وترك الذنب، وهان الخطب

واحتُمِّل الكرب، عقل بلا حب لا يفكر، وعين بلا حب لا تبصر، وسماء بلا حب لا تمطر، وروض بلا حب لا يزهر، وسفينة بلا حب لا تبجر.

بالحب تتألف المجرة، وبالحب تدوم المسرة، بالحب ترسم على الثغر البسمة، وتنطلق من الفجر النسمة، وتشدو الطيور بالنغمة، أرض بلا حب صحراء، وحديقة بلا حب جرداء، ومقلة بلا حب عمياء، وأذن بلا حب صماء! الحب هو بساط القربى بين الأحباب، وهو سياج المودة بين الأصحاب:

شكا أَلَمَ الفراقِ الناسَ قبلي
ورُوعَ بالنوى حيٌّ ومَـيِّتٌ
وأما مثلُ ما ضمتُ ضلوعي
فإني ما سمعتُ ولا رأيتُ!!

[ضحايا الحب: ٢٤]

وثيقة الحب

الحب الصادق في جامعة (إن المسلمين والمسلمات)، والغرام الرخيص في مسرح الفنانين والفنانات. استعرض نصوص الحب في وثيقة الوحي المقدس، لترى فيها حياة الأنفس، فالحب السماوي يدعو العبد إلى حياة مستقيمة، ليجد فضل الله ونعيمه، أما الحب الأرضي فإنه يقتل الإنسان ويجعله بلا قيمة.

[ضحايا الحب: ٣٢]

حُبُّ وَحْبٍ

جرير يشكو العيون السود، وبشار يشكو الصدود، والشريف الرضي يشكو فتنة الخدود، وكأن الحياة لديهم اختصرت في امرأة حسناء، وكأن العمر يتسع لهذا الهراء، ويحسبون أن الناس من أجلهم تركوا المنام، وهجروا الطعام!.. إذا افتخرنا على الغرب بأن لدينا نساء حسناوات، وفتيات فانتات، قالوا لنا: عندنا في ذلك مسارح ومسرحيات، ومغامرات وغراميات، لكن فخرنا على الناس أن لدينا رسالة ملأت الكون نوراً، والعالم حبوراً، والدنيا طهوراً.

[ضحايا الحب: ٣٥]

ورقة بيضاء

المرأة صحيفة بيضاء، يكتب فيها الرجل ما يشاء، من حُبٍّ وعتاب، وغضب وسُبَاب، وهي روضة خضراء، وحديقة فيحاء، فيها من كل زوج بهيج، ومن كل شكل مزيج، أمضى سَيُوفَهُنَّ الحُبُّ، يصرعن به ذا اللُبِّ، ويُقَارِع الجنود، ثم تغلبه ذات الخدود!..

المرأة ولو أنها في الخصام غير مبين، فدمعها أفصح شيء عند المُحِبِّين، سِرِّ قَوَّتِهَا أنها ضعيفة، ولُغْزُ بَاسِهَا أنها لطيفة.

[مقامات القرنين: ٥٥٢]

بدونها

البيت بلا امرأة محراب بلا إمام، وطريق بلا أعلام، إذا اختفت المرأة من الحياة، اختفت منها القُبُلَات، والبسمات، والنظرات، والعَبَرَات.

وإذا غابت المرأة من الوجود غاب منه الإخصاب والإنجاب، والكلمات العذاب، والعيش المُستطاب.

[مقامات القرني: ٥٥٤]

ماذا فعلوا بها؟؟؟

ماذا فعل بالمرأة سقراط وبقرات وديمقراط، أهل الأوهام والأغلاط، جعلوها شيطانة، وسمّوها الفتّانة، وإنما هي في بعض الأوقات قهرمانة، وريحانة.

أما الفُرس، البُكم الخُرس، فجعلوها خادمة للمال والنفوس، بل قال بزرجمهر: المرأة ليست بإنسانة فلا تمول ولا تمهر، وهذا غاية التهور.

أما أهل الوثنية، ودُعاة الجاهلية، فحرموها من الميراث، حتى جعلوها أرخص من الأثاث، ووأدوا البنات، وقتلوا الأخوات، وعقّوا الأمهات، وليس لها عندهم قيمة، فهي في منزلة البهيمة، فهي عندهم حقٌّ مُشاع، للخدمة والمتاع.

أما الغرب فهي عندهم للمُغريّات ورقة رابحة، أبرزوها في صور فاضحة، أخرجوها بلا أدب ولا دين، وعرضوا صورتها في الميادين، باعوها في سوق النخاسة، ووظّفوها للرّجس والخساسة، وأقحموها مغارات السياسة.

وما كَرَّم النساء، مثل صاحب الشريعة السّمحاء، والمَلّة الغرّاء، فقد بيّن بقوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ»، ويا معاشر الأمم هل عندكم حديث «الله الله في النساء فإنّهنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ».

[مقامات القرني: ٥٥٦ - ٥٥٧]

لغة القلوب.. المرأة

هي بيت الحسب والنسب، وجامعة المثل والأدب، ذهبُ بلا امرأة لهب، وجوهر بلا امرأة خشب، تقرأ في نظراتها لغة القلوب، وتعلم الحب من هجرها المحبوب، وبالمراة عرف الهجر والوصال، والاتصال والانفصال، والغرام والهيام، والبراءة والالتهام، تقتل بالنظرات، وتخطب بالعبرات، كلامها السحر الحلال، ولفظها العسل السيال، بسمتها ألدُّ من العنب والتوت، وهي أسحر من هاروت وماروت، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾، كل مهجة فهي لنا مدينة، وأفضل النسوان، الحصان الرزان، ألفاظها أوزان، وعقلها ميزان، إذا تحجبت فشمس في غمام، وظبي في خزام، هي رواية تترجمها الأرواح، وهي مسك تذرّوه الرياح، في شفتيها ألف قصة، وفي أعماقها سبعون غصة، ليلى جعلت نهار المجنون ليلاً، وصيرت عزة دموع كثيرٍ سيلاً.

لَيْلِي وَلَيْلَى نَفَى نَوْمِي اخْتِلَافَهُمَا

فِي الطُّولِ وَالطُّولِ طُوبَى لِي لَوْ اعْتَدَلَا

يَجُودُ بِالطُّولِ لَيْلِي كُلَّمَا بَخَلْتُ

بِالطُّولِ لَيْلَى وَإِنْ جَادَتْ بِهِ بِخِلَا

على شفتيها المطبقات سؤال، وفي جفنيها مقال، أحرف الحب صامته على محيّاها، وقصائد الغرام حائرة على رياها، حُسن الشمس من حُسْنها ينهار، والليل من شعرها يغار.

من النساء خديجة رمز الأدب، لها قصر في الجنة من قصب، لا صخب فيه ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾، ومن النساء عائشة بنت الصديق، صاحبة العلم والإتقان والتحقيق، المطهرة الطاهرة، صاحبة السجايا الباهرة، والمحامد الظاهرة، ومن

النساء فاطمة البتول، بنت الرسول، أم السبطين، الحسن والحسين، سيدة نساء العالمين، المقبولة عند رب العالمين.

ولو أن النساء كمن عرفنا

لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب

ولا التذكير فخر للهلال

[مقامات القرني: ٥٥٠ - ٥٥١]

الأم

الأم الحنون، صاحبة الشجون، خير من رثى وبكى، وأفجع من تألم وشكا، لبنها أصدق طعام، وحضنها أكرم مقام، ثديها مَوردِ الحنان، وحشاها مهبط الإنسان، في عينها أسرار، وفي جفنها أخبار، في رضاها معاني الجود، وفي ضمها الودَّ المحمود، قُبَلاتها لطفها صلوات القلب، وبرّ طفلها لها مرضاة الربّ، شبعها أن لا يجوع وليدها، وجوعها أن لا يشبع وحيدها.

[مقامات القرني: ٥٥٠]

«عائض» والأدب

قم شاعر الدنيا وخاطب شعبنا

بقذائف الأبيات والأشعار

ينسى نفسهُ القرنيُّ إن أمسك قلمهُ وراح يخط من يراعه
أبياتاً..

نعم.. ينسى نفسه، أو يكاد.. وهو يهيم في بساتين
المعاني.. وفي جنان البلاغة..
القرنيُّ من حيث هو.. محبٌ للشعر وقد صرح بذلك في
غير ما مرة إذ يقول:

«وأحببت الشعر»، ويقول: «كنت في الصبا أعجب بالكلمة
الجميلة.. أنصت لها، أتمتع بحسنها، ويشدني جرسها ويخلبني
سرّها، ويدهشني أسرها...» أ. هـ (إمبراطور الشعراء ص ١٩)
فهو أسير في الهوى السحباني، سنانهُ يمانِي، وبيانهُ
المثاني..



لَهُ منظومات، ودواوين، وفي شعره نُخبٌ تصطفى، وفيه دون ذلك،
لكنه مغرمٌ بالقصيد، والنشيد..

(قلبه بالسمعاني قوَّار، ولسانه بالمباني موَّار..)

فلله دره...، وطالع معي ما سطره يراعه من بديع ما كتب:

سَرَّحَ الطرفَ على تيكِ المغاني

وانتق من أعذب الشعر المعاني

وَصَغَّ الحرفَ على قافيةٍ

حسنها ترويه من سبعِ مثاني

وَحُضَّ اللجةَ يا هذا فلي...

... منهجٌ سُنِّي والسيفُ يمانِي

ويساتين الرضا مزهرةً

ريحها يعبقُ فلا أقحواني

واركب العزم فذني عادتنا

وتجهز لنزالٍ وطعان

شعر

محمد اليامي

١٤٢٣ / ٦ / ١ هـ

الشاعر المبدع

هذا الشاعر ليس خاملاً يبحث عن المعاني المبتذلة عند الحاكمة والحلاقين والباعة، وليس بارداً يريد أن يقول كلاماً مقفً وحديثاً موزوناً، ولكنه مبدع حر ليس عادياً، عنده عاطفة فوّارة، ونفس جياشة، وهمة مجنحة، وذاكرة خلاقة، مع حياة مليئة بالعبر والتجارب؛ ولهذا كله صار أعجوبة في شعره، شاغل للمجالس؛ حاضر للنوادي وإلا فما معنى أن نرى لعشرات الشعراء أسفاراً من الأشعار في مجلدات ضخمة وإذا بها خامدة جامدة هامة ميتة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]، ولم يصل لنا من شعر مئات الشعراء إلا عشرات القصائد الشاردة التي هي عيون في الأدب مثل:

(قفنا نبك، وهذا الذي تعرف البطحاء وطأته، وعيون المها، والسيف أصدق أنباءً، وأمن تذكر جيران بذي سلم، وعلو في الحياة وفي الممات، ومجالس وحي مقفر العرصات، ..) مع قليل من القصائد في قوتها ثم تدرس بقية قصائدهم، ولا يدري بها إلا باحث، ولا يعثر عليها إلا منقب متخصص، إلا هذا المتنبي الأعجوبة، فمجل شعره ينشد بين الناس، وحكمته تدور بين العلماء، وقوافيه تدور دوران عيون المحبين في مجالس الأنس كما قال هو: «إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً».

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ٢٤]

حسبك الله أيها المتنبي

حسبك الله من شاعر تتحدى الأزمات، وتدوس المنايا، وتجتاح معاقل الخصوم، وتواجه الموت الكال بهمة كالدهر وعزيمة كالفجر.

والرجل مجروح في الصميم، مكلوم في سويداء القلب من أناس ما قدروه
حق قدره، وما احترموا منصبه السامي في الأدب:

سوى وجع الحساد داو فإنه
إذا حل في قلب فليس يحول

ولا تطمعن من حاسد في مودة
وإن كنت تبديها له وتنيل

هكذا جرب وذاق وجع الحساد، واكتوى بنارهم، وتلظى برمضائهم. إن
المتبئ شاعر مجدد في عالم الشعر، ليس تقليداً على مذهب شعراء
المناسبات، ورواد مقاهي النفاق السياسي، وضيوف حفلات مراسيم تكريم
الوفود، فهو لا ينتظر من الخليفة أن يقول: يا غلام أعطه ألف دينار، وأركبه
بغلاً، واهده جارية؛ كلا، بل هو كما قال عبدالله البردوني:

من تلظي لموعه كاد يعمى
كاد من شهرة اسمه لا يُسمى
من تُداجي يا بن الحسين أداجي
أوجهاً تستحق ركلاً ولطماً

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ٤٤٥]

إنه اللموع

بإمكانك أن تجعل من أشعاره جواباً لحواراتك مع محدثك؛ إن كنت فطناً
ذا بديهة حية وذاكرة حاضرة.

فإن لامك على حب فقل: «لا تعذل المشتاق»، وإن سأل عن حالك فقل: «واحر قلباه»، وإن شكى إليك تعب المعالي فقل: «لولا المشقة»، وإذا شكى إليك الدنيا فقل: «لحى الله ذي الدنيا»، وإن مدح لك رجلاً موصوفاً بالفضل فقل: «وإن تفق الأنام»، وإن ذكر لك لؤم أحد الأندال فقل: «وإن أنت أكرمت اللئيم تمرداً»، وإن أخبرك بمجاملاته لأعدائه فأنشده: «ومن نكد الدنيا على الحر»، وإن قال لك: لقد تعبت في سفرك إلينا فقل له: «جزى الله المسير إليك خيراً»، وإن شكى إليك الحساد فقل:

«إني وإن لمت حاسديّ فما ... أنكر أني عقوبة لهم».

وإن أخبرك ببعض المشكلات التي تواجهه فأنشده:

«إذا اعتاد الفتى خوض المنايا . فأهون ما يمر به الوحول»

وإن مدح لك امرأة بالدين والعقل والعلم فقل:

«ولو كان النساء كمن فقدنا . لفضلت النساء على الرجال».

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ١٠١]

المتنبي

هذا الشاعر انصهر مع الكلمة، وذاق البيان، وأشرب في قلبه الفصاحة فذابت حشاياه، وغلت مراجل فكره بجواهر من القول فاقت الوصف، والذي يعجبك في المتنبي هذا الاحتراق والإشراق، فهو محترق بهمومه وهمته وطموحاته، مشرق بعبقريته وإبداعه ونبوغه، وهو كما قال في ممدوحه:

وإن تفق الأنام وأنت منهم

فإن المسك بعض دم الغزال

ولك أن تقف أمام هذا البيت الذي يغنيك عن إسهاب من القول، وحواش من الحديث، فهو كما يقول لممدوحه: إنك وإن تفوقت على أقرانك، وتفردت بصفاتك عن بني جنسك، وتميزت هذا التميز المنقطع النظير، فلا غرابة في ذلك، فإن المسك على ندرته وشرفه وطيب رائحته وارتفاع ثمنه؛ من جنس دم الغزال.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ٣٣]

قصتي مع البيان

كنت في الصبا أعجب بالكلمة الجميلة، أنصت لها، أتمتع بحسنها، يشدني جرسها، يخلبني سرها، يدهشني أسرها، أسمع الكلمة البليغة من النثر والشعر فأجد لذة في سماعها، وتغمرني فرحة في تأمل بيانها، فالبيان سواء كان قرآناً أو حديثاً أو شعراً أو رواية هو منتهى الإبداع لدي، وأحياناً أتناول كلمات من القرآن فأقرأ ما كتب عنها المفسرون والبلاغيون ثم أعود بنفسني متأملاً متفكراً متدبراً، فأجد لها في أعماقي معاني لا أستطيع أحياناً أن أعبر عنها بلساني، وكم هي الآيات التي هزت كياني، وحركت أشجاني، وزلزلت أركانني، وقد تكون هذه الآيات وعظماً، أو قصصاً، أو حواراً، أو خطاباً، أو وصفاً، المهم أنني أعيش مواقف من التأثير لروعة البيان وجمال الخطاب. أ. هـ.

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ٢٤]

وهذا دافعٌ من دوافع إبداع شيخنا؛ في باب البيان، ومحبتة للشعر والفصاحة.. فتأمل.

تحية يا أبا الطيب

تحية طيبة يا أبا الطيب فقد حسونا كأس سحرك حتى ثملنا بياناً، أما أبياتك فالنجوم ضياء ورفعة، وأما قصائدك فالحدائق بهجة ونضرة.

من أين جئت يا أستاذ القافية، وكيف وصلت يا فيلسوف الإبداع. لقد عاش قبلك وبعدك آلاف الشعراء الذين ملؤوا الفضاء ضجيجاً، والكون صياحاً، ثم ماتوا وماتت أصواتهم، وبقيت أنت منشداً للدهر عازفاً على نياط القلوب كما أنت:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

[إمبراطور الشعراء (الشاعر الأسطورة): ٧]

القافية تذهب بالقافية

إن لهذه القصائد عبرة لشدة الحرف ورواد القافية وحملة الأقلام تقول لهم: مصائب قوم عند قوم فوائد، ألا هل من محاسب لنفسه، رادع لهواه، ملجم لشیطانه، فإن للقول مؤونة، وللنطق تبعه، ولللسان عثرات، إن الحروف تكتب، وإن الجمل تسجل عند من لا تغيب عليه غائبة، ولا تخفى عليه خافية: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ وفي الحديث: «كف عليك لسانك».

[قصائد قتلت أصحابها: ٧]

مسابقة.. وتفوق.. وتدفق

في نجد شعر عجب، كشعر امرئ القيس إذا ركب، والأعشى إذا طرب،
والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، وابن كلثوم إذا غضب. شعر امرئ القيس
كالخمر المعتق، تكاد القلوب منه تتشقق، والعروق تتفتق، والدموع تتدفق، فإذا
سمعتَه فترقق.

وشعر الأعشى، كالحمى، يتركك كالمغمى، أو كأنك أعمى، وهو من الغيث
أهمى، ومن النجم أسمى. وشعر النابغة سحر حلال، يذهب عقول الرجال،
وله روعة وجمال، وأبهة وكمال. وشعر زهير كالماء الزلال، فيه صدق واعتدال،
وحق وجلال، بعيد عن السخف والإملا. وشعر ابن كلثوم يسابق حسامه،
كأنه بروق تهامة؛ لأن صاحبه طالب زعامة، يريد العزة والكرامة.

[مقامات القرني: ٤٥٤]

الشعر الدخيل

لمّا كان الشعر في روابي نجد الخضراء، وفي فيافيها الفيحاء، كان آية
في الحُسن والنُّبل والبهاء. فلما دخل الشعر إلى القصور، وسكن الدُّور، خرج
كأنه جلد ثور، لا يُطبخ في القدور، ولا يهبط من النحور، يحتاج البيان إلى
خيمة مضروبة، وراية منصوبة، وخُصرة وخصوبة، لترى الأمثال المضروبة،
والمعاني المرغوبة، ولمّا صار القلم بجانب التلفاز، والعقل بجوار الجهاز، ذهب
البيان والإعجاز، وغرب الإبداع والإنجاز.

[مقامات القرني: ٤٥٥]

زمن ضاع فيه الخبر

نحن في زمن خفض المرفوع، ورفع الموضوع، ونصب المجرور، وجر المنصوب، وأصبحت النكرة معرفة، والموصوف بلا صفة، والمبتدأ بلا خبر، والأفعال تجرّ، فانظر لحال أهل التمييز، كيف ذلّ فيهم كلُّ عزيز؟

[مقامات القرنى: ٣٦٥]

ومن عجب

كلما خرج علينا شاعر مخمور، فاقد الشعور، حفظنا شعره في الصدور، وكتبناه في السطور، وقلنا: يا عالم هذه قصصنا الغرامية، ونسينا رسائلنا الإسلامية، وفتوحنا السماوية، التي أنقذت الإنسانية.

[مقامات القرنى: ٣٥٩]

ويل هذا الجيل

شغلونا بالروايات الشرقيّة، والمسرحيات الغربيّة، ويل هذا الجيل ويله، سهر مع غراميات ألف ليلة وليلة. وفي الذكر المنزل، والحديث المبجل، من قصص الحب الصادقة، والمعاني الناطقة، ما يخلب اللب، ويستميل القلب.

الحُبُّ ليس روايةً شرقيةً

بأريجها يتزوج الأبطال

الحُبُّ مبدأ دعوة قُديّة

فيها من النور العظيم جلال

أخرجونا يا قوم من ظلمات عشق الأعراب، والهيام في الأهداب، فكلّ ما فوق
التراب تراب، وأدخلونا في عالم الحب الراقي، والدواء الواقى، الذي تطير له
الأرواح، وتهتزّ له الأشباح، في ملكوت الخلود، وعلى بساط ربّ الوجود.

[مقامات القرنى: ٣٥٧ - ٣٥٨]

مِيزة

والقلم بيانك، وهو طَوْعُ بنانك، وهو حاضر الفكر، كثير الشكر، صاحب
ذكر، إن حملة اللوذعي، وكتب به العبقري، سالت أودية بقدرها، وانبجست
عين من حجرها، وإن صحبه البليد، وخطّ به الرعديد، كثر عثاره، وتبلّد
حماره، وحجب عيونه غباره، يوافق المزاج، في الاستقامة والاعوجاج، والثبات
والارتجاج. مسدّد إلا إذا غضب، ومليح إلا إذا عتب، وفصيح إلا إذا حجب، إذا
انتهى زاده، ونفذ مداده، وقف جواده، هونوا عليه اللوم وأقلّوا، فإنه لا يملّ
حتى تملّوا، إن لقنته حكمة وعأها، وإن أرسلته إلى ذاكرة ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا
وَمَرْعَاهَا﴾، وهو الذي سطر الحكمة تسطيراً، فلم يغادر منها قليلاً ولا كثيراً، ولا
صغيراً ولا كبيراً، وإن قصد أحداً بالأذى فلن تجد له ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا﴾، يرقص على نبضات قلبك، فإن أوقفت الإملاء نادى ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾
فذكرك غذاؤه، وكفك حذاؤه، ومدادك ماؤه، وجيبك وعأؤه، يعرف طريق النجاة،
وهو عظيم الجاه، يعذر لو جاء ببضاعة مزجاة، إن غلطت غلط، وإن جهلت ركب
الشطط، لا يغفل الشكل والنقط.

صمت الخطباء وما صمت، وسكت الشعراء وما سكت، ومات الملوك ولم
يمت، حذر به المصطفى الأكاسرة، وأنذر به القياصرة، وخوف به الجبابرة،

صدر به قتل الحسين، وخطّ به خلع الأمين، وسطرّ به الوحي في طور سينين، وروّى لنا الجَمَلَ وصفين، يُشعل الحرب ولا يحضرها، ويستودع الأسرار فينشرها، يتململ في كفّك تململ السليم، ويتقلّب تقلّب السقيم، ويكي بكاء اليتيم، خطّ به أفلاطون كتاب الجمهورية، وأقام به المعتصم وقعة عموريّة، ونمّق به ابن تيمية الواسطيّة، والحمويّة، والتدمريّة، نقل لنا سيرة ابن إسحاق، وحديث عبدالرزاق، وعجائب الآفاق، وأخبار العشاق، نقض الصعلوك، ودفع الشكوك، ونادم المملوك، يفهم بالإشارة، ويرسم العبارة، إن كتب به الأحقق تدفّق ولم يترفّق، وضلّ ولم يُوفّق، وإن كتب به الرجل الرشيد جاءك بالقول السديد، والعلم المجيد، والنقل الحميد.

يطير العلم من الرأس، فيقيده القلم في القرطاس، وإذا حمّله الأميّ قال: لا مساس، مُؤدّب لا ينتقد، ومقلّد لا يجتهد، يسهر بلا قيام، ويجوع بلا صيام، له كل يوم شجون، وعنده من الحكمة فنون، يخون الحفظ وهو لا يخون، صغير الجرم، كبير الجُرم.

[مقامات القرنى: ٢٩٥]

القلم

يا أيها الذي جمع الحكم، أما سمعت «نون والقلم»، إن القلم شأنه عجيب، ونبأه غريب، نحيف الجسم، عظيم الاسم، جميل الرسم، إن خطا في القرطاس، أنصت له الناس، بالقلم تجهّز الجنود، وترفع البنود، وتوثّق العقود، وتحلّ العهود، بحروفه تقضي المحاكم، وتردّ المظالم، وتقطع الجماجم، وتعقد المواسم، إن غضب فجرّ الدماء، وأباد الأحياء، وأشعل حرباً شعواء، وإن رضي

منح المواهب، وأعطى الرغائب، وأهدى المناصب، من حروفه يُجنى العسل، وتسل الأسل، إن شاء فمداده سمّ الحيات، وأمّ النكبات، وسبب البلايا الموجعات، وإن أراد جعل سطورهِ نوراً، وصيرها سروراً، وملأها حبوراً، ونمّقها حسناً منشوراً، هو رسول القرون الأول، وخادم الدول، وحافظ الملل والنحل، إذا سأل لعبابه، كثر صوابه، وحضر جوابه، وتزاحم عباؤه، لا تسمع له كلاماً، ولكنه صار للحكمة إماماً، وللمعارف قائداً هماماً، لفظه أغلى من الياقوت، به خُطّ الوحي في الملكوت، وهو الذي أخبرنا بطالوت وجالوت، وهو أسحر من هاروت وماروت، مصيبة القلم أنه يذيع الأسرار، ولا يكتُم الأخبار.

إذا تشجع ملأ الصفحات، وعبأ المجلدات، وبسط المختصرات، وإذا جبن الغر وأوجز، وطلسم وأعجز، وإن تحامل همز، وغمز ونبز.

أفصح من اللسان، وأحفظ من الإنسان، إذا حملته الأصابع فانتظر القوارع، وارتقب الفواجع. له أوزير كأوزير الرجل، ودبيب كدبيب الأرجل، وحصاد كحصاد المنجل. عارٍ من اللباس، دقيق الرأس، قوي البأس، عظيم الأثر في الناس.

يشرب ولا يأكُل، ويُجيب ولا يسأل. إن عبّأته مداداً، أحال بياضك سواداً. إذا غلط غطش، وإذا احتدّ بطش. عقله مرهون، وخصمه مغبون، وعذابه غير مأمون.

[مقامات القرنين: ٢٩٢ - ٢٩٣]

وأنا

وأما مُحَدَّث لا حَدَاثي، ومن مكة مركبي وأثاثي، ومن المدينة ميراثي،
وأصل الحداثيين من البلاشفة الحمر الكفرة، كأنهم حمرٌ مستنفرة، فرَّت من
قسورة.

[مقامات القرنى: ٢٣١]

طبقات الشعراء

واعلم - رحمك الله - أن في الشعر تبرا وتراباً، وزهياً وأخشاباً، ولا
يخدعك قولهم فلانٌ شاعرٌ مؤر، فقد لا يساوي شعره ربع دينار، فإن من
الشعر مسكاً وعنبراً، ولؤلؤاً وجوهرأ، يسافر إلى سويداء قلبك ويبحر، وينادي
﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾.

وفي الشعر شعير، وروث بعير، فيه ندالة وجهالة ورذالة، فويل لمن أشغلَ
الناس، وسودَّ القرطاس، وجلب الوسواس، وحاس وداس، وفي ديار القلوب
جاس، يصيبك من شعره تشاؤب وعطاس، ونوم ونعاس، فإذا رأيتَه فقل له: لا
مساس، ولا بأس عليك منه لا باس. وهذا الصنف لا يردُّ عقل، ولا يردعه
نقل، جائزته بصل وفجل، لأنه أُشربَ في قلبه العجل.

ويا شعراء المجون، ما لكم في الغي تلجّون، وفي النوادي تصجّون، ولكل
رأس تشجّون. ألا عقلٌ يردع؟ ألا أذنٌ تسمع؟ ألا قلبٌ يخشع؟ ألا عينٌ تدمع؟
أشغلتكم القلوب، وأنسيتم الناس علام الغيوب، ودلّتم الأمة على المعاصي
والذنوب، أشعلتم النفوس الهائجة، أحرقتكم القلوب المائجة؛ لأن بضاعتكم عند

الأراذل رائجة، أظنون أنه لا حساب ولا عقاب، ولا عذاب ولا ثواب، الموقف أصعب مما تظنون، والمشهد أعظم مما تتصورون، ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، وفار التنور، وقصمت الظهور، وطار الكبر والغرور.

[مقامات القرنى: ٢٣٣ - ٢٣٤]

من بين الصفا والمروة، وبجوار البيت العتيق، قريباً من زمزم، كانت الصولة، وجالت الجولة، فعادت لنا الدنيا؛ بل قدناها بزمام.. إلى الأمام..

تأريخ المجد

مُحَرَّرُ الْعَقْلِ بَانِي الْمَجْدِ بَاعِثُنَا

من رقدة في دثار الشرك واللمم

بنور هديك كحللنا محاجرنا

لَمَّا كَتَبْنَا حُرُوفًا صُغَتْهَا بَدَم

من نحن قبلك إلا نقطة غرقت

في اليم بل دمة خرساء في القدم

أكاد أقتلع الآهات من حرقى

إذا ذكرتك أو ارتاع من ندمي

لَمَّا مَدَحْتُكَ خَلَّتْ النَجْمُ يَحْمِلُنِي

وَخَاطِرِي بِالسَّنَا كَالْجَيْشِ مُحْتَدِم

شجعت قلبي أن يشدو بقافية

فيك القريض كوجه الصبح مبتسم

صه شكسبير من التَّهْرِيجِ أَسْعَدَنَا
 عَنْ كُلِّ إِيَاذَةٍ مَا جَاءَ فِي الْحَكَمِ
 الْفُرسُ وَالرُّومُ وَالْيُونَانُ إِنْ ذُكِرُوا
 فَعِنْدَ ذِكْرِهِ أَسْمَالٌ عَلَى قَزَمٍ

[مقامات القرنين: ٧٧ - ٧٨]

قَحْطَانُ عَدْنَانُ حَازُوا مِنْكَ عِزَّتَهُم
 بِكَ التَّشْرِفُ لِلتَّأْرِخِ لَا بِهِم
 عُقُودُ نَصْرِكَ فِي بَدْرِ وَفِي أَحَدٍ
 عَدَلْنَا فِيكَ لَا فِي هَيْئَةِ الْأُمَمِ
 شَادُوا بِعِلْمِكَ حَمَرَاءَ وَقُرْطَبَةَ
 لَنَهْرِكَ الْعَذَبُ هَبَّ الْجِيلُ وَهُوَ ظَمِي
 وَمِنْ عِمَامَتِكَ الْبَيْضَاءُ قَدْ لَبَسَتْ
 دِمَشْقُ تَاجِ سَنَاهَا غَيْرَ مُنْتَلَمِ
 رِدَاءُ بَغْدَادٍ مِنْ بُرْدِيكَ تَنْسُجُهُ
 أَيْدِي رَشِيدٍ وَمَأْمُونٍ وَمُعْتَصِمِ

[مقامات القرنين: ٧٩ - ٨٠]

إِنْ كَانَ أَحَبَبْتُ بَعْدَ اللَّهِ مِثْلَكَ فِي
 بَدْوٍ وَحَضَرٍ وَمِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمِ

فَلَا اشْتَفَى نَاضِرِي مِنْ مَنْظَرِ حَسَنٍ
وَلَا تَفَوَّهَ بِالْقَوْلِ السَّيِّدِ فَمِي

[مقامات القرني: ٨١]

وأحبت الشعر

وأحبت الشعر زمناً طويلاً، ذقته حلواً سائغاً، وحسوته لذيذاً فاتراً،
حفظت منه الكثير، ونظمت الكثير، وأعجبت بالكثير.

أسمعه فأنتشي لأبياته، وأقرؤه فأبقى مسروراً برأيه، أتركه زمناً فلا
يتركني، وأهجره حيناً فيعود إليّ غصاً طرياً.

وعجبت للشعر، لوحة غناء، وارفة الظلال، ندية الظل، باسمه الروض،
حانية الأفياء، مترعة الجداول، بأسقة الدوح.

وعجبت للشعر زاد للمسافر، وملهات للسامر، ومسلاة للمهموم، وسلوة
للمكظوم.

وعجبت للشعر يهز المشاعر، ويحرك العواطف، ويستجيش الذكريات،
ويهدد الخاطر.

والشعر الجميل، يشجع الجبان، فلا يهرب، ويفري الشحيح بالبذل فلا
يبخل! ويذهب سخيمة الحقوق فيعضو.

الشعر المؤثر عالم من المشاعر والإيحاءات واللفقات.

[حدائق ذات بهجة: ١٥٤]

صديق لا يملُّ

الكتب هي بساتين النبلاء، وحدائق العقلاء، ومنتزهات الفضلاء، وهي عوض عن الصديق القالي، والصاحب الجافي، والقريب القطوع، والقربين المتربص، والولد العاق، والوالي المتعالي، والغني المتكبر، والرئيس المتجبر.

[حدائق ذات بهجة: ١٤٥]

مدح المهيمن

لما دعوت الشعر جاء ملبياً
يسقي كؤوس الشعر من حسانه
فعصفت عن مدح الأنام ترفعاً
لا تمدحن العبد في طفيلانه
لا سيف ذي يزن يتوج مدحتي
أو شكر نابغة على نعمانه
أو عباد أو شداد أو ذو منصب
ينمي إلى عدنان أوقحطانه
ملك الملوك قصدته ومدحته
فتراكم الإبداع في ميدانه
والله لو أن السماء صحيفة
والمزن يمطرها على إبانه

والدوح أقلام وقد كتب الورى
مدح المهيمن في جلالة شأنه
لم يبلغوا ما يستحق وقصروا
وزن الهبَاء ضاع في ميزانه

[مقامات القرنين: ٦٢ - ٦٣]

أيتامُ مائدة الأدب

أعرف أن من الشجر، كشجرة العشر، أعدى من السَّوس، وأشأم من
البسوس، يأتي على غرة، ويبحث عن العثرة، ويقصُّ الجُرّة، ولو اعتذرت لنا
عنده سبعين مرة.

فأقول للمادحين: كونوا ناصحين، وكما قيل: فعين الرضا، والمُحِبُّ يمشي
على جمر الغضا.

وأقول للقادحين: كونوا مازحين، وتذكروا: وإذا أنتك مذمتي، واجعلوا
الخطأ في ذمتي، فقد شابت لمتي، فإن عثر جواد بياني، وتلعثم لساني،
فالغيب من زماني، فما أدركت حسّان، وما صاحبت سحبان، وما دخلت على
النعمان، وما لقيت صنّاع الألفاظ في سوق عكاظ؛ ولكنني مع أقوام، على
الأدب أيتام، كلما لمع فيه متكلم وظهر، وقال: إن الله مُبْتَلِيكُمْ من البیان بنهر،
قالوا: إنما يُعلمه بشر، ولولا سواه ما اشتهر، فيقول الحال: لكل عين قذى،
ولن يضروكم إلا أذى، فجدّوا كما جدّوا، أو سدّوا المكان الذي سدّوا. فكم نال
الحُسَّادُ صاحب الأدب، وأنه ليس له في البلاغة نسب، وماله في الفصاحة
حَسَبٌ، (وجاؤوا على قميصه بدم كذب).

وكم انبعث من أهل البلاد أشقاهها، فصاح بهم رسول البيان: ناقة الله
وسقيهاها. وعسى عصا موسى البيان، تكسر رأس فرعون الطغيان.

[مقامات القرني: ٣٨]

هكذا عرفتهم

ما قرأت لأحد من المتقدمين والمتأخرين أجمل بياناً وأندى لفظاً، وأعمق
معنى من الجاحظ، إنه نادرة الزمان في صياغة الحرف، وأعجوبة الدهر في
نسج الكلام، غير أنه رفيق دين صاحب مضادات وأوهام وشكوك.

أما أحمد حسن الزيات من المتأخرين فكتاباته ندية باهرة خلاصة، وما
أروع تقابل الفواصل، واستقلال المقاطع، واختيار الجمل.

وأما طه حسين فسلس العبارة، حالم الخيال، لكن الرجل صريح
الشبهات.

أم العقاد فله من اسمه في أسلوبه نصيب، وكأن كلامه شعر الفرزدق قوة
في جفاف، وعمق في يبس.

وأما الرافعي فغاية في طول النفس، وربما أغرب، وهو أمة وحده في هذا
الفن.

أما سيد قطب فبديع الإنشاء، لكنه مسهب مكرر يعيد الجمل كثيراً.

وأما الطنطاوي فله السحر الحلال يدهش العقول، وهو قادر على
استدراف دمع العين، وحزن القلب بما يكتب، وهو عندي منقاد الخاطر، طلق
البديهة، متدفق القلم.

وأما محمد الغزالي المعاصر فله قاموس خاص، فيها جلال وهيبة، وهو
يجبر الذهن على التلفت، وإنه لحس الإيقاع، رخيم العبارة.
وأبو الحسن الندوي له مدار في العبارات لا يتعدها مع الاهتمام
بالتفخيم والتهويل، مع مسحة الروحانية الزاكية.

[هكذا حدثنا الزمان: ٩٧ - ٩٨]

الأدب الأعوج

الصحيح في دراسة الأدب أن يختار أجوده وأجمله وهو ما حسن لفظه
وعظم تأثيره وسلم من غوائل الانحراف ومزالق الزيع، وهو ما يدعو إلى
مكارم الأخلاق وينهى عن سفاسف الأمور. إذن فالأدب: خلق وذوق وجمال
ودين وفضيلة وأصالة وحياء.

[هكذا حدثنا الزمان: ٧٨ - ٧٩]

خاتمة وتوصيات

وبعد هذا التطواف الممتع، في هذه الروائع..

أرى لزماً عَلَيَّ أن أوجه رسائل..

أولها: الحمد والشكر للربّ جلّ وتقدس، أن مدّ في العمر، ويسر الأمر.

الثانية: لكل مستفيد من أدب الشيخ؛ أقول له: عرفتَ فالزم، ثم اعلم أن

النقص من طبيعة البشر، وأن الكمال الكلي للربّ جل شأنه.

الثالثة: للشيخ أخصه بها؛ فأقول:

احذر من كل ناشر، وناشرة..

فإن أنيابهم عليك كاشرة..

فكن منهم على حذر، فطائفة منهم يخدمون مصالحهم المالية الخاصة،

وطائفة قليلة تريد خدمة الأدب والعلم، وقد رأيت مشاريع القصّ واللزق في كتب

كثير من المعاصرين، صنعها هؤلاء الناشرون، فقطعت أطراف الكتب، وكررت المواد

العلمية، وكانت الخسارة الأولى من نصيب المؤلف، فكن من هؤلاء على حذر.

الرابعة: نظرت في عموم كتب الشيخ؛ فرأيتها على قسمين؛ وإن كان الطابع

السائد فيها، هو الفنّ الخطابي، إلا أن قسماً كان في أشربة وفرغت، ونقحت،

وهذا في الغالب يعتني بأبواب الدعوة والتربية والوعظ والتذكير، وقسم حرره

وحبره ببنانه، فكان مقطوعات أدبية رائعة رائدة وهو عندي أحسن من القسم

الأول، وإن كان الكل فيه خير، وهذه الرسالة الرابعة لقراء كتب الشيخ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تمت بيد

محمد بن سرّار اليامي

للتواصل عبر رسائل الجوال

(٠٥٥٤٧٩٤٧٩٠)

المحتويات

الصفحة

الموضوع

٥	كأس الهوى
٧	«وما يدريك»
١١	عرفت عائض
١٧	تعلمت منه
٢٧	القرني والمنهج
٢٩	قلة العقل
٢٩	العزلة
٣١	علم لا ينفع
٣١	مختارات
٣٦	العُجب يقصم الظهر
٣٦	النفق المظلم
٣٧	سُنَّة
٣٧	ونيسرك ليسرى
٣٨	أصدقاء الرخاء
٣٨	الوَاد للعلم
٣٩	أهدافٌ سامية
٣٩	الفرقة شر
٤٠	الشمول... والتكامل
٤٠	الدين يسر
٤١	الوسطية
٤١	عمرٌ مبارك عاشهُ شيخ الإسلام
٤٢	منهج

- ٤٢ ويمكرون ... لإسقاط شيخ الإسلام ..
- ٤٣ لكي تفهم كتبه .. تَعَلَّمْ أَنَّهُ
- ٤٣ قبولٌ عجيب
- ٤٤ المنهاجُ منهاج
- ٤٤ ثمرة العلم
- ٤٤ قاعدة .. تيمية
- ٤٤ فائدة بديعة
- ٤٥ قاعدة في حياة ابن تيمية
- ٤٥ هذا هو
- ٤٥ العزلة
- ٤٥ أَعذارُ البخلاء
- ٤٦ يا نومان
- ٤٧ بضاعة الفقه
- ٤٨ معين السلف
- ٤٨ اللحون
- ٤٨ حصاد الرذيلة
- ٤٩ الداعية الناجح
- ٤٩ الإمامة عند الباز
- ٥٠ باب المجد
- ٥١ منهج
- ٥١ تعريف العلم عند ابن تيمية
- ٥١ وصفة
- ٥٢ تعريفات
- ٥٣ علم ضار
- ٥٣ ساسة طغاة
- ٥٣ بين اللاء والنعم
- ٥٤ قاعدة نافعة

- ٥٥ لن تستطيع
- ٥٥ ميزانك
- ٥٥ اقبل الحياة كما هي
- ٥٦ اصدق مع نفسك
- ٥٦ العوام هوام
- ٥٦ الفاشلون
- ٥٧ فوائد
- ٥٧ ذبح شرعي
- ٥٨ الفراغ وخطره
- ٥٨ وليسعك بيتك
- ٥٩ أصل في الراحة
- ٥٩ ثمن المحنة
- ٦٠ نظرات في الصبر
- ٦٠ الهمة
- ٦١ تجربة
- ٦٢ وفجأة
- ٦٢ ما بعد وبعد
- ٦٢ الله
- ٦٣ بوابة الحزن
- ٦٤ الأمن مطلب
- ٦٤ غل الروح
- ٦٥ قاعدة
- ٦٥ الناس عليك لا لك
- ٦٥ شهود التوحيد
- ٦٦ وطن نفسك
- ٦٦ كن واقعياً
- ٦٧ اطلب الرزق ولا تحرص

- ٦٧ _____ حكمة بالغة
- ٦٨ _____ استقراء
- ٦٨ _____ التوحيد الواضح
- ٦٩ _____ منهج
- ٦٩ _____ التوحيد
- ٧٠ _____ تجارب
- ٧٠ _____ قاعدة
- ٧١ _____ لا تحزن واطردِ الهمَّ
- ٧١ _____ لا تحزن على ما فاتك فإن عندك نعماً كثيرة
- ٧٢ _____ المفاجأة
- ٧٣ _____ القرني ومعادلة الأحران
- ٧٥ _____ لا تحزن
- ٧٥ _____ خاطرة
- ٧٦ _____ عربون الصفاء
- ٧٦ _____ ابتسم
- ٧٧ _____ صفات شخصية
- ٧٨ _____ لطائف الله
- ٧٨ _____ الفرج بعد الشدة
- ٨٠ _____ لا تعجل
- ٨٠ _____ عسى
- ٨٠ _____ مفاتيح الهموم
- ٨١ _____ ويملك
- ٨٢ _____ الوجه الآخر
- ٨٢ _____ أمراض التجار
- ٨٣ _____ مقاييس السعادة
- ٨٣ _____ عيادة السعادة
- ٨٤ _____ لا تفرح

٨٥	قارورة بقراط
٨٥	الصلاة .. الصلاة
٨٥	المزعجات
٨٦	بشرى
٨٧	السعادة
٨٨	عمر المصيبة ثواني
٨٨	أبشر بالفرج
٨٩	لا تحزن أيُّها الإنسان
٩٠	ما هي السعادة
٩١	قاموس السعادة
٩١	قاعدة في السعادة
٩١	مقومات السعادة
٩٢	ولا تحزن
٩٢	قواعد في السعادة
٩٤	لا تحزن
٩٦	شمس الصباح
٩٧	قاعدة
٩٨	لا تنتظر شكراً من أحد
٩٩	اترك المستقبل حتى يأتي
١٠٠	يومك يومك
١٠٠	ما مضى فات
١٠١	القرني ولغة الأرقام
١٠٣	بَشْأ
١٠٣	2×2
١٠٣	الحب .. حُبَان
١٠٤	(أحمدان) وَ (حَمَّادان)
١٠٥	اللآلئ الثلاث

- ١٠٥ _____ صرخات التفجع ثلاث
- ١٠٦ _____ آل سعد ثلاثة
- ١٠٦ _____ الميمات البازية
- ١٠٧ _____ عالم التضحية
- ١٠٧ _____ القلب السليم
- ١٠٨ _____ فُكّر واشكر
- ١٠٨ _____ صناعة الحياة
- ١٠٩ _____ الحرف الخطير
- ١١٠ _____ حروف
- ١١٠ _____ هما صنفان
- ١١٠ _____ سجن وسجن
- ١١١ _____ اللآت الست
- ١١١ _____ القاسم المشترك
- ١١٢ _____ صراطان
- ١١٢ _____ الله أكبر
- ١١٣ _____ القرني والخطابة
- ١١٥ _____ البيان الساحر
- ١١٥ _____ السحر الحلال
- ١١٦ _____ اللسان البليغ
- ١١٦ _____ دفتر البيان
- ١١٧ _____ قوة الكلمة
- ١١٧ _____ إن من البيان لسحراً
- ١١٨ _____ السحر الحلال
- ١١٩ _____ أهل التميز
- ١١٩ _____ عشاق الكلمة
- ١٢٠ _____ كمال رسول الأمة
- ١٢٠ _____ الصلاة على محمد ﷺ

- ١٢٠ زمن عجيب
- ١٢١ الخطيب البارع
- ١٢١ الخطيب الملهم
- ١٢٢ الخطيب القدير
- ١٢٢ شجاعة الخطيب
- ١٢٣ بلغاء الخطباء
- ١٢٤ مقترح... للخطباء
- ١٢٥ توقيعات ابن تيمية
- ١٢٦ عثرة اللسان
- ١٢٩ القرني واعظ
- ١٣١ الآن وقد عصيت
- ١٣١ نتائج البحث
- ١٣٢ إنها الفرصة
- ١٣٢ متى
- ١٣٣ البيان الباهر
- ١٣٤ التائب
- ١٣٥ الزهد الحق عند ابن تيمية
- ١٣٥ ابن تيمية داعية
- ١٣٦ أبنائي
- ١٣٦ سؤال
- ١٣٧ المخلفين
- ١٣٧ أسرار الصوم
- ١٣٨ المرض علاج
- ١٣٩ هنيئاً لأهل الأمراض
- ١٣٩ طهوراً إن شاء الله
- ١٤٠ البنك
- ١٤٠ اتفاق ووافق

- ١٤١ تاج الشرف
- ١٤١ أسرار التوبة
- ١٤٢ يا كثير الأخطاء
- ١٤٣ صرعى الشهوات
- ١٤٤ أْفُ وتُف
- ١٤٤ لا تستهن به
- ١٤٤ أمان
- ١٤٥ وعظ
- ١٤٦ صاحب المال
- ١٤٦ الكنز
- ١٤٧ وصية
- ١٤٨ سوط العزم
- ١٤٨ الحاسد
- ١٤٩ لا تتعجل
- ١٥٠ حسبك الله
- ١٥١ الصمد
- ١٥٢ سبات الغفلة
- ١٥٢ الله أكبر
- ١٥٣ عامٌ لا خصوص له
- ١٥٣ موت
- ١٥٤ ذكر الله
- ١٥٥ كل شيء بقدر
- ١٥٥ كم
- ١٥٦ مدحُ الله
- ١٥٧ من أسرار الأقدار
- ١٥٧ من جنود الملك
- ١٥٨ النملة

- ١٥٨ _____ الحمد لله
- ١٥٩ _____ لا إله إلا الله
- ١٥٩ _____ سبحان الله
- ١٦٠ _____ أصابع الذنوب
- ١٦١ _____ مصيدة
- ١٦١ _____ قيمتك شيء آخر
- ١٦٢ _____ تحدي
- ١٦٢ _____ قل هو الله أحد
- ١٦٣ _____ عزاء
- ١٦٣ _____ أقسى الشقاء
- ١٦٤ _____ أيتها العير إنكم لسارقون
- ١٦٤ _____ أهل الحديث
- ١٦٥ _____ أحسن الفوائد
- ١٦٧ _____ الخصخصة
- ١٦٨ _____ تصريح
- ١٦٨ _____ أنت... أنت!!!
- ١٦٩ _____ غالب
- ١٦٩ _____ ومن شر حاسد إذا حسد
- ١٧٠ _____ المُحلق... والماشى
- ١٧١ _____ عزاء الشعراء
- ١٧١ _____ رجل المرحلة
- ١٧٢ _____ إذا لم يكن
- ١٧٣ _____ لطيفة
- ١٧٣ _____ من لطائف ذكاء شيخ الإسلام
- ١٧٤ _____ ركيزة تخلفنا
- ١٧٤ _____ يا شباب
- ١٧٥ _____ طريفة

- ١٧٥ _____ وصية بخيل
- ١٧٦ _____ السيف أصدق أنباء من الكتب
- ١٧٧ _____ القرني والجغرافيا
- ١٨١ _____ ملاعب الصبا
- ١٨٢ _____ قداساتنا
- ١٨٣ _____ كان العالم.. وكنا
- ١٨٣ _____ ذهبنا
- ١٨٤ _____ الجزيرة
- ١٨٤ _____ كبيرة
- ١٨٦ _____ هنا
- ١٨٦ _____ في مكة
- ١٨٧ _____ المدينة والحييب
- ١٨٨ _____ ذكريات
- ١٨٩ _____ رفقا بقلبي يا جنوب
- ١٩١ _____ لطائف الطباع
- ١٩١ _____ السراة
- ١٩٣ _____ يا نجد
- ١٩٤ _____ يا أهل اليمن
- ١٩٤ _____ اليمن السعيد
- ١٩٥ _____ بلد اليمن
- ١٩٦ _____ هل نسيتم يا أهل اليمن
- ١٩٦ _____ مرحباً... دمشق
- ١٩٧ _____ آه.... يا دمشق
- ١٩٨ _____ في دمشق فنون وشجون
- ١٩٩ _____ أهل العزة
- ٢٠٠ _____ صرخات
- ٢٠١ _____ بغداد التأريخ كله

- ٢٠١ _____ صباح الخير يا مصر
- ٢٠٢ _____ هنا... هنا... مصر
- ٢٠٢ _____ الأندلس
- ٢٠٣ _____ لغات
- ٢٠٤ _____ يا مجلس الخوف
- ٢٠٥ _____ نداء... نداء
- ٢٠٦ _____ النشرة الجوية
- ٢٠٦ _____ يا مجلس الأمن
- ٢٠٧ _____ السجن
- ٢٠٨ _____ أعلى مفقود
- ٢٠٩ _____ القرني والسير
- ٢١٠ _____ من فوائد كتب السير
- ٢١١ _____ سير أعلام النبلاء
- ٢١٢ _____ رب ضارة نافعة
- ٢١٣ _____ المجد الخالد
- ٢١٤ _____ ما شيء... إلا بشيء
- ٢١٥ _____ أما نحن
- ٢١٥ _____ العلماء والسلطان
- ٢١٦ _____ العلم شغل شاغل... لشيخ الإسلام
- ٢١٧ _____ النهر المتدفق.. أحمد بن عبد الحليم
- ٢١٧ _____ ابن تيمية
- ٢١٨ _____ ألقه
- ٢١٨ _____ أوقات مباركة
- ٢١٨ _____ منزلته
- ٢٢٠ _____ بطاقةتنا
- ٢٢١ _____ أبو بكر والمدينة
- ٢٢٢ _____ عمر والمدينة

- ٢٢٢ _____ ياليت
- ٢٢٣ _____ قبحاً للسياسة
- ٢٢٤ _____ ضريبة المجد
- ٢٢٥ _____ العلماء
- ٢٢٦ _____ عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - عندنا
- ٢٢٦ _____ تأمل
- ٢٢٧ _____ بعثة الفخار
- ٢٢٧ _____ ذكرياتنا
- ٢٢٩ _____ ويلك
- ٢٣٠ _____ مات الإمام
- ٢٣١ _____ منزلة الباز
- ٢٣٢ _____ ابن باز
- ٢٣٢ _____ مراسيم التجديد
- ٢٣٣ _____ تعريف بابن تيمية
- ٢٣٤ _____ كلمات خالدة
- ٢٣٤ _____ ابن تيمية
- ٢٣٥ _____ حروف وحتوف
- ٢٣٦ _____ تذكية العظماء
- ٢٣٦ _____ لو كان الحسين
- ٢٣٧ _____ هم ونحس
- ٢٣٧ _____ حكمة
- ٢٣٨ _____ الجمارك
- ٢٣٨ _____ السلف
- ٢٣٩ _____ مملكة العلم
- ٢٤٠ _____ سفينة نوح
- ٢٤٠ _____ أهل الحديث
- ٢٤١ _____ مقايضة

- ٢٤٢ فإنك شمسٌ
- ٢٤٢ سيرة حب
- ٢٤٤ الإمام البخاري
- ٢٤٤ منهج البخاري
- ٢٤٥ ابن حزم
- ٢٤٥ عجيبة... من عجائب الدهر
- ٢٤٦ علي رضي الله عنه مرفوع
- ٢٤٧ هذا عثمان رضي الله عنه
- ٢٤٨ باب الحق
- ٢٤٩ عمر رضي الله عنه
- ٢٤٩ منهج الحرية في حياة الصديق
- ٢٥٠ ردة وأبو بكر لها
- ٢٥٠ مع أبي بكر الصديق
- ٢٥١ أهل الحديث
- ٢٥٢ اسم محفور في قلبي
- ٢٥٣ محمد ﷺ
- ٢٥٤ الأدب معه
- ٢٥٥ ورفعنا لك ذكرك
- ٢٥٦ القدوة... يا جيل
- ٢٥٦ نفحات
- ٢٥٧ رؤيا
- ٢٥٨ لطيفٌ لما يشاء
- ٢٥٨ الله المستعان
- ٢٥٩ القائد
- ٢٦٠ محمد ﷺ
- ٢٦٠ حياة الصحابة
- ٢٦١ نعمة الوسادة

- ٢٦١ _____ وإن تجب
- ٢٦٣ _____ القرني والجمال
- ٢٦٥ _____ معاني الجمال
- ٢٦٦ _____ جمالُ المعاني، والمباني..
- ٢٦٧ _____ إنه الله
- ٢٦٧ _____ من معاني الجمال
- ٢٦٨ _____ إن العيون التي...
- ٢٦٨ _____ عالم الحب
- ٢٦٩ _____ حقيقة الحب
- ٢٦٩ _____ جنة الحب
- ٢٧٠ _____ نعم الرفيق
- ٢٧١ _____ إنه الذكر
- ٢٧١ _____ لا للدروشة
- ٢٧٢ _____ هذا القائد
- ٢٧٢ _____ الحبيب
- ٢٧٣ _____ دفتر الحب
- ٢٧٥ _____ الآية الخالدة
- ٢٧٦ _____ إلا يسبح بحمده
- ٢٧٧ _____ تعريف الحب
- ٢٧٧ _____ الحب
- ٢٧٨ _____ ما الحب؟
- ٢٧٨ _____ دنيا الرضى
- ٢٧٩ _____ كتاب كريم
- ٢٧٩ _____ برقيات الحب
- ٢٨٠ _____ وثيقة الحب
- ٢٨١ _____ حبٌ وحبٌ
- ٢٨١ _____ ورقة بيضاء

- ٢٨٢ بدونها
- ٢٨٢ ماذا فعلوا بها؟؟؟
- ٢٨٣ لغة القلوب.. المرأة
- ٢٨٤ الأم
- ٢٨٥ القرني والأدب
- ٢٨٧ الشاعر المبدع
- ٢٨٧ حسبك الله أيها المتتبي
- ٢٨٨ إنه اللموع
- ٢٨٩ المتتبي
- ٢٩٠ قصتي مع البيان
- ٢٩١ تحية يا أبا الطيب
- ٢٩١ القافية تذهب بالقافية
- ٢٩٢ مسابقة.. وتفوق.. وتدقق
- ٢٩٢ الشعر الدخيل
- ٢٩٣ زمنٌ ضاع فيه الخبر
- ٢٩٣ ومن عجب
- ٢٩٣ ويل هذا الجيل
- ٢٩٤ ميزة
- ٢٩٥ القلم
- ٢٩٧ وأنا
- ٢٩٧ طبقات الشعراء
- ٢٩٨ تأريخ المجد
- ٣٠٠ وأحببت الشعر
- ٣٠١ صديق لا يُملّ
- ٣٠١ مدح المهيمن
- ٣٠٢ أيتامُ مائدة الأدب
- ٣٠٣ هكذا عرفتهم
- ٣٠٤ الأدب الأعوج
- ٣٠٥ خاتمة وتوصيات